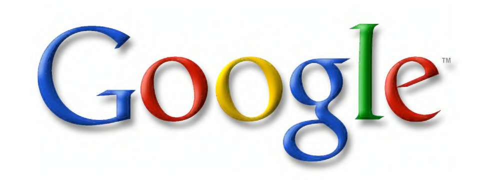
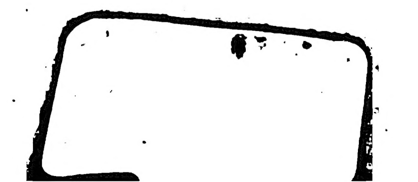




YUSUF ibn Muhammad, ash-Shirbini
The shaking of the skulls
Bulaq, 1274.

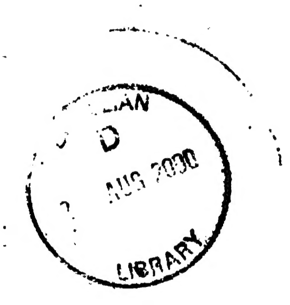
SH7

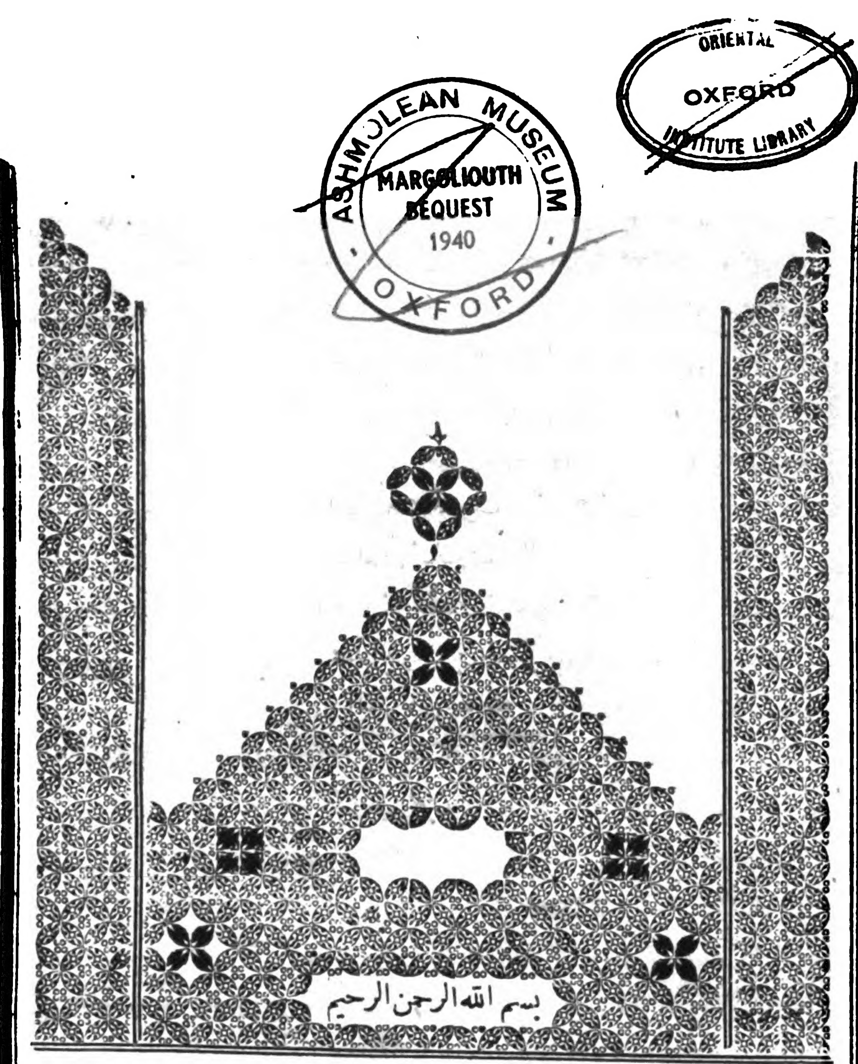
52 Sarbini. هزّ القحوف في شرح قصيدة ابي شادوف.
Caire 1274. *Relié*. 17.50
Ce fameux livre, qui, malgré son contenu, est d'une grande importance philologique, est à présent introuvable en Orient.



52.

هـذا كتاب هز القحوف فى شرح
قصيد أبى شادوف للعلامة
الشيخ يوسف بن محمد بن
عبد الجواد ابن خضر
الشربينى عفا الله
عنـه
امين





الحمد لله الذى شرّف نوع الانسان بنطق اللسان * وخصه بعموم الفضل والامتنان * وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان * وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان * وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممرّ الازمان * وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخص أضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوام الريف اراذل الجدران * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أفضل جرثومة العرب من عدنان * المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان * وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم أفنان * صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت وأوان * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه ان ممامرّ علىّ من نظم شعر الارياف * الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف * المشابه فى رصه لطين الجوالس * وجرى ذكره فى بعض المجالس * قصيد أبى شادوف * المحاكى لبعر الخروف اوطين الجروف * فوجدته قصيدا ياله من قصيد * كأنه عمل من حديد * اورص من نحوف الجريد * فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته * ولا يمكننى الا طاعته * أن أضع عليه شرحا كريش

الفراخ

الفراخ * اوغبار العفاش وزوابع السباخ * يحل ألفاظه السخيمه * ويبين معانيه الزميمه * ويكشف القناع عن وجه لغاته القشرويه * ومصادره الفشكليه * ومعانيه الركيكه * ومبانيه الدكيكه * ومقاصده العبيطه * وألفاظه الحويطه * وأن أتممه بحكايات غريبه * ومسائل هبالية عجيبه * وأن اتحفه بشرح لغات الارياف * التى هي فى معنى ضراط النمل بلا خلاف * وأشعارهم المغترفة من بحر الخايط * واشتقاق بعض كلماتها التى هى فى الصفات تشبه الشراميط * ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق * فى القاهرة ومصر وثغر بولاق * وذكر فقهائهم الجهال * وعلمهم الذى يشبه ماء النخالة * وفقرائهم الاجلاف * وأحوال الاوباش منهم والاطراف * وذكر نسائهم عند الهراش * وملاعبتهن فى الفراش * التى هى شبيه نط القرود * او بربرة الهنود * وأن أورد بول كلام المتن بعض اذا ذقته ايها السامع يحكى طعم البول * واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه ايها الناظر فكأنك قد قطفت زبل الغول * واذا نظرت الى أشعاره فكأنها رص القلقيل * واذا تأملت عفاشة كلامه فكأنك تلولت زبل الخيل * وأن أصرح فيه ببعض نكيتات هزليه * وحكم هباليه * على سبيل المجون والخلاعه * والدبدبة والصناعه * حتى يشتهر شرح هذا القصيد من دمياط الى الصعيد * وأرجو أن لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد * وقل أن يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التى كالولاش * وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش * فهو ان مر على المسامع يمر كالريح * وان مجه الطبع كالمرض للصحيح * كما قال الشاعر الفصيح * الملتقط شعره من الدر الوضيح

اذا حققت أن اللفظ صوت * وأن الصوت معنى يا فصيح
فحقق أن تأليفى كلام * تلذ به المسامع وهو ريح

(وفى المثل) فى البحر سمك يفسى نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعه والا خليه ولا بأس بوصف هذا الشرح بأبيات * كأنها بول البنات * فأقول

كتاب قد حوى فن الولاش * كتاب قد أتى مثل الفراش
كتاب فيه اوراق وحبر * وقول صادق مع قول لاش
وفيه يا اخى من كل معنى * اذا ما ذقته طعم العفاش
وألفاظ به تحكى لبول * عليها رونق مثل العماش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل القماش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلاش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تأمن سريعا من طراش

وكل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد * وحل معانيه التى تحكى خوف الجريد * فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن * كما هو عادة القاطن فى هذا الفن والطاعن * فيالله من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك * ولو نقش على عامود الصوارى لتحرك *

ولومس به حجر لتشطر * ولو ألقى فى اليم لتكدر * فهو جدير بأن يرقم ببول الجحوش على جدران الكنائس * وحقيق بأن يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس * وأن يلقى على رؤس المزابل * وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل * فهو شرح عديم النظير فى الكثافه * لكونه فى معنى اوصاف الريافه * وليس له شبيه فى الثقاله * لكونه فى وصف ذوى الرذاله * (واعلم) أن كل شرح لا بد له من اسم يناسبه * وعلم عليه يقاربه * (وقد سميت) هذا الشرح هز القحوف * بشرح قصيد أبى شادوف * وأطلب من القريحة الفاسده * والفكرة الكاسده * الاعانة على كلام أعرفه من بنات الافكار * وأسطره فى الاوراق من فشار * وأن يكون من بحر الخرافات * والامور الهبالبات * والخلاعة والمجون * وشئ يحاكى كلام ابن سودون * /فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعه * ولا يميل الى قول فيه البلاغة والبراعه * لان النفوس الآن متشوقة الى شئ يسليها من الهموم * ويزيل عنها واردا الغموم/ *

(وفى هذا المعنى شعر)

فنى مذهبى أن الخلاعة راحة * تسلى هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من عنده طرف من التمسخر والخلاعه * والدبدبة والصقاعه * ولهذا قال الشاعر

مات من عاش بالفصاحة جوعا * وحظى من يقود أو يتمسخر

وقد تساق الارزاق * لمن لا يدرك الخط فى الاوراق * ويحرم صاحب البلاغه * ولا يجد من القوت بلاغه * ولهذا قال الشاعر

رزق التيوس يجيئها بسهولة * وذووا الفصاحة رزقهم متحجون

ان كان حرمانى لاجل فصاحتى * امنن علىّ من التيوس اكون

وقال البوصيرى الاديب رحمه الله تعالى منوالنا

رب الفصاحه عديم الذوق يقف ابلم * والابلم التيس مصدر ومتعظم

يارب ان كان حرمانى كما تعلم * امنن علىّ اكون تيس ابن تيس ابلم

وقال ابن الراوندى

ياقاسم الرزق كم ضاقت بى القسم * ما أنت متهم قل لى من اتهم

تعطى اليهود قناطيرا مقنطرة * من اللجين ورجلى ما لها قدم

أعطيتنى حكما لم تعطنى ورقا * قل لى بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله * ويدارى وقته بما يناسب لاحواله * ويكون حذرا من دهره وصولته * ويرقص للقرد فى دولته * ويعاشر الناس على قدر احوالهم * ويدور معهم وينسج على منوالهم * ويندرج فى مدارج خلاعاتهم * ويظهر فى مظاهر براعاتهم * كما قال بعضهم

ودارهم مادمت فى دارهم * وحيهم مادمت فى حيهم * وأحسن العشرة مع بعضهم * يعنك البعض على كلهم * وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه لين وهدء نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا أنه فقير الحال فقال الملك علىّ به فلما حضر بين يديه أكرمه وعظمه وأعلى منزلته وصيره ارق من وزرائه وأجرى عليه النعم فلما رأى نفسه فى هذه الحالة تعاظم على أبناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر أرباب الدولة فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة وأراد الملك أن يصلى فى بعض المساجد أرسل السجادة ففرشت له فى ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك أنهم اصطنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر وأعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك أحد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة وأراد الملك الانصراف أخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فأنكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤى هذا الصليب تحت جبهة الامام فقالوا له هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وأمر بقتله فلما مرت جنازته أنشد بعضهم يقول

كان والله تقيا صالحا * منصفا عدلا وما قط اتهم

فأجابه آخر يقول

كان لا يدرى مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم

فالسلامة فى مداراة الناس * وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس * وأن يكون الشخص متنقلا فى أطوارهم * دائرا تحت فلك أدوارهم * كما صرحت بذلك فى بعض الابيات

فطورا ترانى عالما ومدرسا * وطورا ترانى فاسقا فلقوسا
وطورا ترانى فى المزامر عاكفا * وطورا ترانى سيدا ورئيسا
مظاهر أنس ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا * وما زمرنا به ورقصنا * والشخص يغلب عليه علمه وفنه * والزامر لا يخفى ذقنه * وقبل الخوض فى بحر هذا الكلام * والمشابهة له من جنس النظام * نذكر ما وقع لعوام بعض أهل الريف * ووصف طبعهم الكثيف * وأخلاقهم الرذيله * وذواتهم الهبيله * وأسمائهم المقلبه * وقحوفهم المشقلبه * وقصائهم المشرمطه * وأشعارهم المخلبطه * ونسائهم المزعجات * ومالهم من الدواهى والبليات * فنقول أما سوء أخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والابقار * وملازمتهم لشيل الطين والعفاره وعدم اكترائهم بأهل اللطافه * وامتزاجهم بأهل الكثافه * كأنهم

خلقوا من طينة البهائم * كما قال ذلك الناظم

لا تعجب الفلاح لو أنه * نافجة ارياحها صاعده

ثيرانهم قد أخبرت عنهم * بأنهم من طينة واحده

فهم لا يخرجون من طور القحافه * لملازمتهم المحراث والجرافه * وهزقحوفهم حول الاجران * وطردهم فى الملق والغيطان * ودورانهم حول الزرع * ونطهم فى الحصيدة والقلع * وغطوسهم فى الجلة والطين * وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين * اذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت * والنقز والبنتوت * والساقية والفرقله * وشيل الطين والجله * والعياط والغاره * والطبله والزماره * والحدوة خلف قفاه * ومزراقه وهزرداه * وحزامه الليف * والتبن والشنيف * وخلقته المشرمطه * وصورته المخلبطه * وطربوشه الدنس * وزربه الغلس * وطرده للغارات * والدواهى والبليات * ومشيه حافى * فى الحر والحلافى * وعياطه فى الظلام * يالسعد أويا لحرام * فتجتمع عليه اللموم * ويقع منهم على البلاد الهجوم * وهم سعد أوحرام * ويخرج اليهم الآخرون بالتمام * فيقع بينهم الحرب والعناد * وتخرب بسببهم البلاد * وتقطع الطريق * على العدو والصديق * ويترتب على ذلك المفاسد * وتمتنع عن بلادهم الفوائد * وكل هذا من قلة عقلهم * وكثرة جهلهم * وسوء أخلاقهم * وعدم اتفاقهم * اذ كلهم فى الظاهر مسلمون * والقتل عندهم مثل الديون * وأيضا عندهم قلة الوفا * وعدم الانس والصفا * لا يؤدون القرض * ولا يعرفون السنة من الفرض * ان عاملتهم أكلوك * وان نصحتهم أبغضوك * وان أقمت لهم الشرع يفضلوك * وان ألنت لهم الجانب مقتوك * العالم عندهم حقير * والظالم عندهم كبير * امورهم معاند * وليس عندهم فوائد * عندهم قابض المال * اعز من العم والخال * سود الوجوه * اذا رأوا معروفا انكروه * كما قال الشاعر فى المعنى

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبدا * فان اكرامهم فى عقبه ندم

يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم * سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا أقاموا أفراح * لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح * وشدة الاضطراب والكرب * وربما وقع فيها البطح والضرب * وشاهدنا كثيرا من أفراحهم * وما يقع فيها من عدم نجاحهم * وستأتى كيفية أفراحهم وأعراسهم * وعدم ذوقهم مع جلاسهم * وأما اكرامهم للضيوف * فهو هز الاردية والقحوف * والجلوس على المساطب * ونفش اللحى والشوارب * وان حصل منهم الكرم بالاضطرار * يكون العدس والبيسار * والكشك الحامض بالفول * اونوع من المدمس والبقول * ولو مكث الشخص منهم مدة فى مصر ودمياط * لم يكتسب من اللطافة قيراط * وبعض اكابرهم المشار اليه * والمعول فى الامور عليه * اذ اطلع مصر لمقابلة الامير * أو قضاء حاجة من الوزير *

ترى عليه ابس محبوب * ومع ذلك يمشى حافى بلا مركوب * وأمورهم ليس لها انضباط * وأحوالهم شباط وعياط * وورد هم عند الاسحار * التفكر فى الغنم والابقار * وتسبيحهم فى الظلام * هات النبوت والحزام * وحط العلف * وهات الكلف * قال الشاعر فى المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة فى القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاءك الحراث

لا يرحمون صغيرا * ولا يوقرون كبيرا * عوراتهم عند الاستبراء على الفساقى مكشوفه * وثيابهم بالنجاسة محفوفه * يجتمعون لحساب المال فى المساجد * وليس فيهم راكع ولا ساجد * أولادهم دائما عرايانين * وتراهم فى صورة المجانين * الرحمة فيهم قليله * والرأفة متروكة ذليله * كأنه يكتب لطرد النمل بلا مراء * ارحل أيها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى * ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك * وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فان المقت اذا نزل فى بلاد الريف طوقا ما يكون فى المدن كخلخال الرجل قلت واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت خبرا لساكن فى الريف معدوم اللذات لانه دائما فى انقباض وطرد * وجرى وكر وفر * وحبس وضرب * ولعن وسب * وهوان وشحار * وشيل تراب وحفر آبار * وخروج للعونة على جهة السخره * وتعب شديد بلا اجره * واذا كان ذو فضل ضاع فضله * أو ذو عقل ذهب عقله * أو ذو مال أغروا عليه الحكام * أو ذو تجارة نهبوه فى الظلام * فالحق عندهم مضاع * والباطل عندهم مذاع * وحكم الله ليس له اندفاع * ولنذكر طرفا يسيرا من أسمائهم وما يكنون به فنقول (أما اسماؤهم) فانها كأسماء العفاريت * أو رقع الشلاتيت * فيسموا جنيجل * وجليجل * وعضر * ودعموم * وزعيط * ومعيط * وقسيط * وشلاطه * ولهاطه * وشقليط * ومقليط * وصفار * وبهوار * وجعار * وعمران * وشعوان * وسمنوت * وبرغوت * والعفش * والنبش * وكسبر * وقندر * وجتين * وبنين * ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة * ومحمدين بكسرهما أيضا وغير ذلك من الاسماء وان كانت لا تعلل فان اسماءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسموا بالفال كما اتفق أن رجلا ولد له غلام فسمع رجلا آخر يقول يا أعمش العين فقال نسميه عموش فسمى بذلك واتفق أن رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول لآخر هات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة أو بغلة أو غلة أو قلة وقال بعضهم فى هذا المعنى

ووزن زبلة لديهم عجله * ونملة وبهلة وبغله

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم ان زوجته
ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لآخر دم الحس قفا فسماه بذلك ثم ولد له ولد ثان فسمع
رجلا يقول لآخر شاربك فى الخرا فسماه بذلك ثم ان دم الحس قفا كبروا نشا وكذلك
شاربك فى الخرا بلغ من العمر عشر سنين فأرسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دم الحس
قفا القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق فى يوم من الايام أن
دم الحس قفا قال لاخيه شاربك فى الخرا اقصد نايا اخى الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال
شاربك فى الخرا ملح السمع والطاعه فتوجه دم الحس قفا هو وأخوه شاربك فى الخرا
الى أن أشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحس قفا ماهر فى العوم واخوه
شاربك فى الخرا عومه قليل فسبق دم الحس قفا اخاه شاربك فى الخرا فتضايق
شاربك فى الخرا واشتد به الامر وأشرف على الغرق فالتفت اليه دم الحس قفا فرأى
شاربك فى الخرا فى شدة عظيمة فأقبل عليه ووضع يده تحت ابطه وأسنده على ظهره
ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البر فلولا أن دم الحس قفا سبق والا كان شاربك
فى الخرا غرق (ومر رجل) فرأى ولدا يضرب أباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام
ان لابيك عليك حقا أن لا تنهره ولا تؤذيه وأن تحسن الادب معه ولو كان كافرا
فقال له ياسيدى وأنا الآخر لى عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له أن يحسن
اسمى ويعلمنى القرآن وأن يرشدنى الى أحسن الصنائع وهذا سمانى دبوس وعلمنى
لسان المجوس وصيرنى بين الناس خلبوس أفلا اضربه واسخر به وأسبه فقال له بل
صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه فقال له ما اسمك فقال تنور قال وأمك قال شرارة قال وأبوك قال لهب
قال وفى أى واد أنت قال فى وادى النار فقال له رضى الله تعالى عنه اذهب الى واديك
فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضى الله تعالى عنه
(والاسماء تدل على لطافة المسمى او على كثافته وفى كلام أهل العلم والتأديب كل أحد
له من اسمه نصيب * (وأما كناهم) فأبو شعره * وأبو معره * وأبو عفره * وأبو دعموم *
وأبو شادوف * وأبو جاروف * وأبو مشكاح * وأبو رماح * وأبو بطاح * وأبو بقر *
وأبو مطر * وأبو هودج * وأبو خرق النورج * وأبو ضلام * وأبو شقوير * وأبو
فشقوش * وأبو قسيم * وأبو جريده * وأبو طعيمه * وأبو بليله * وأبو زغاول *
وأبو سيسى * وأبو جاهل * وأبو قصاله * وأبو زباله * وأبو بعبوص * وأبو غوص *
وأبو لبده * وأبو غده * وأبو زعيط * وأبو معيط * وأبو بريطع * وأبو زعيزع *
وأبو نعيتع * وأبو شعيشع * وأبو صابر * وأبو خنافر * وأبو هبول * وأبو هوير * وأبو
طرطر * وأبو عوكل * وأبو حوقل * وأبو عستول * وأبو ذبابه * وأبو زغابه * وأبو
طريف * وأبو قدح * وأبو عريش * وأبو كريش * وأبو فتيشه * وأبو دشيشه *

وأبو قزق * وأبو قلوط * وأبو جلاط * وأبو جبص * وأبو كانون * وأبو مقلب * وأبو جعباط * (ويلقبون) عمران القليط * وعمير القرط * ودقيرى * وفنديسه * وشعير * وبعيبر * وعنطوز الباب * وشلاطة محلاب * ومحمد القلاب * وكسير التقليه * وبربور الهبله * ولهاط الزبله * ومشلي الجله * ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظة هاه وهيه وايش حالك واى مالك وابهاه عما هو مشهور بينهم (وأما أسماء نسائهم) فن حتى أسمائهم * فيسمون زعيره * وبعيره * وهيطله * ومبكله * واخطيطه * وحويطه وعنكه * ودعيكه * ودكيكه * وشباره * وشرابوه * وزراره * وطلاره * وعبازه * وشلبايه * وعطايه * وعليوه * وحليوه * وهديه * وبليه * ولبده * وغده * وشمه * ولمه * وبلبه * ومرروه * وبروه * وفيوه * وخربوه * (ويكنون) بأم جعيص * وام معيص * وام رميح * وام عزام * وأم زوام * وأم شقيره * وام صقيره * وام شواهى * وام دواهى * (ويلقبون) بجلايه * وكرسايه * وغاسوله * وقاره * وفرقاره * وغاره * وغياره (فهذه) اسماء وألقاب وجودها كالعدم وانما هى ألفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها ياداهيه ياداهيه تقول له تجيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها ياداهيه ياداهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى انعشى فقالت له ابنك يخرى كل أنت وقال شخص منهم لزوجته ياقطيعه قالت له تجيلك ياابو عنطوز (وأما اولادهم) فانهم مثل أولاد الهنود * أو أولاد القرود * دائما فى شلاتيت * وشراميط * ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس * غارق فى الجله والساس * ونومه فى المدود * وشربه من المترد * واكله من الجله * ولعبه حول العجله * يشخ ويخرى فى ثيابه * دائما فى مخامه وهبابه * عمره فى الدناسه * وامه فى نجاسه * واذا درج فى الحاره * لا يعرف غير الطبله والزماره * والطرد ورا الثور والفحل * وسخامه فى الجله والوحل * لا يلبس على طهارة قميص * وعيشه دائما فى تنغيص * خالى من التنظيف * وكلهم مخوخ من مخوف الريف (وأما نساؤهم) عند الجماع * فانهن فى حكم الضباع * يدخلن الافران * ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان * وتظهر لهم روائح الدمس * حتى يصيروا فى قلس * ثم ينضجعوا على شئ من القش * وما تيسر من القصل والعفش * بعد اكلهم المدمس والبيسار * حتى يصير الشخص منهم كأنه حمار * ثم يضم زوجته اليه * وهى تتشقلب عليه * فيظهر من بين الاثنين * روائح الجله والطين * وتعطيه رجليها * وينظر الى عمشة عينيها * ويطرحها على جنبها * فتستغيث بربها * وتقول احيه جتك داهيه احيه جتك مصيبه احيه جتك غاره فنفحها بليه * وجماعها رزيه * وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مدود الحاره * أو فى الغيط جنب العباره * وقد تمكنت المرأة منهن الجعمه * لا تغتسل من الجنابة لمه *

وكذلك الرجل بتحقيق * فى اعظم الدناسة وعدم التوفيق * (وأمّا أعراسهم) فانها مثل قيام الغارات * أو تعفير الكلاب فى الحارات * يدوروا بالعريس دوره * وهم فى غارة اوغوره * وعائط وصراخات * ودواهى وبليات * وزعيق وعفره * وصياح وغبره * والكلاب تنبح * والشعرا تمدح * والطبل يضرب * والمشاه حوله تلعب * والجدعان تخبط بالنبابيت * والاولاد تنط بالشلاتيت * وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد * وربما هشموا بعضهم البعض * وقد يموت الواحد منهم والاثنين * ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين * وتخرب من فعلهم البلد * ويزيد الهم والنكد * ثم بعد هذه الدوره * يفرشوا للعريس جنب الجوره * ويجلسوا على نخ أو حصير * أو برش من ابراش البير * ويأتوا له بالعروس * كأنها فحل جاموس * منقشة بالحبر والهباب * وقدامها الشاعر بالرباب * وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح * والجدعان تمشى بالمصابيح * ويرشوا عليها الملح خوف النظره * وقد خلطوا وجهها بالسواد والحمره * ويكشفوا وجهها عند الجلا * وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا * وهذا من اقبح أفعالهم وأتعس احوالهم * اذ لا يجوز هذا فى الشرع * ولا يقول به أصل ولا فرع * ثم انهم يجلسوها على شئ عال * ويأتى اليها الطبال * وينشدوها الاشعار * مما هو مناسب لها بالاعتبار *

شعر

ياعروسه ياام غالى * انجلى ولاتبالى
انجلى ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى
وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال
لك مسخة شعر يربط * فوق راسك لامحال
تشبهى به ام مجبر * دائره وسط التلالى
ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى
وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى
واسخرى له واغنجى له * بالدواهى والهبالى
تصلحى له ياعروسه * تم امرك بالكمال

(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس * وينادى بينهم رجل فلفوس * بيده شعله من شرموط * هاتوا النقوط * صاحب العرس بقى فى أمان * هاتوا يانساء ياجدعان * فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين * والذى يرمى نصف اونصفين * وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كأنها وجوه التيوس * وينادوا قمح والاشعير * والاسمسم مقشور وغزير * فان كانت مليحه قالوا قمح زريع اوسمسم مقشور * وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور * ثم انهم يدخلوهما الى الفرن اوالبيت * ويسرجوا لهم بشئ من عكار الزيت * ويفرشوا لهم شئ من التبن اوالقصل * ويضعوا لهم وسائد محشوة من قشر البصل *

ويغلقوا

ويغلقوا عليهم الباب * ويدقوا الهم بالحجارة على الاعتاب * فان أخذ وجهها هنوه * والا جرسوه وهتكوه * وقالوا اله شرقت البلاد * وهتكتنا بين العباد * فعرسهم هتيكه * وفرحهم مصيبه * ووليمتهم الكشك والفول * ونوع من البقول * والارز بالعسل يشبه الطين * والارز باللبن يشبه طعام المجانين * وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكش حيث قال فى القصيد شعر

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جوّا المساطح
نصفها بالسلطه من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها للضوء برّا الزريبه * بقاشى يقول مشعر وشى يقول قاح
وصحت تهنينا اكابر بلدنا * علينا تفال العيش مسبول سايح
هداديه تخبط على ثقل ركبتى * وانا بلا لبده قليل الملايح
وجلس بجنبى ابن جعر وابن كل خرا * وابن الغفير وانا اروح روايح

أى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان الاعادة * فى ذكرهم ليس فيها افاده * فقد افردت عرسهم بمؤلف فراجعه ثم انهم عند الصباحيه * يجتمعوا المشاة فى الظهريه * ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومه * لا قدولها ولا قيمه * ويجتمعوا مع بعضهم البعض * ويرمحوا فى طولها والعرض * ويقولوا حكمنا عليك يافلان * قوم هات العيش والمش ورطل دخان * ويأكلوا وينطوا * ويشيلوا ويحطوا * ويأتوا بحجارة الدخان مثل أرباع الكيل * ويصيروا فى عياط وشياط الى الليل * ويسموا هذا اليوم يوم الهيروبه * وأمورهم كلها مقلوبه * وبعد ثلاثة ايام * يخرجوا العروسه بالتمام * ويكشفوا وجهها ثانى مره * ويجعلوها للناس شهره * ويأخذوا أيضا النقوط من الناس * واحوالهم فى انعكاس * (ذكروقائعهم) حكى أن بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسة وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة البرد وهو فى حالة مكروبه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له ياملك هذا من فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير فى هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر *

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا اخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه بالعلم وألبسناه ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه وتخف ذاته وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال

الوزير أيها الملك أما سمعت قول الشاعر

لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر فى ضرعه
من كان من جميزة أصله * لا ينبت التفاح من فرعه

(وقال آخر)

الطبع والروح فى جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه وحكى أن رجلا أعرابيا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغيرا فرحمه وأخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى أن كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ فى لحمها ودمها فلما رجع الاعرابى ورأى ما فعل أنشد يقول

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا أديب

ومن ذلك ما حكى أن جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت الى أعرابى ودخلت منزله فخرج الاعرابى اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا الضيف فانه قد استجار بى فقالوا اياه هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون أبدا ولا أسلم لكم أبدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابى يوما ليغتسل فلما أبصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت فى لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابى فأنشد

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت بقربه * من الدر ألبان اللقاح الدواسر
وأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام على رضى الله عنه قال لا تعلموا أولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالى الامور فاذا نالوها اعتنوا باهانة الاشراف وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم أجلاف تخوف كأنهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
هل فى الانام رأيتم * لخفار قيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصا دنى الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) أن امرأة ذات حسن وجمال * وقد واعتدال *

كانت

كانت متزوجة بابن عم لها وهى متضررة منه وراغبة فى فراقه فارسلت للعلماء فى تدبير حيلة للفراق فلم تمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دنى الاصل تعلم العلم فدبرها أن تدعى أنها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتحتق الى أن تنقضى عدتها فتصل الى الحاكم الشرعى وتعترف بصدور ذلك منها وأنها تابت ورجعت الى دين الاسلام وأخذ على ذلك منها شيأ ففعلت ما أمرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا أن لا يصدر هذا التعليم الامن ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه * وفى هذا المعنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه فمن منح الجهال الى آخره * وكذلك ياملك الحكاية المشهورة وهى أن رجلا دنى الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابى ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عنى فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فأكل حتى شبع واذا محتسب المدينة مار ينادى على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية أن ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف الرذل وأخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال للمحتسب نصرك الله على هذا الرجل يباع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فأخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل ردىء الحال والفعال وقال له ماذنبى معك وأنا شفقت عليك وأطعمتك حتى شبعت صدقة عنى فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال وأبوك قال فلان قال وأمك قال مرجانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا ألومك ابدا جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه أخرجه من دكانه ومضى الى سبيله * وفى هذه الحكاية ياملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لا بد من اخذه وتعليمه ولا أركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدالك فأخذ الفلاح وأنعم عليه وألبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع فى علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير فى حق الفلاح ونصحه الملك فى عدم اخذه وتعليمه فأرسل اليه فلما حضر قال له ياوزير خابت فراستك فى الفلاح فانه الآن بقى على غاية من العلوم وصار له براعة فى علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير ياملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فأرسل اليه فحضر فقال له الملك بلغنى أنه صار لك قوة فى اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادى أن أضمر على شئ وتبينه لى فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه وأطبق عليه يده وأتى اليه وقال له انظر ما فى يدى قال فأقام الاشكال وقال فى يدك شئ مدور قال نعم قال وهو خالى الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال أظن والله أعلم أنه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول ياملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل) التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر

احوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل فى دار الحكم وتسمى عندهم دار الشدّ
أقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وأمامهم شيخ كبير قد طعن فى السنّ
وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو أمام القوم قام اليه وأكرمه
وأجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال فى نفسه لعله من أهل الصلاح لانّ ما فى هذه القرية
اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة
وأن يجتهدوا ويفيقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا
الشيخ الكبير ووقف بين يدى الامير وقال له انى اريد أن انصحك ايها الامير وأرشدك
الى شئ تفعله فان أنت فعلته فاقوا لانفسهم وسدّوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ
فان ما فيهم من هو اكبر منك سنا وأعلى قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم
دا الجامع اللى فى وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة اللى يقولوا عليها الناس
ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسدّوا المال ولو أنى طاوعتهم يا أمير
وصرت كل يوم أدخل دا الجامع كان انكسر علىّ مال السلطان وما نفعنى طول عمرى
ما أعرف دى الصلاة اللى يقول عليها الناس ولا دخلت الجامع أبدا قال فتعجب الامير
من طول عمره وقلّة دينه وشدّة جهله وقال له أنت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق
فى رقبته الاوطية وأركبه حمارا معكوسا ونادى عليه حوالى البلد بعد أن ضربه ضربا
موجعا وأخرجه من القرية على اسوا حال (ومما يحكى) أن أبا نواس جلس يوما هو
والخليفة هرون الرشيد فى محلّ المداعبة والملاطفة فأحضر بين يدى أبى نواس صحن من
الخشتنانك المحشو بالسكر وصار يأكل هو والخليفة فقال الخليفة يا أبا نواس هل يمكن أن
أحدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوامّ الريف الفلاحون وأضرابهم فانهم
اناس نشأوا فى أكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من
المأكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لا بدّ أن تحضر لى رجلا منهم فى هذه
الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشى فى شوارع بغداد
فرأى رجلا يحاكى سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت
وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد أن يحزم عليها بان ايره وانكشفت عورته واذا بال
بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لبدة من الصوف
طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة
يأكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو فى حيرة لا يدرى اين يذهب ويأكل
وينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه أبو نواس فى هذه الحالة عرف أنه قحف من
قحوف الريف فسلم عليه فلم يردّ عليه السلام وتحير فى نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظنّ
أنه يريد أن يأخذ الرغيف منه فحطه فى عبه وقال له يا جندى أنا ما معى شئ تأكله غير هذا
الرغيف وأنا ان اعطيته لك قتلنى الجوع وأنا عمرى ما طلعت هذا الكفر وأنا بانظر فيه

جنادى كتير مثلك ود ورمثل دورنا وخايف من الجنادى لا يقطعوا راسى فقال ابو نواس
فى نفسه الحمد لله الذى اوقعنى فى هذا فهو المطلوب الذى لم يعرف الكفر من المدينة
ثم انه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تفزع فمالى حاجة برغيفك ولا انا جيعان وأنا
مرادى اغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندى وأنا الآخر لما تغدينى
وتبيض وجهى أزورك بأربع بيضات وان فقست وزتنا اجيب لك وزه خضرا وأجعلك
صاحبى ولا تخلى أحد يقطع راسى لانى خايف اروح الكفر بلا راس قال فضحك عليه
ابو نواس وقال له امض معى فى هذه الساعة أغديك واصافيك قال فسار معه وهو
لا يدرى اين يذهب حتى أقبل على ديوان امير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما رأى
الديوان وكثرة العسكر بهت وحار فى امره واندهش وقال الله وكبر القيامه قامت ودا
المحشر لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف ولا تخش من شئ
وضمانك علىّ فقال له يا جندى أخاف العرض على ربى من الحساب ليحاسبنى على ضرب
البهايم ونيك الحمير فى الغيط لانى ما خليت حماره فى الغيط بلا نيك من خوف لا اهجم على
نسوان الكفر يمسكنى المشدّ يقطع راسى وباسمع الناس وهم يقولوا كل من نكح دابة يجى
يوم القيامه وهو حاملها وأنا نكحت دوابّ كتير حتى الكلاب والقطط لا اقدر أحملهم
فى هذا اليوم وانت تشفع لى عند ربى يسامحنى فى هذا اليوم مما فعلت فقال له ابو نواس
لا تظن أن هذا يوم القيامة وانما هو ديوان الخليفة هرون الرشيد السلطان فقال له
يا جندى أنا ما رأيت مثل هذا المحلّ أبدا ولكن ما يكون الخليفة قال له هو السلطان
الذى يقبض المال من بلاد الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان
يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس وأراد الهروب فلما سمع الخليفة
كلامه سأل عن القصة فأخبروه بها فضحك وأرسل يطلبه قال فأخذه ابو نواس وأقبل
به على الخليفة وهو فى دهشة وحيرة مما رآه من كثرة الجند والعسكر حتى وقف
بين يدى الخليفة فقال أنا فى جيرتك يا رسول الله يا ابو زعبل يا ابو عنطوز يا الله
يا مشايخ الكفر خلصونى قال فأمر الملك أن يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى
سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فرأى الخليفة جالسا على الكرسىّ وعلى راسه
التاج الكسروىّ فقال له أنا فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفة
وقال له يا فلاح من أىّ البلاد أنت فقال له أنا من كفر أبو زعبل وأنا شيخ الكفر وعندى
بيت ملان تبن وقصل وعندى عنزومركوب احمر وجباة راس البامعين وعندى
فرختين وديك وشوشتين عضم وجحف طويل مثل قحفك دا يا خطيب فضحك عليه
الخليفة وقال له من أحضرك عندى قال دا الجندى صبيك لا جزاه الله خير وكان
مراده ياكل رغيفى دا ثم انه اخرج الرغيف من عبه وأراه للخليفة فقال له الخليفة أنت
جيعان فقال يا خطيب صبيك اوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة ما تشتهى قال

العدس والبيسارهات لى عدس ومترد بيسار ورغيفين دره وأنا اخلى ام خطيطه تدعى لك فقال له الخليفة اجلس يافلاح قال فقعد ومد رجليه بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفا عليه أن يقع من وراء ظهره فأمر الخليفة أن يقدموله الصحن الذى فيه الخشتنانك فقدموه اليه فلما رأى الصحن قال يا خطيب المسلمين اعطنى من دا المترد كوره ألعب بها فى الكفر أنا وابو دعموم واولاد الكفر فضحك عليه الخليفة وقال له كل منهم كورة فقال يا خطيب المسلمين الكوره تتاكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فأخذ الفلاح واحدة ووضعها فى فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها فى جوفه صار يأكل اربع حبات سوا ويجمعها فى يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو فى حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يافلاح مايكون هذا الذى تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين طول عمرى آكل العدس والبيسار والكشك بالفول والمدمس ماريت مثل دا أبدا الا أنى سمعت ام معيكه جدتى تقول نعيم الدنيا الحمام والله أعلم ان دا هو الحمام اللى يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له هو خشنانك يافلاح كل واشبع فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر أزورك بحمل جله ومحلاب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات وأنت الآخر ماتحرمنى من نعيم الدنيا دا لما أحضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه وأنعم عليه وأذن له بالانصراف ومضى الى سبيله (ولقى) بعض اهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دى بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بداهيه كبيره فقال له تلفك وتلف وليداتك فى الشتا (وجلس بعض اهل الارياف) بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكى وقال له يابويه فحل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضى ديك والعام دا ديك احنا ياولدى اصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصار كأنه مات له ميت (وولدت لشخص منهم حمارة) فلقيه صديق له فقال له حمارتك ولدت فقال له وسبعت فقال له ماجاب الله فقال له جحش كيفك سوا بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحياه (وعطس رجل منهم ايضا) فقال له فقيه من أهل الريف يرحمك اللى عطسك ولو شاء لفطسك وأخرج العطسه من قبر قراقير اللى خلفك فقال له الفلاح يافقى لاعدت تنسانا من دى السورة تقراها علينا فى المسا والصباح واعطيك ايام المقات اربع بطيخات وتقرا السورة لام معيكه وتهديها لابو زعبل فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (وجلس جماعة من اهل الارياف) يتحادثون فى احوال الزمان اقباله وادباره فقام رجل منهم يقال له ابو عقره وسحب رداه واتكأ على عصاه ثم ضرب بها الارض وقال لهم ياشيوخ الكفر زمن الفرح اللى ولى وراح ولا بقى فى الدنيا خير ولا عاد يجى زمان مثل زماننا اللى كنا فيه وما تحصل أيام الاعياد والمواسم

فقالو.

فقالوا له الله عليك يابو عفره احكي لنا على زمن الفرح اللي شفته فقال لهم رحت يوم عيد
اللحم وكبرانا وابو معيكة وابو دعموم وكان معي ابن خرقع الليل ولد صغير واحنا نجري
مثل الكلاب السعرانه وانا مافش وعلى ردا من شعر الكتان شريته بنص فلوس جدد
الدراع وجبة صوف خدتها بخمسه جدد الدراع ولبده خدتها بعثماني وانا مزوق
على العيد كيف عنز الضحية وتحزمت بسير وسكين خدتهم من سوق هريظ باربعة
انصاص فلوس جدد وعلى راسي شد مشنر خدته من سوق يشـ له بنصين فلوس جدد
وبنوت كنت سرقته في زمان الشطاره وهر كوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ الكفر
كانت سرقته ام زعبل من واحد حضري دخل دارنا اللي على البركة بالامارة
يشتري بيض ورحت انا والجماعه نشتري مصالح العيد على الطريق اللي تطلع على
الكفر بتاع أبو عنطوز نمشي عليها كيف كلاب الغنم وكذا لقينا واحد دبح جدي
بالتخمين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابي على راس صاحبه وهو عمال
يسلخ فيه فقال لي ما تطلب يا شيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس
الدقاق وحياة ام زعبل ان كنت ما تكلمني اليوم وتوصلني والا ما عدت تدبح
جدي ولا كلب فقال لي يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له أطلب السقط
اقسمه بيني وبين اصحابي كل واحد يأخذ تلته فأخذت منه السقط بعد عياط وشياط
وضراط وحياة لحاكم يا اولاد كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عينت له الضرب
وقلت له يا عرص يا تيس وانا شيخ وبورد على الجدعان اليوم أطبخ وأغرف وأنا معمود
في الكفر والا ما كان اعطاني السقط وقسمناه احنا التلاته كل واحد خد جديدين ولكن
واحد من شركاتي غار علي وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من لودان الجدي وطلبت
اسرق سنه من اسنانه اعلقها لابني عفره على راسه تمنع عنه النضرة اتغلبوا على شركاتي
وقالوا لي يا ابو عفر ما تخون الامانة ان جات الاسنان في حصتنا خد ما تريد فتركت
الامر ده وخليت حصتي في طرف ردايه وكل واحد من شركاتي خد حصته
ولفعت نبوتي على كتفي ومشينا كيف الكلاب السعرانه وانا عفر بين الكيمان والكلاب
تجري وراي على ريحة اللحم وكان حرقني شخاخي وحياة لحاكم ومن خوفي من الكلاب
لا ياخدوا مني السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ ولما دخلت الدار شفت
ام زعبل حشا العيب قاعده في جنب مدود الحماره كيف كلبة المشد تعمل الجلة عليها
قميص من قطن مخطط كنت شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد وفوق
راسها طرحه كبيره مثل الردا اخدتها بأربعة انصاص فلوس جدد وسرموج اخضر
واحمر مصبوغ بحنلو برسيم سابل للغوران وفي رجليها حجل نحاس مطلي بقزدير وفي يديها
نبايل نحاس اصفر وفي لودانها حلق طارات فدخلت عليها مشنغر بدقن كيف دقن
التيس وشوارب مطرطره كل من شافهم خرى على روحه فقامت ام زعبل ومسحت

يديها من الجلة ولا قتنى بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعد ما الا قشتها ولا قشتني ولا طعتها ولا طعتني وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان يعنى ديك القضيه وانتم تعرفوا انى حدق وشاطر وما يطلع من حنكى عيب وما انتم شفتم ايه من الفرح وبعد دا ودا فانى اغنى البهايم والحمرات اتعلمت الغنا من ابويه وجدى وأنا فصيح قوى فقلت يا ام زعبل ربنا يخلى لى شلشولك وقامتك أنا بانطر حلقك يشتم الناس وهو مايل على اودانك وأنا رايح اغنى عليه فقالت لى يا ابو زعبل وحياة شاربك اللى كيف شارب الكلب الا تغنى لان اوحشنا غناك وقصايدك ومرادنا تسمعنا قصيدتك اللى تقولها فى الحلق فنشدت لها قصيد ومن صلى على النبى يستفيد

ألا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالاته
تبيع الورد فى الصحبه * قيصك زين الطرحه
عسى الله أنضرك لمحبه * تجمع عندنا الجلاته
ألا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالاته
الا يا بو قيص هربيط * عسى الله أنضرك فى الغيط
وأدى لك قدح مخيط * وأدى لك شمال كراته
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وأعطى لك شمال خبيز * وأعطى لك قدح جميز
وأجعل لك على تميز * فطيره دخن فى الصحبات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالاته
أنا حبك كما العجله * ويا زينك حدا الجله
تعالى الغيط بلا مهله * وتتفرج على العجلاته
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالاته
تعا عندى وكل جعضيض * وجيب لك يا مليح حيض
واقلى لك كمانى بيض * بزيت حار من حدا الزياته
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالاته
أنا خنى أن أقل تعال * تعاونى على دى الحالة
تعالى امشى وضال عمال * أروح بك دارنا وتباته
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ودمس لك أنا القبه * وجيب لك فول من القضبه
وكل واشرب كمان شربه * تخليك تشبه العنزاته
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالاته
وجيب لك عدس مع بيسار * وكسرة عيش مع فول حار

وجيبلك مسرجة زيت حار * تنورلك كما القمرات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحطلك جنب مدودنا * والاجنب جاشنا
ووريك بوز بقرتنا * وهي تقرش من القصلات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وان شاء الله اروح طنه * وجيب لك يا مليح فرخه
وفي الداران ترى الشخنه * عليها صب من بولات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وخليك كيف أبو برير * وتملقش وتشخر
وتشقلب وتتغندر * وتبقى لى كما الكلبات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيه لى وتتبكه * وحطو فيك واتكه
وأنا ابو عفر ابو دكه * ابيع المش فى الحارات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وناشاعر وشيخ الكفر * نشدت قصيد كنيف الزمر
وقومى وارقصى بالعفر * ودا يوم عيدوله طنات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والفشه * على الكانون والكرشه
وتتغدا وتتعشه * ونعزم دار ابو سكرات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا لا باس * نصلى على النبى يا ناس
ويشفع لى وجمع الناس * وينقذنا من الهلكات
الايابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره ولخوه فرقع الليل حتى وقعت الزحى من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يابو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم اول وتانى وقالوا غدا يسمع بك نصر انى البلد ويقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك ياعرص تقول له يا سيدى وان شا الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطانى شى انعبت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لى يابو عفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك ما بقى معى فلوس وانا قشلان فقالت لى من خلى شى لعقب الزمان ينفعه أنا خليت فى الصومعه اربع بيضات خدهم ولا تقول لحد فان الناس تحسدنا الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم يابو عفره فى نعمه كبيره

هات لنا بيضه مرسين و بيضه محلب و بيضه نعناع ونا البيضه الرابعه عصفر نزعفر به تياب ابنك عفره وأخوه فرقع الليل حتى يتاولين اولاد الكفر و يبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شوية زيت حار أدهن بهالشعر راسى وتدهن بيه بهاد قنك وشوار بك وتنط بين الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين نخدت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقيتها فى كرش الجدى شويه فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشدو جونى الشباب والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام فأكلوا وفرحوا ولعبوا بورقه واوانار دينهم وكان يوم ما عاد يجى مثله فقالوا اله اصحابه زمانك يا بو عفره ولى وراح وماتت الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاذه المال فأنزله فى محل فيه طاقة مفتوحة تشرف على حريم الامير فلما جاء الليل قال الفلاح فى نفسه يا ترى يا بو معيكه الامارة لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا و لكن انضر كيف ما يفعل استادك مع امرأته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل دالك العمله مثل ما تعمل الاماره وتحضيك ام معيكه بدالك العمله ولا بتمار طنوا على بعضهم البعض بالتركى وانت تنضر طريقة ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان أنا بقيت مثل الاماره وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استاد البلد ثم انه صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة قال فريت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللى بيقولوا لها عليه النياس وعليه الفرش يلمع وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام اللين ما بعرف بيقولوا ايه شردم بردم بالتركى ومره بالعربى الى أن اشتهى منها قضاء الحاجه نخد من جنبه وردمور ماها بها بخت له بحسنها وجمالها على أحسن حال وأتم سرور وعملوا دالك العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح أخذ الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته ام معيكه وبعها زلعة ملانه ماء من الفحيرة فسلمت عليه وجلست هى واياه فى منادمة مثل منادمة القرود أو بربرة الهنود الى أن سألته عن المدينة وعلى استاذ البلد فقال يا ام معيكه المدينه مليحه ولا صعب غير الشخاخ فيها الا انهم لا يشخوا الا فى نقره وهى مبنيه كيف دارنا ولا مليح كانى الا امراة استادنا تشن وترن وعليها خلقان ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم أحمر واصفر وعلى راسها قحف مثل قحفى اللى ألبسه فى ايام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفى ايديها اساور صفر الله أعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر مخيط مثل الزكيبه اللى نعبى فيها الفول الاخضر وفى سيقانها حجل كيف حجل ام دعموم اللى شريته لها بنصين فلوس جدد ولابسه شايه خضره الله أعلم انها مصبغتها ببرسيم ويا محسنها وقت دالك العمله اللى يعملوها الرجال مع النسوان نخاطرى يا ام معيكه تعملى لى مثلها حتى يبقوا يقولوا الناس

ومشايخ

ومشايخ الكفر بقا أبو معيكه مثل الاماره فقالت له يا بو معيكه احكى على اللى شفته من
امراة استادك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاد خطنى فى مطرح فيه طاقه
تطل على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقيت اتحسس
كيف الكلب فريت الامير استادنا قعد على خشبه سوده مربطه بشراميط يض لها اربع
رجلين كيف عريش المقاتات اللى نعملها ايام البطيخ فى الغيط وقعدت امراته على خشبه
كيفها مثل جرافة الغيط وبقا يكلمها بكلام الجنادى يقول لها شلضم بلضم تقول له
شقلب مقلب حتى اشتهى منها ذاك العمله خدفها بنواره حمره مثل نوار ابو النوم فقامت
نشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت له ام معيكه وحيات شاربك اللى
مثل شارب التيس لا عمل لك مثل عمل الاماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجى الليل
تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود الحماره وانا اقعد
فى مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت والشراميط وآثار
الجله فيها وفيها الشخاخ أيضا قال فلما خطر للتيس الناصية قضاء الحاجة بعد أن صار
يناديها بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وسؤالات عن البقره وعن العجله والتور
والجله وغير ذلك أراد أن يرميها بشئ مثل ما فعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب
طوب محروق فخده وحدفها به فوقع فى وسط راسها ففلقها وسال الدم فصرخت بأعلى
صوتها فأقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر فأقبل هو وطائفته وسال عن
القضية فأخبروه بها فأخذه وضربه ضربا موجعا وأحضروا للمرأة جرائحيا فقطب
رأسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى أن برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله
الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات فى البلد (واتفق)
ثلاثة أنفار من تحوفة الريف ارادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال
كبيرهم وصاحب الرأى فيهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يقطعوا الروس
واحنا فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركى والا قطعوا روسنا فقالوا له
اصحابه يا بو دعموم احنا ما نعرف شى بالتركى ولا غيره فقال لهم انا تعلمت التركى زمان من
مدة ما كنت اقعد حدا المشد والنصرانى ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا
التركى فقال لهم اذا طلعنا المدينه نروح الحمام اللى يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه
ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه يشخوا ويخروا فيها وبعد ما نخرج من نعيم
الدنيا نقف ونلتف فى بردنا ونتم امرنا أقول لكم قرداش محمد قولوا اهاه نوار أقول لكم
معاكم شى برمنقار قولوا يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب
يقطعوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهينا الناس ونبقى فى مصر مثل الاماره
ويشيع خبرنا عند الكفر اننا اماره نرطن بالتركى فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا
كلام أبدا فقالوا له اصحابه دى شوره صواب يا بو دعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر

وسألوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البردوا الشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يفعلوا فى البرك والابيار فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فأرادوا أن ياخذوا بردهم ليستروا بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام فربطوها على عوراتهم غصباعنهم وصارت عوراتهم فى الغالب مكشوفه وابورهم مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس اوالمعز اوالتيوس حتى بقوا داخل الحمام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام وغطسوا فى المغاطس مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم فى حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف وارادوا الخروج بلا خلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجره يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا اهاه نوار فقال لهم معا كم شى برمنقار يعنى جديد فقالوا يوق يوق يعنى ما معناشى فقال لهم صاحب الحمام أى وقت يا تيوس تعلمتم التركى المعكوس وبقيتم أماره وما هذا التركى الذى يشبه الخرا اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجره بزياده قال ثم انه أمر اصحابه بصكهم وضربهم وأخذ البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا فى الاجرة وقد اقترضوها من أهالى الكفر وخلصوا بردهم وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد ينادى فى الاسواق على رجل يستحق القتل فظن أنه ينادى العونه يا فلاحين ففر هاربا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينه فانهم ينادوا فيها العونه والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعو مصر خوفا من العونه والسخره فلتنظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم (وطلع رجل منهم) قرية على شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة فاعتقد أنهم ذاهبون الى ضيافة أو الى هروبه صنعها لهم أمير البلد فذهب الناس الى أن دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس فى بعض الصفوف الى أن أقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح ينظر اليه وهو مرتاب وخائف ومتحير الى أن فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع ضجيجهم بالتكبير والتهليل فاعتقد أنها هرجة وقعت بينهم قال فصاح الفلاح يال سعد يال حرام انهم كبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خدولك القوم يابو كتكوت ولم يزل فى خوف وكرب حتى وصل الى الكفر فلاقاه اصحابه وسلموا عليه فرأوا احواله متغيرة فقالوا واله ايش اصابك ودهاك يابو كتكوت فقال لهم ياما قاسيت فى دى السفره كانوا القوم مرادهم ياخدونى ولولا انى سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا اقتلونى فقالوا واله ايش الخبر يابو كتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمنى الا الله وبركة الشيخ أبو طبل فقالوا واله احكى لنا على ما جرى لك فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرأيت ناس كتير رايحين زى قطايع الغنم فقلت لا بد ما هم رايحين

لضيافه أو لهروبه فرحت معاهم حتى دخلت دار كبيره فيها حجاره طوال منقامة زى الدعايم بتوع العريشه اللى نعملها فى الغيط وعليها قناطر مبنيه زى قناطر الصابون وفيها حبال مدليه زى حبال التيران فى كل قنطره حبل وفى جنب حيط من حيطان الدار خشبه عاليه لها سلالم زى سلالم الغرفه اللى نعملها على البيوت من الكرس والطين ونلطخها بالوحل من اولها الآخرها والخشبه دى لها راس كبيره زى الناطور اللى نعمله فى المقثات وقصادها عريشة صومعه زى العريشه اللى نخرص عليها الدره والحمص فى الغيط ولها سلالم فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم وحط ايده فى ودنه وقال كلام ماحد يعرفه الا واحد خرج من حاصل فى جنب الدار عليه عمامه كبيره الله أعلم انه قاضى ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم بقلب قوى ووجه كاشر زى وجه تيس الوسيه وماضال طالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على السلم الاخرانى وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونضر للناس اللى تحته وبهت فيهم وكشر على انيابه وهو ساكت غضبان كل من شاف شواربه شخ على روحه وحيات لحاكم ولا عمرى شفت اقوى قلب منه ولا أشد حيل ولولا انه واس صابيه ما كان عمل دى العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه اللى على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كتير فاتحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهو ساحب السيف يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبر وقامت العيطه وكنت اسحب نبوتى وخرجت هارب وماسابنى الا الله وبركة الشيخ ابو طبيل فقالوا له أهل الكفر والله يابو كتكوت لولا عمرك طويل ماسلمت من القوم وكانوا قتلوك وأنت تعرف ان بلاد البحر كلها اقوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم ياشيوخ الكفر ماعدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لايدرى الصلاة ولا الجامع من قيام الهرجه (واتفق) لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن فى أزقة المدينة فلقين رجلا من قحوف الريف وهو فى حالة رذيلة وعلى راسه قفص ملآن من الفراخ يريد أن يبيعها ويسد بثمنها أموال السلطان فقالت احداهن للاخرى ماتقولى فى اللى ياخد الفراخ من الفلاح ده فقالت الثانيه وأنا اخد ثيابه وقالت الثالثة كل ده ماهو شطاره الشطاره فى اللى تبيعه بيع العبيد أو المقداف أو الجزافه (قال ثم ان الاولى) التى التزمت بأخذ فراخه أقبلت اليه وورغبته بزيادة فى الثمن قال فمضى معها الى أن أقبلت على درب من دروب مصر وبيتنا فذله باب ثان من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر حتى اجى لك بالفلوس ثم أخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثانى

ولم يزل الفلاح جالسا على الباب ولم يأته أحد ورأى الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لا بد ان دى دار كبيره وسأل عن المرأة التى أخذت الفراخ فقال له الناس يا سقيع الدقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجاله ونسوان داخلين خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى دربا كبيرا نافذا من الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه وأقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحالة (اذ أقبلت عليه المرأة الثانية) وقالت له ايش صابك ودهاك يا مسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك دى العاهره وخدت منك الفراخ وتركتك فى دى الحاله فقال لها الفلاح وحياة عيونك يا مليحه ما معى غيرهم فقالت له امش معاى الى بيتنا وأنا أعطيك شى من الدراهم صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وأنا الاخر لما اروح البلد ازورك بحزمة خلاح وحزمة بصل وشويه قرله تبقى صاحبتى وان شا الله اجيب لك كمان عشرين قرص جله قال فأخذته وسارت الى أن أقبلت الى بيت كبير عالى البنيان فسألت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض المنتزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه أحدا سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرأت فيه بئرا من الماء تملأ منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها ولولت وصرخت وبكت بكاء شديدا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يا مليحه فقالت له يا فلاح كعبك شوم وقعت اساورى الدهب فى البير فقال لها ما تخافيش أنا أنزل وطلعهم لكى من البير فقالت له تعرف تغطس فى الما فقال لها دى صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنه اللى تجرى فيها الضعيف والقوى ثم قال لها اربطينى فى حبل البكره ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته فى البئر الى أن وصل الى الماء فأرخت الحبل عليه وأخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها (هذا ما كان منها) وأما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص فى الماء ويفتش فى قعر البئر حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء ولم ير شيأ قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادى المرأة فلم يجبه أحد فبينما هو فى هذه الحالة اذ أقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح فى البئر وينادى طلعينى يا صبيه طلعينى يا مليحه داما هوش مليح منك وداعيب عليكى وانا مت من السقيع والبرد فقال له الخدم أنت انسى ام جنى فقال لهم أنا بوزعبل بن جنجل بن كلب المش فقالوا دا عفريت لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير ما نا عفريت أنا راجل فلاح وحكى لهم قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا أنه انسى قالوا دا حرامى وقع فى البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف أين يذهب (قال فأقبلت عليه المرأة الثالثة) وهو فى هذه الحالة وقد صارت الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه بمنديل

كان معها وسترته بفوطة وقالت له امرك الى الله يامسكين ياحزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك فى دى الحاله وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها يامليحه وحياة شلشولك خدوا فراخى وتيابى وحزامى الليف وشدى ومركوبى وماعدت اصدق كلام نسوان ابدا فقالت له لاتظن انى من عواهر مصر أنا عمرى ماخرجت من بيتى غير النهارده ولما رأيتك فى دى الحاله شفقت عليك ومرادى أعمل معك جميل وآخدك الى بيتى والبسك لبس مليح وخليك شلبى ظريف واعملك مملوك وحط لك خنجر فى حزامك وعلمك التركى وتبقى تقول شندى بندى على فلاص جماص فقال لها الفلاح أنا فى عرضك ياملیحه تعلمینى جندى وتعلمینى التركى وأنا على الحلال من ام شعیبر كل من عاد یقول لى كانى مانى فى زمانى قطعت راسه ولو كان ابوعو كل شیخ الكفر فقالت له سر بنا یافلاح على بركة الله تعالى قال فسار معها الى أن أقبلت الى منزلها فأدخلته فیه ووضعت بین یدیه الطعام فأكل وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها أتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون وألبسته قمص وزبون وشخشیر جوخ وقاووق قطیفة وشاش قصب وحزمته بجباصة وخنجر فى حزامه وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق وأعطته بابوج جديد ومحرمة فى حزامه وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا الح عليك حد فى الكلام بالحماقه وشدد عليك قول له كرته هر يف بولنيمه ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمه دى أصل التركى اذا عرفتها مايمضى عليك شهر زمن الا وانت صنجق وبقى للنطبل وزمر فقال لها الفلاح انا فى جيرتك ياملیحه تخلینى ابقى صنجق ويصير لى سطوه فى الكفر وكل من قال لى كل خره أقطع راسه وابقى ان شاء الله ازورك بربع كشك وعشر طيور كعك من اللى تعمله ام شعيبر واعمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل والجله وافرشها بالتبن والقصل وتبقى تنامى فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شعيبر طلع المدينه فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس قال ثم انها أخذته ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى أن أقبلت على سوق خان الخليلى وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده انواع الاقمشة من الخز والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت له اريد منك كذا وكذا مما يساوى ألف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجة كانت معها وقالت له ياسيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى أروح الى بيت الامير وأعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى قال فأخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) وأما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأته المرأة فتضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحالة فقال لمستك بطت علينا فهز راسه حكم ما أوصته فكثر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثانى ولم يتكلم فتضايق

التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ما هذه البلية فى هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كأنه ما يعرف الا بالتركى قال فبينما التاجر على هذه الحالة اذ أقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك يا سيدى تكلم لنا هذا المملوك بالتركى وعرّفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركى فهز راسه فاغتاظ منه وسلّ عليه السيف وأراد أن يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ الفلاح فقال له كرته هريف بولئيه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول أنا فى جيرتك يا بوزعبل فضحك عليه الجندى وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعرّاه وأخذ جميع ما عليه واراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو فى اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا انتهى (وطلع رجل من الارياف) الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف وقبض على أطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقره غويطه طويله أخرا أنا وايالك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على عجل وقام يجرى من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن اعينهم (وطلع رجل اخر) من الارياف الى المدينة فأدركه الغائط فحصر ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخره كلما اردت أن أشخ قدام دكان يمنعونى الناس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينه ما يخرا فيها احد الا بفلوس ان كان معك فلوس دليتك على عطفه أو نقره تخرا فيها والا تخرا على روحك فقال له وحياة دقنك ما معايا الا نصين فلوس جدد كنت بعت بهم بيض خدهم ودلنى على محل الخره وأبقى ازورك بعشرين بيضه وجانب كبر قال فأخذ منه النصفين ودخل به الى جامع وأتى به الى بيوت الاخلية وأوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل أنت تجد شق طويل ونقره غويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته فظن فى نفسه أن الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الا ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع الحزق الشديد فأكدت مع الفلاح وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرجل فى بيت الخلاء هو أن زوجته

لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذا أقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتحنح له اول وثانى وثالث والفلاح يقول أنا ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول له يا نجس الفلاحين ايش قطن قطن وأنت فى بيت الخلاء ولم يزل يضربه حتى أقبل عليه الناس وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه أهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال المدينه يا ابو دعموم فقال لهم المدينه مليحه الا انك تاكل فيها بجديد وتخرى فيها بنصين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب (وطلع آخر المدينة) فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكا صغيرا مقليا يسميه أهل مصر بساريه له لذة فى الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ما هو ثم قال فى نفسه دا شىء عمرك ما أكلته ولا رأيته ولا بد يا ابو قريطم اظن انها الكنافه اللى يقولوا عليها تطلع فى المدينه ويا كلها الاماره وغدا تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم ابو عنطوز تنفش الصوف وتبقى زى الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تبعمص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا ابو قريطم قل لنا ما أكلت فى المدينة من الطعام اللى يا كلوه الاماره تقول لهم أكلت الكنافه فما يصدقوا قولك ويقولوا تكدب يا عرص فالصواب انك تاخد لهم عضمتين من عضامها وتحطهم فى حجرك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه حط فى حجره شيأ يسيرا حتى طلع على الكفر فأقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب السعرانه وهم دندوف وشخيبة وزعيبر وبعيبر وتر وفر وقنافد ولقالق وزراره ونبالك الجماره وسلموا عليه وقالوا له يا ابو قريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينه وما أكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوى وفيها جنادى كتير قوى وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقلى وخدت من اللى يقولوا عليه الحضر كرشه اللى يبيعوها على الخشبه العاليه العريضة زى الجرافه وأكلت وتنعمت واشبرقت حتى خدت كمان وحياة الحاكم بجديد ترمس مملح وأكلت فول حار فقالوا له يا ابو قريطم كسرت عليك مال السلطان وعمايلك دى ما تخلى رزق وانت عمرك تتصرف ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر وأقول لكم كمانى اكلت الكنافه التى يا كلها الاماره قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فقلع حجره من على راسه وارواهم عضم السمك فلما رأوه صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا جربى وزغرطات النسوان وقالوا له يا ابو قريطم بقيت زى الاماره وغدا

استاد الكفر يشلش عليك ويقول بقى ابو قر يطم سعيد ويا كل ماتا كل الاماره ومتى
ما بلغه الخبر شيعك المقداف او الجرافه وأنت تكتم السر ولا تقول لا لقريب ولا لغريب
أكلت الكنافه أبدا فقال لهم ياشيوخ الكفر أنتم تكتموا الخبر وتحلفوا الى على
الشيخ ابو طبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيع بدى القضيه فانظر الى قلة عقولهم وشدة
جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة) يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امضى
معى الى المنزل خذ الفلوس فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيف فدخله
ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطأ عليه فدق عليه باب الكنيف فتنحنح الجندى
فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى ما يحصل لك من الله تاخذ بيضى وتخلينى
واقف على باب بيتك كلما اكلمك تتنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فأقبل اليه
الناس فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك أطواق الفلاح وصار يضربه
بالمرمة التى فيها البيض حتى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه والناس
يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا (وطلع آخر المدينة) يبيع تبن فاشتراه منه رجل وأعطاه
الدراهم فأراد أن يأتى الى رجل صيرفى لينقدها له فسأل عن دكانه فدلوه عليه فأتى
اليه فلم يجده فسأل عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال للولد بالله دلنى
عليه فأخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى
حاجته قال فهجم الفلاح على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى
منها المقصوص من النحاس لانى راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى على بيتك ده
قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح والناس يضحكون
عليه وصار لهم هيبة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه
لا يعرف بيت الخلاء من غيره (ومما اتفق) أن قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر
ليزور قيمها فى عدم الذوق ويفتخر عليه بلعوبه حكم ما تلعب اولاد الفن قال فسافر
حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها فى عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد
يا قيم الشام قال اريد أن العب معك فى عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق
من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامه فى غداة
غد ان شاء الله تعالى نجمع اصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا وانت فى عدم الذوق وتبين
شطارتك قال فلما اصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته فى عدم الذوق وحضر قيم الشام
وقالوا له العب واجتهد فى عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها
شوك وسنط وحملها على اكتافه وشق بها بين الناس فى الزحام فصار الشوك
والسنط يشتبك فى ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى أن تم
ملعوبه وأتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر هانى عندك
من عدم الذوق غير دا تعمله قال لا فقال له دى ما هى شطاره لان الناس استعدموا ذوقك

لكونك

لكونك اذيتهم وشوشت عليهم وأنا أفعل أعجب من ده وهو انى اخلى الناس يستعدمو اذوقى بالورد والنسرين والريحان وأشباهها فقال قيم الشام هذا شئ له ريحه طيبه وزى ماتعمل فقال له بكره تشوف ما أعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعالى معى وانضر ما اخبرتك عنه البارحه قال فمضوا جميعا حتى أقبلوا على بياع الزهور فأخذ قيم مصر منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى أقبلوا على ميضأة المسجد والناس فى ازدحام وقت الصلاة فى بيوت الاخلية فصار قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس فى بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين والريحان ويقول له خذ يا سيدى شم الورد وغيره يبقى نهارك مبارك واعطينى ما تيسر فيتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انضر أنا فى خرا والا فى نيار وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك أقر على نفسه قيم الشام أنه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره وأخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق أن ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فأخذه الى منزله ووضع بين يديه المأكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة أيام حتى أكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخى اخبرك عما حصل لى فى الطريق وهو أنى سافرت مع القافلة فعدمنا الماء فى بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت فى جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابى ونزلت فيها ولم أزل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل فى الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقى عندى شئ تأكله وآخوزولك يا أخى ما فعلت فى البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجر طاحونة فوضعته على كتفى ولم أزل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام أمهلك ما معك أنت مكثت مدة ثلاثين يوما وأنت نازل فى البئر من غير شئ فكيف طلوعك وأنت حامل حجر طاحونة أشهد لك أنك قيم الثقلاء فى مصر والشام وأنا من تحت يدك انصرف عنى قال فأخذ خاطره وانصرف بعد أن كتب له محضر بذلك أنه قيم مصر والشام فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) أن اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفنى * قلت ايش فيك أصف
كل ما فيك ثقيل * حل عنى وانصرف

وقال آخر

وثقيل تبسما * اصبح الكون مظلما

حط فى الشرق رحله * مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغى الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر

لا ترحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام الف ميل
ولو كانت بلادك ألف مصر * ويروى كل مصر ألف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشد فى فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى) بعض الفلاحين رجلا الى القاضى وادّعى عليه أنه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فأحضر القاضى الرجل المدّعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا أنه ضربنى وشوّش علىّ فقال القاضى للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح اتابيك ياقاضى ثور وانت اذا نزلت غيطى ياهل ترى أضربك اكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطى فقال القاضى اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذى تشبهنى به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب من هذا المعنى) أن رجلا فلاحا دخل على الامير حمار بن بقر وأنشد يقول

ياابن بقر ماانت الاثور * والناس حدالك عجاجيل
لماتعمل بقرونك هاش * يولوا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام أنت أيها الامير فى هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل أى مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ماأن الثور اذا التفت بقرونه وهاش فى العجول ولت من بين يديه فأنشد هذا الفلاح على حسب مالائم حاله وناسب جهله وهباله أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو فى القاموس الازرق والناموس الابلق واستعملها فى هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت ام زغابه فى المغازيل * تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وحولها شفت سربه من عجاجيل * وهم ينطوا وهى تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما أن الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من التحنجل وهى لغة ريفية فانهم يقولون فلان يتحنجل أى يجرى جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام انى رأيت محبوبتى هذه وهى ام زغابة فى معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه أيضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهى الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم تمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشئ منجذب اليه (وطلع رجل منهم المدينة) لقضاء حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلاده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا له كيف حال

المدينة فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يا ابوعوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابية اللى يقولوا عليها الحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادى فى المدينه ويقول حلو وبارد يا تين فخدت منه عشرين جميزة باط بجديد وحطيتهم فى مترد وعفصتهم بيدى وشربت عليهم جرة مويه من البحر فقالوا له هنيا لك يا ابوعوكل لكن تضيع وتبعزق ولا تخلى فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضى وجدايد (وقال رجل فلاح) لصديق له يا فلان عملت السنة كعك فى العيد فقال له عملت ردبين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقى شى عندك منهم قال بقى معى واحدة أغنس بها الحمارة من كفر دنديط الى كفر هربيط (وأرسل بعض الامراء) غلاماله فلاحا بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فأخذ النصف فضه واشترى باربعة جدد كعك واربعة جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع بين يدى الامير فلما رأوه الحاضرين ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وارسل بعض الامراء أيضا) غلاماله فلاحا وقال له خد دى الدراهم واشترى لنا دبه (يعنى بطة جلد يوضع فيها السمن أو العسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسأل عن بياع الدبب فدلوه على القرداتى فأتاه ورآه يلعب بالقرد والدبه والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه وقال له مرادى نشترى للامير دبه مليحه فقال له القرداتى عندى واحده مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتى ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام وكان فى ذلك الوقت الامير حاضرا هناك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتى قام يده فى الطار وسحب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتى ان خدامك ده جانى واخبرنى ان مرادك تشترى دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشترى ما تريد قال فضحكوا الاماره فأمر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فأطلقه وطرده من عنده فتوجه الى بلاده وأحسن الامير للقرداتى وأمره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا قال له ايوه فقال له ايش هجالك بربق فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتنى عليها النقطه اللى فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ملقالوا يا ابودعموم فقال شعر مفعص لاله اول ولا آخر

لقد اقول جنيشن خلوت به أنت * منزلنا يا طالعة القمروشن .

فقال له دا كلام موزون فقال له دا كلام هارين الرشاد اللى وقع فى الجب لقفه التمساح

حط فى الشرق رجله * مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغى الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر

لا رحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل
ولو كانت بلادك ألف مصر * ويروى كل مصر ألف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشد فى فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى) بعض الفلاحين رجلا الى القاضى وادعى عليه أنه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فأحضر القاضى الرجل المدعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا أنه ضربنى وشوش على فقال القاضى للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيك ياقاضى تور وانت اذا نزلت غيطى ياهل ترى أضربك اكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطى فقال القاضى اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذى تشبهنى به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب من هذا المعنى) أن رجلا فلاحا دخل على الامير حمار بن بقر وأنشد يقول

يا ابن بقر ماانت الا تور * والناس حدك عجاجيل
لما تعمل بقرونك هاش * يولوا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام أنت أيها الامير فى هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل أى مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما أن الثور اذا التفت بقرونه وهاش فى العجول ولت من بين يديه فأنشد هذا الفلاح على حسب ما الام حاله وناسب جهله وهباله أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو فى القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها فى هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت ام زغابة فى المغازيل * تطعن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وحولها شفت سربه من عجاجيل * وهم ينطوا وهى تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما أن الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من الحنجل وهى لغة ريفية فانهم يقولون فلان بيتحنجل أى يجرى جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام انى رأيت محبوبتى هذه وهى ام زغابة فى معزل من المعازل تتعاطى فيه الطعن والعجن وتغزل فيه أيضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهى الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشئ منجذب اليه (وطلع رجل منهم المدينة) لقضاء حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلاده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا له كيف حال

المدينة فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يا ابو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابيه اللى يقولوا عليها الحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادى فى المدينه ويقول حلو وبارد يا تين فخدت منه عشرين جميزة باط بجديد وحطيتهم فى مترد وعفصتهم بيدى وشربت عليهم جرة مويه من البحر فقالوا له هنيالك يا ابو عوكل لكن تضيع وتمزق ولا تخلى فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضى وجدايد (وقال رجل فلاح) لصديق له يا فلان عملت السنة كعك فى العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ايد ام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقى شى عندك منهم قال بقى معى واحدة أغمس بها الجارة من كفر دنديط الى كفر هربيط (وأرسل بعض الامراء) غلاما له فلاحا بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فأخذ النصف فضه واشترى باربعة جدد كعك واربعة جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع بين يدى الامير فلما رأوه الحاضرين ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وارسل بعض الامراء أيضا) غلاما له فلاحا وقال له خد دى الدراهم واشترى لنا دبه (يعنى بطة جلد يوضع فيها السمن أو العسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسأل عن بياع الدبب فدلوه على القرداتى فأتاه ورآه يلعب بالقرد والدبه والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه وقال له مرادى نشترى للامير دبه مليحه فقال له القرداتى عندى واحده مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتى ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام وكان فى ذلك الوقت الامير حاضرا هنالك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتى قام يده فى الطار وسحب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتى ان خدامك ده جانى واخبرنى ان مرادك تشترى دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشترى ما تريد قال فضحكوا الاماره فأمر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فأطلقه وطرده من عنده فتوجه الى بلاده وأحسن الامير للقرداتى وأمره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا قال له ايوه فقال له ايش هجا برىق فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتنى عليها النقطه اللى فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ملقالوا يا ابو دعموم فقال شعر مفصص لا له اول ولا آخر

لقد اقول جنيشن خلوت به أنت * منزلنا يا طالعة القمروشن .

فقال له دا كلام موزون فقال له دا كلام هارين الرشاد اللى وقع فى الجب لقفه التمساح

نزل عليه الوحل في جامع الطيلون اللي النار برد وسلام فقال له يا نم يا نم كذلك عيسى ابن ابو طالوب جرى له زي ما جرى (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرأ الفاتحة حط يده على راسه وقال آه يا راسي فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له أنا ما باشكي لك أنا باشكي لربي وجع راسي ثم انه ركع وصلى وأتمّ صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل) اخر من الفلاحين فأحرم بالصلاة وقال يا رب خلي لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلي لي ولدى عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح أنا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدّى قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقني فضحك وأطلقه ثم انه أتمّ صلاته على هذه الحالة ولم يعرف الصحة من الفساد (وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه البقره روّحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روّح وخد شعير حطها في المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما جلس للتشهد جاءه ولده وركب على أكتافه وصكه على قفاه وأمسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له يا ولدى انزل عني حتى أتمّ صلاتي ثم انه تشهد وأتمّ صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدّى يقول حديث عن أمّ عازبه جدّتنا القديمه من لا يسقع دقنه ما يربي ابنه وأولاده الصغار مثل أولاد المعزه وأبوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجدّته وأمثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم) فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكه المجنون جيتك يا رب بلحيتي وجاتي وقفاى وجركوبي لا تردّني يا رب خايب لا من رجالك ولا من رجالك الله وكبر وركع وصلى وأتمّ الصلاة الفشروية (وصلى آخر) فلما قرأ الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أبدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلي الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد (وصلى فقيه ريف بجماعة) فلما قرأ الفاتحة وأتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت فقال له بل أنت كفرت (وحكى) أن رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله فقال الامام هذا اللفظ شنتير كيف يتبرجماعة راكبين فيل جتهم طير ابابيل خلتهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر وأتما صلاتهما التي لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب فضرط من شدّة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يا رب أنت تعلم اني ما ضرطت بخاطري الاغصب عني سامحني يا رب ثم انه تشهد وسلم (وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضا وأخذ قرص جلة ووضعه تحت جبهته وأتمّ صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء

الارياف

الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب وأخذ من جانبها رغيفا فأمسكته وقبضت على أذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه وأتمت صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ فى الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا الولد ده يئذينى ويشوّش علىّ وأنا اصلى واذا ركعت شلح ثيابه وشخ علىّ فقال له المؤدب أحق ما تقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب فى أنك تؤذيها وهى فى الصلاة فقال له ياسيدنا لان عبادتها باطلة لافيش ولا عليش لكن اسألها أنت ما تقول وما تقرأ فى صلاتها فقال لها المؤدب أنت تحسنى الصلاة فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امى وجدتى وجدة جدتى فقال لها اقرءى الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين اذا جاك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طوّاب فقال لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمدلة فقال الولد اسألها ياسيدنا ما تقول بعد الصلاة فسألها فقالت أقول زى ما كانت تقول امى وجدتى سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له امرتك أن تخرا عليها فضلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر وأراد أن يقرأ دعاء الافتتاح قال لقحت وجهى للى شرح السموات والارض لانى لا حنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فن أىّ ملة أنت قاتلك الله الابعد فقال أنا من بنى عقبه فضحك عليه ثم تركه ومضى (وأما احوالهم) فمشهورة وأضرابهم كثيرة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط فى الدين ونحو ذلك فنقول (سئل) فقيه ريفىّ عن تفسير قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ما معنى أقلعى فقال هذا الجاهل أى سيرى مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف عقد نكاح) فقال للولىّ قل أنكحتك بنتى خطيطه البيضة اللون الشقرة الشعر اللى عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط أن تكون فى طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها وتسرج لك فتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها وهراشها وفراشها وفرشحتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبىّ نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا أحمد البدوىّ عمت بركاته ونفعنا الله به فى الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة أدركنا المبيت فى قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقرمربوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول نتذاكر فى العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافى الرجلين من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا

فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال اسألكم على سؤال قدام مشايخ بلدى ان قلتولى عليه ورديتم جوابى عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد فانى فقيه البلد وامامها وخطيبها وما عمر حد غلبنى ولا عرف سؤالى قال فضحكنا عليه وقلنا له اسأل عما بدالك فقال يافقهاء الازهر الصلاه لها كام عنصر وفين عنصرها الاولانى وعنصرها الاخرانى قال الشيخ عفا الله عنه فقال له رجل من أتباعنا الصلاة لها تلتمايه وستين عنصر الاولانى من عناصرها رجليك والتانى ايديك والتالت طيزك والآخرانى دقنك قال فسكت واحتار فى امره فقالوا له أهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يابو حنجول فقال لهم طول عمرى أسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ماشفت حد جاوبنى عنه الادوله وأنا أقل لكم يامشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله وأحضر لنا متردين لبن دشيش وخبز ذره فأكلنا ونمنا فى مكاننا الى أن اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا وأخذ ناخاطره وتوجهنا والحال أننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا الكلام غير أن تابعنا لشدة حذقه اجابه من معنى سؤاله واعطاه كلام قصاد كلام (وسأل بعض الفلاحين) اخانا فى الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهى رحمه الله تعالى فين هى قبلة طيزك فقال له دقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ماحكاه شيخنا أن مما اتفق فى بعض السنين أنه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها وأخبره أنه من علماء العجم ولا أحد يقاومه فى العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم أسألهم بحضرتك سؤالا فان أجابونى فأنا من تحت امرهم والا يكون لى الفخار عليهم قال فأرسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسأل العجمى عما بدا له فقام العجمى بين ايديهم وسألهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له ياوزير الاشارة لاتكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لابد أن تجيبوه عن سؤاله وألزمهم بتلك المسألة لميله للعجمى ومحبته له فقالوا له أمهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فأمهلهم الوزير فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأى فى دفع هذا العجمى ورده الى بلده مقهورا فقال رجل منهم الرأى عندى أننا ننظر لنا رجلا من أجلاف الريف ونحوهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه لبس العلماء ونعممه قدامنا ونمشى خلفه ونطلع به الى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذى يجيب العجمى ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فرأوا رجلا من أجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الساقين كبير اللحية على رأسه قحف طويل وعليه جبة من الصوف

لركبته

لركبته وهو جالس فى حانوت يأكل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة
واحدة فلما رآهم ظن أنهم يريدون أخذ البيضة منه فأخذها ووضعها فى فمه من داخله
واراد الهروب منهم فقبضوا عليه فقال لهم أنا فى جيرتكم يا شعرا فقالوا له لا تخف يا فلاح
ولا تخش من شئ فقال لهم أنا خايف تخدونى لاستادى يقطع راسى وأنا عمرى ما ضعت
ولا طلعت مصر غير السنادى وانا كنت جيعان وجبت معايه اربع بيضات شويتهم أكلت
تلاته وفضلت معايه واحده خفت منكم وشلتها فى فمى وانا على مكسور من مال السلطان
قرشين فقالوا له احنا مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين اللى عليك
وغديناك وبسطناك فقال لهم انا الاخر كل ما امرتونى به فعلته من أمر حفت بير او هدم
حيط أو شيل طين أو جله عملتها لكم فى ساعه أو ان كنتم رايحين فى عركه خلى عنكم
وهاتوا الى نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا ألف راجل اطيحهم فقالوا ما مرادنا
الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمى يسألك تجيبه على سؤاله وتغلبه ولكن لا تتكلم
أبدا الا بالاشارة حكم ما يكلمك بالاشارة فقال لهم خدونى لامرص ده وان طابتم
اضربه خبطة بالكامية قتلته ولو كان عند السلطان والوزير وأنا ياما قتلت وياما سرقت
وانا على مال السلطان وعلى انى أرد العجمى ده مغلوب (قال فأخذوه) وألبسوه
لبس الفقهاء وعمموه على فمه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها
هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم لم اخليها الا انها بيضة فرختى واول بيضها ولما اجوع
آكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم حتى أقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام
اليهم واعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذى يجيب العجمى فى سؤاله قال فجلس العجمى
متأدبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كأنه قاعد فى زريبة بقر
فلما رآه العجمى على هذه الحالة استعظمه وقال فى نفسه لولا أنه من العلماء الاجلاء ما احتقر
المجلس ثم ان العجمى اشار اليه بالسؤال يريد منه الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى نحو
الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين اثنين فرفع العجمى يده الى السماء فوضع الفلاح يده على
الارض فأخرج العجمى من عبه علبة وفتحها وأخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح
فأخرج الفلاح البيضة من عبه وألقاها الى العجمى فعند ذلك هز العجمى رأسه وتعجب منه
وقال للوزير وابقية العلماء قد اجابنى عن سؤالى الذى اشرت به اليه وأشهدكم أنى صرت
من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء اكراما زائدا وانصرفوا
منه ورينه ويدين ثم انهم قالوا للفلاح بعد ما نزلوا الى منزلهم نحن ما عرفنا حقيقة
السؤال والجواب فأخبرنا عنه فقال لهم الفلاح يا خساره عليكم انتم فقها ولكن
ما تعرفوا تردوا للناس جوابا ثم أنا لما قعدت قصاد وجهه رأيت عينيه احمرت وزاد به
الغضب وشاورلى بصباعه كأنه يقول لى ما تصحى لنفسك والا خرقت عينك بصباعى ده
فأشرت له أنا الاخر أقول له ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعيى دول

ورفعتهم له فرفع ايده الى السما كانه يقول لى ان لم اطيعه والاصلبنى فى السقف فحطيت ايدى أنا الآخر على الارض أقول له ان ردت تفعل معى ما تقول خبطتك فى الارض خبطه طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه أخرج لى فروج دجاج صغير يورينى انه يا كل كل يوم فراخ وانه متنعم فى المأكل والمشرب فاخرجت له من عبى أنا الاخر البيضة المصلوقة اورّيه أنى متنعم فى أكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمى وسألوه عن الجواب فقال لهم طول عمرى أسأل العلماء بهذا السؤال وأناظرهم فما عرف أحد جوابى الا شيخكم هذا فقالوا له أخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم أنت له اولا اصبعى باشير اليه بقولى ان الله واحد أحد فاشار الىّ باصبعين يشير الىّ انه ليس له ثان فرفعت له يدى اشير اليه أنه رفع السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لى وبسط الارض على ما يجد فأخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه أن الله يخرج الحىّ من الميت فأخرج الىّ البيضة يقول لى ويخرج الميت من الحىّ فأجابنى جوابا شافيا فما رأيت أعلم منه فعرفوا أن العجمىّ كان فى مقصد والفلاح فى مقصد آخر على حد قول القائل.

سارت مشرّقة وسرت مغرّبا * شتان بين مشرّق ومغرّب

فالاشارات متصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) أن رجلا أمسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف فقال أيها الناس الى كم تلتهوا فى الحصيدة وفى الزرع والقلع وغدا يجيكم اللموم وتحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق واعلموا يا أهل بلدنا اللى وراه عدو ماوراه عدو قوّاكم الله يا قوم قدامكم جيش حرام فأنتم تحترسوا الا يجيكم العدو من جنب النقره فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل وصلى بهم صلاة معزاويه لا فرض ولا سنه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا أهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وأنتم فى خير من ربّ العالمين فانتم تفيقوا لزرع الوسيه والا يجيكم الكاشف بداهية وبليه فغدا تسرحوا للعونة والسخر وفيقوا للغنم والبقر واحفتوا ابياركم وفيقوا لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله ربّ العالمين ثم نزل وصلى بهم (وخطب آخر) فلما شرع فى الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط فى حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا الخطيب وعدوا انه كلب بينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أنه يسرق واياهم فول اخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية وأخذ كل واحد

منهم

منهم غمرا كبيرا من الفول وأخذ هو غمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما
صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال أيها الناس قال رجل من رفقائه الذين
سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا واياك في السرقة خذ كل واحد منا
غمر واحد وانت خذت غمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر
وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف) بعض العلماء وقال له
مرادى أقرأ الاجرومية على مذهب الامام الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده
(ودخل على العلامة الحميدى رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك
مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدى شيخ العميان بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس
حتى أنظره لك فجلس عنده واذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدى مختصر
مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فعجب
الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم أنا فقيه الريف
اقرى الاولاد فى بلدى القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل أحدا اختصره فيكون
أسهل على الاولاد ويحفظونه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله
(وسعى رجل) من الاكابر عند قاضى القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة
فى بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتنى به فلما حضر بين يديه قال له القاضى هل تحفظ
القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضى وعندى مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضى
جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على أبى حنيفة
رضى الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام فى هيئة حسنة وثياب
فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر فى مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس
ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام
آن لابى حنيفة أن يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) أن اثنين
اختصما فى آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم
يشكرون فبينما هم فى المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنه
يحفظ القرآن هل هى يتفكرون او يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى أننا
نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لكما لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك
الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية
من قرى الريف فرأى رجلا يدرس فى مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروى حديثا
باطلا فقال له رأيت هذا الحديث فى اى كتاب فقال له فى كتاب عندى يسمى الدلهمة
والبطال فقال اضعفت حين اسندت ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى
بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت فى نفسى أسأل
عن فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه فقالوا الى انضره على الكوم العالى فى وسط

ورفعتهم له فرفع ايده الى السما كانه يقول لى ان لم اطيعه والاصلبنى فى السقف فحطيت ايدى أنا الآخر على الارض أقول له ان ردت تفعل معى ما تقول خبطتك فى الارض خبطه طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه أخرج لى فروج دجاج صغير يورينى انه يا كل كل يوم فراخ وانه متنعم فى المأكل والمشرب فاخرجت له من عبى أنا الاخر البيضة المصلوقة اوريه أنى متنعم فى أكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمى وسألوه عن الجواب فقال لهم طول عمرى أسأل العلماء بهذا السؤال وأناظرهم فما عرف أحد جوابى الا شيخكم هذا فقالوا له أخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم أتيت له اولا اصبعى باشير اليه بقولى ان الله واحد أحد فاشار الى باصبعين يشير الى انه ليس له ثان فرفعت له يدى اشير اليه أنه رفع السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لى وبسط الارض على ما جمد فأخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه أن الله يخرج الحى من الميت فأخرج الى البيضة يقول لى ويخرج الميت من الحى فأجابنى جوابا شافيا فما رأيت أعلم منه فعرفوا أن العجمى كان فى مقصد والفلاح فى مقصد آخر على حد قول القائل

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) أن رجلا أمسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف فقال أيها الناس الى كم تلتهوا فى الحصيدة وفى الزرع والقلع وغدا تجيكم الموم وتحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق واعلموا يا أهل بلدنا اللى وراه عدو ماوراه هدو قوا كم الله يا قوم قدامكم جيش حرام فأنتم تحترسوا الا يجيكم العدو من جنب النقرة فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل وصلى بهم صلاة معزاويه لا فرض ولا سنه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا أهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وأنتم فى خير من رب العالمين فانتم تفيقوا لزرع الوسيه والا يجيكم الكاشف بداهية وبليه فغدا تسرحوا للمعونة والسخره وفيقوا للغنم والبقر واحفتوا ايياركم وفيقوا لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم (وخطب آخر) فلما شرع فى الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط فى حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا الخطيب وعدوا انه كلب بينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أنه يسرق واياهم فول أخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية وأخذ كل واحد

منهم

منهم عمرا كبيرا من الفول وأخذ هو غمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال أيها الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا واياك فى السرقة خذ كل واحد منا غمرا واحدا وانت خذت غمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف) بعض العلماء وقال له مرادى أقرأ الاجرومية على مذهب الامام الشافعى فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدى رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدى شيخ العميان بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى أنظره لك فجلس عنده واذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدى مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم أنا فقيه الريف اقرى الاولاد فى بلدى القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل أحدا اختصره فيكون أسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من الاكابر عند قاضى القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة فى بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتنى به فلما حضر بين يديه قال له القاضى هل تحفظ القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضى وعندى مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضى جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على أبى حنيفة رضى الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام فى هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر فى مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابى حنيفة أن يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) أن اثنين اختصما فى آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم فى المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنه يحفظ القرآن هل هى يتفكرون او يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى أننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لكما لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس فى مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروى حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث فى اى كتاب فقال له فى كتاب عندى يسمى الدلهمة والبطال فقال اضعفت حين اسندت ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت فى نفسى أسأل عن فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه فقالوا الى انظره على الكوم العالى فى وسط

البلد مات له حماره و يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده و يبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم و بيده حجارة يضرب بها الكلاب و يمنعهم عن حماره الميت حكم ماذكر لى أهل بلده وهو فى حالة رذلة وثياب دنسة حافى القدم تعيس الناصية فسلمت عليه فرد على السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص جر روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو فى كرب كأنه يغازى القوم قال فجلست ساعة أنظر فى حاله واذا برجل أقبل عليه من اهالى قريته وقال له ياسيدنا لأنا قلت لامرأتى انت طالق بالثلاثة وسألت فما احد ردها الى وقالوا الى ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وأنا خاطرى تردها الى وتخلصنى من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ امرأتك وقت السحر وروح بها بركة الماء التى فى المحل الفلانى وخليها تشلح ثيابها وتخوض فى الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل الماء فرجها فان الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه أنه نكحها قال الله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل أخذتنى الغيرة فى دين الله تعالى ونمت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعملك وقريتك ونهيت السائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت انى لا أبيت فى هذه القرية لاجل هذا الاثيم ثم مضيت الى بلد اخرى ونمت بمسجدها الى أن طلع النهار وتوجهت الى سبيلى (وقال بعض فقهاء الريف) لتلامذته قد ظهر لى فى القرآن بحث وهو قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك انه وجه ضعيف لانه محكى بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحى الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية ليسمعوا قراءته الى أن وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وأنت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقى بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله او عمود من عواميد الصوارى من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملفح بحرام ابيض دنس لاغير فلما حضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى أبين لكم واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء وهو فى وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات التى خلقها الله تعالى فرأيت

أوّل سمافيها بقر وثانى سمافيها جاموس وثالث سمافيها عجول ورابع سمافيها ثيران وخامس سمافيها كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدّد اصناف من الحيوانات الى أن قال وشفت السما العاشرة ملبانه غنم وانتم يامشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تعوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لا بدله من كاب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فأخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض فقهاء الريف) يدرّس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدّة جراءته فى الكلام من غير معرفة الى أن حضر مجلسه وهو يدرّس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا أنّ فيه رائحة المناسبة فقالوا أمر هذا المدرّس عجيب فقال رجل منهم أنا أختبره لكم وأبين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فأخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا رأينا فى بعض الكتب خذ الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى أرض الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم واراد أن يذكر حديثا باطلا فقالوا له أمسك مامعك فجعل الله أمّا كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك فى الكذب عليهم وأمّا الكذب فى الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وأبطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا أن العلم أمانة وأن الشخص لا يجوز له أن يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدّة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من أهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف فقال لا أعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت لا أعرفه ولم يبلغنى فى وصفه شئ ثابت فقال له أبوه لاى شئ توقفت فى الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا وأصبح ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدى فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (واوصى لقمان ابنه) فقال له يا بنىّ اذا سالك الناس فقل لهم لا أدرى فانك اذا قلت لهم لا أدرى لا يسألونك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطستم بطستم خبازين يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادّعى فقيه) حفظ القرآن

البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده و يبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حماره الميت حكم ماذكرلى أهل بلده وهو فى حالة رذلة وثياب دنسة حافى القدم تعيس الناصية فسلمت عليه فرد على السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص جر روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو فى كرب كأنه بغلزى القوم قال فجلست ساعة أنظر فى حاله واذا برجل أقبل عليه من اهالى قريته وقال له يا سيدنا أنا قلت لامرأتى انت طالق بالتلاته وسالت فما حد ردها لى وقالوا لى ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وأنا خاطرى تردها لى وتخلصنى من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ امراتك وقت السحر وروح بها بركة الماء اللى فى المحل الفلانى وخليها تشلح تيابها وتخوض فى الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل الماء فرجها فان الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه أنه نكحها قال الله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل أخذتنى الغيرة فى دين الله تعالى ونمت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلمك وقريتك ونهيت السائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت انى لا أبيت فى هذه القرية لاجل هذا الاثيم ثم مضيت الى بلد اخرى ونمت بمسجدها الى أن طلع النهار وتوجهت الى سبيلى (وقال بعض فقهاء الريف) لتلامذته قد ظهر لى فى القرآن بحث وهو قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك انه وجه ضعيف لانه محكى بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحى الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية ليسمعوا اقراءته الى أن وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وأنت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقى بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال انا القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله او عمود من عواميد الصوارى من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملفع بحرام ابيض دنس لا غير فلما حضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى أبين لكم وا كشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء وهو فى وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات اللى خلقها الله تعالى فرأيت

أول سما فيها بقر وثانى سما فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران وخامس سما فيها كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد اصناف من الحيوانات الى أن قال وشفت السما العاشرة مليانة غنم وانتم يامشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تعوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لابد له من كلب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فأخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض فقهاء الريف) يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من غير معرفة الى أن حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا أن فيه رائحة المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم أنا أختبره لكم وأبين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فأخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يامولانا رأينا فى بعض الكتب خذا الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى أرض الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم وأراد أن يذكر حديثا باطلا فقالوا له أمسك مامعك قبحك الله أما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك فى الكذب عليهم وأما الكذب فى الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وأبطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا أن العلم أمانة وأن الشخص لا يجوز له أن يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من أهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف فقال لا أعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت لا أعرفه ولم يبلغنى فى وصفه شئ ثابت فقال له أبوه لاى شئ توقفت فى الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظا شديدا وأصبح ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدى فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (واوصى لقمان ابنه) فقال له يابنى اذا سألك الناس فقل لهم لا أدرى فانك اذا قلت لهم لا أدرى لا يسألونك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم خباز بن يريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزابو السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن

فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظلما فى أى سورة فأطرق ساعة ثم قال فى سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضى وقال له اصلح الله مولانا القاضى هذا ولدى يشرب الخمر ولا يصلى فقال له القاضى ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فانى اصلى ولا اشرب الخمر فقال له أبوه انه يزعم أنه يقرأ القران وأنه فقيه البلد فقل له يقرأ شيأ منه قال له القاضى اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا نغيره ارتيابا

فقال أبوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضى وانا الآخر كنت احفظ فيه آية اخرى وهى

ارحمى صبا كئيبا * قد رأى البعد عذابا

ثم قال القاضى للرجل خذ ابنك فانه ماهر فى القرآن فانظر أيها المتأمل الى جهل الغلام وأبيه وتعجب من جهل القاضى الذى لم يفرق بين الشعر والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان فقال له رجل أفى الله شك فقال فيه قولان فيكفر بحسب عبارته وبعضهم أجاب عنه بأن فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلى فرأى أهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفأر ميت معلق فى عنقه فتعجب من فعلهم وقال لا بد أنى أسأل فقيه البلد عن ذلك الامر فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة وهو أيضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة وخشبة وسكين ومعلق فى رقبته فأر ميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن أمر أهل القرية بهذه الفعلة فقال له أنا أمرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال حديث رأيته فى كتاب عندى واسمه كتاب التنبيه ولفظه حدثنى يحيى بن يحيى عن شعبان النورى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالنبه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمغرفة ووقار تصحفت بفار واما سند الحديث فهو حدثنى يحيى بن يحيى عن سفيان الثورى فتصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى أهل القرية وأبطلهم هذا الامر وسعى فى خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فأخرجوه من البلد بيد أمير البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وأنتم يا أهل هذا البلد تشهدون أن محمدا رسول الله قال

فتعجب

فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شئ يباع فيه فاذا هو خمر قد صبوه فى اناء ويناول رجل منهم للناس ويقول هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذا ما عجب ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد أقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة واقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القضية وعن رفع رجله فى الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم ياسيدى أن المؤذن الذى سمعته لا ينطق بالشهادتين نصرانى احتجنا اليه لمرض اصاب المؤذن ورأيناه صيتا فأقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين وأما الخمر الذى رأيته يباع فى المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير عصر لا يقوم ثمنه بالمستحقين وارباب الوظائف وأما رفع رجلى التى رأيتها فقد اصابتها نجاسة وأنا داخل المسجد وأدركتنى الصلاة فقلت أرفعها وأصلى على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لانى خشيت من المشى عليها فيحصل التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل وأتى القاضى فدخل عليه ليسأله عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط فيه فتحير فى أمره وقال له ما هذا يا مولانا القاضى قضيتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعى أهله أنه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فأخذته لاختبره وقلت ان فعل وأنزل فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد أنزل المنى وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله أنتم وقريتكم جميعا وحلف أن لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فأرسل الى من ولاه هدية وأرسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندى ان الواصل لكم هدية خروفين وسرموجتين الافندى خروف وسرموجة والنايب خروف وسرموجة قال فلما وصل القاضى مكتوبه أمر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية (ونظيره) مكتوب فنين الذى ذكره سيدى على بن سودون فى ديوانه الذى ارسله لاهله من الصعيد قال فى عنوانه يصل ان شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط ولقيه ويسلم ليد اهل بيت فنين وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما فى النخيل من الاوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق أطول من عمود زرافة ولو كان طاق أو طاقين أو طاقات من كل بد وسبب وفى هذا المعنى أقول لكم كان شعر

ان كان ابى ما مات وامى تعيش * فبلغهم يا ريح عنى السلامات
وروح قل لهم انى مع الناس فى البلد * ويا ما جرى لى بعدكم من نكبات
وانكم لفى غفله كبيره عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الا حيله فنين مات

والذى نعلمكم به ان كنتم للسع طيبين بالحياه انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز ويزفقص الصيف من ديك الوزه وأيضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تقوا تتكلموا اجزاف ارسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم انا على طوله ولا قلتم

لناغلى عرضه وارسلتم تطلبوا كشك وأناان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نيده وماقلتم لى بعسل او بلاشى وطلبتم قليلات والفلاحين ما يزرعوا الاقرع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من حقه وبلغنى ان امراتى حبله من بعدى فلا تخلوها تولد حتى أجى وان ولدت قبل ذلك لا يكون الاصبى وسموه دار الخطيب فانى دخلت دار الخطيب ورأيت فيها من الطعام شى كثير اعجبنى وجرت لى فيه حكاية ولكن ماتقولوها لحد أبدا تبقى فضيحه وذلك انى أكلت يوم بطيخ ونمت حشا كم العيب فى بيت الفلاحين فتخبيت فى ثيابى وانا معذور بزيادة فان البطيخ يكثر الشخاخ فغسلت قميصى ونشرته فى السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتى رجفة خلتنى ضعفت ضعفه لوضعفها غيرى كان مات وعرفت انها ماهى بشارة خير وانها تدل على موت امى وأبويه والحمد لله اللى كانوا فدايه وانى صليت وصمت لله تعالى اللى ما كنت فى قميصى ولو كنت فيه كنت انكسرت فقلت حوالينا ولا علينا ولكن من الرجفه وجعتنى عينى التى تبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من دارنا والذى نعلم به الوالد زوج الوالده انى دخلت يوم البستان أنا والخولى فرأيت فيه نخل شى طويل وشى قصير وشى ما يشبه شى فقلت له دى ايه قال لى توت ودى ايه قال لى نخله ورأيت يا ابويه نخله كل ورقه قدر الصفه اللى تخنت امى فيها فقلت ودى ايه فقال لى موز فعجبنى قوى وقلت له الموز يطلع فى البستان فقال لى ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين قال يطلع فى طاجن الجبان وأنا كل يوم اجى واطل من الطاقه وعمرى ماشفت فى طاجن الجبان جبن مقلى فوعدت الخولى وراهنته من امراتى الحبله لامراته اللى بلا حبل بأنه يعمل امراتى يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلوه يغلبنى ويا خد امراتى وابقى يتيم وكانى وودن الشيطان مسدوده اصبحت اكتب لى محضر وآخد خاطر الجيران ماراوا نخله جبن مقلى فى طاجن الجبان والذى نعرفكم به انى لما طلعت البلد ولقيت الصابون غالى فبعت الحماره البيضه واشتريت لى حماره سوده على شان ماتوسخش وكان كلام كثير فانى لو كتبت لكم اللى فى خاطرى لكان كلام يجى من حد عندكم لحد عندى وبعد السلام على أهل الحاره كل واحد باسمه كثير كثير بتاريخ صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والتلاتين من جماد الاوسط سنة ما اعرف شى اللى تقولوا عليه بالاماره مطرت المطره وأهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب كثير لا يحصى) فقد ارسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين وألف يقول فيه السلام من الفقى أبو على اللى اسمه محمد على حضرة صاحبنا اللى يطالع فى القرآن زى ما يطلع الزرع فى الغيطان ويتكلم بالفهامه ويا ماله علينا شهامه اللى يبيع الكتب المنظومة من الكلام زى قصة الجاريه والتودد والورد فى الاكمام حاوى الكتابة فى السطور ومن يعرف كتاب الفخ والعصفور وانا فى شوق واشتياقه

لا يعمله جمل ولا ناقه ولا حمار ولا حمارين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه وفى هذا المعنى أقول لك كمان

السلام عليك ياسيدى والرحمه * سلام من هو لا يا كل بعدك لقمه
الاصايم عن الزاد وهو زى الاعمه * وانا قصدى اشوفك ولو فى الضلمه

وانا كنت اريد اجيلك وحياة راسك ماعوقنى الاسر موحتى مقطعه وانا اقول لك شوف لى كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه ويا ما قالوا الى عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وماجرى فيها من العجايب والغرايب وانا انبارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك ويسامحنى الله الله لا غالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جيرانك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب أبو علي واسمه محمد وكتب عنوانه توصل دى الورقه مع ابو عماره اللى يبيع فى بلدنا الفول الاخضر والمش والزيت الحار يوصلها البولاق وواحد يبقى يوصلها السوق الكتب اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام الذى يشبه الوحل وأمثال هؤلاء الجهال كثير ولقد أحسن الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد يسمى بالفقيه المدلس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت نفيس شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

(ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى)

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الرأس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الاصيحا وتفض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف يأكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيضوا رياء * وقلبهم بالسواد مظلم
فان ترى فى الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم

أى اذا رأيت فقيها على هذه الحالة فأسأل الله السلامة منه والبعد عنه نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ورثاهم) قيل مر بعض أهل الارياف بجماعة من الاطفاء ينشدون الاشعار فى معنى العشق فقال لهم زيدوا يا مغنيين القوم من دى القول المليح فقد ذكرتونى نشيد مليح قلته وانا احرت فى الغيط لكنى عشقت ام معيكة وكنت رايح أموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت فى ام معيكة فانشد يقول موالياً

ماضال قيصى يشحطط من ورا المحرات * حتى أتتنى صبيه رايحه بنبات
فقلت ياامّ معيكه ارجحى بمن مات * قالت أناريحه آخر وأجيك بنبات

أقول هـذا الكلام من بحر الخراء الوافر الذى ليس له اول من آخر وقائله من ابلد البشر أومن اغشم البقر وتفاعيله باحتياط مخبط خبط مخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضال) هذه كلمة يستعملها أهل الارياف وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وأصلها مازال فيبدلون الزاى ضاد الاعوجاج ألسنتهم واشتقاقها من الضل أوالضلال أومن الضئيله وهى الحية قال الشاعر

فبت كأنى ساورتنى ضئيله * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ومصدرها القشرى ضل يضل ضلالا فهو ضال ومضلول (قيصى) على وزن حريصى أوجيصى واشتقاقه من القمص أى قمص الحمار يقال حمار قاص أومن بلد يقال لها منية القمص ومصدره قمص يقمص قمصا فهو قامص ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من الشحططة اومن الشحوطة أى يشحب وينجر على الارض يقال شحططه اذا جره على الارض وهـذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط مخيبك ورخه ألف فرقله * واكويه بالنار حتى يلتقى عله
حتى يلين ويسقى قرص من جله * قوم اطعمه عدس ويسار وبسله

والشاهد فى قوله شحطط مخيبك وشحطط على وزن ضرّط بتشديد الراء وضرّط فيها مناسبة من وجهين الاوّل الوزن والثانى اذا شحطط وجرّ على الارض اوفى جورة اوفى نقرة ربما ضرط من شدّة ما يحصل له من المشقة وألم التشحطط فكان المعنى ظاهرا (وقوله من ورا المحرات) أى من خلفه ووصف قيصه بأنه صار ينجر خلف المحرات لاحد امور اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله الحراثون اذا اشتدّ عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهـذا لا يفعله الا اكابر الحراثين وأماغيرهم فانه فى الغالب لا يحرث الاعريان أوعليه خلقة مقطعة لا تستر العورة فهـذا يدل على أنه كان من اكابر الحراثين ويحتمل أن قيصه كان مشرمطا فصار ينجر خلفه وينشبك فى الشوك والحلفه أو يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار ينجر خلف المحراث ومن شدّة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى أحد ولم يجد له مروة بلمه من الارض حتى جاءته تلك الصبية (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريت ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال الشاعر

تضال عمرك يامحرات تاعب جماعتك * لماليوم المحشر ماانت مفارق

فالحراث دائماً فى تعب شديد وهم مزيد وليس فى الفلاحين أتعب منه خصوصاً اذا كان فى معاناة الجرافة السلطانية وهو اقل عقلاً من غيره لانه فى النهار رفيق الاثوار وفى الليل رفيق النساء فى الدوار فلم يكمل له عقل * ومثله فى قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولداً آخر وجه المشتوم الشتمة الى المؤدب بقوله يقول لى الولد ده دم الحس قفاك ياسيدنا والولد الآخر يقول لى يا ابن القحبه ياسيدنا ويقول لى دم اخرق عينك ياسيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال أجمعهم بالطبلة وأفرقهم بالزمارة واضربهم بالفرقلة (ورأيت فى بعض الكتب) أن مؤدب اطفال كان يعلم الاطفال القرآن فى غرفة له فاتفق الاولاد على أن يبنوا على باب الغرفة حائطاً ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلاً ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وعدا فى طلبها ومازال فى البرية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيأ فرأى صومعة فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها ألواح ودوى فقال الراهب فى نفسه انه أحمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وأنت لا تلحقها ولكن بت عندى الى السحر وأنت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضره التعب فأحضر له الطعام فأكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهب وألبسه ثياب الرهبان وشد له زناراً وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحاً مسروراً فلما رآه الناس قالوا له أنت صرت راهب قال لا والله الا أنى بت عند راهب وقلت له نبهنى وقت السحر فأيقظ نفسه وتركنى قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك يا راهب نبه نفسى حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى ايس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان أيضاً بعض مؤدبى الاطفال) اذا وقف يصلى وركع أخرج رأسه من بين رجليه وقال شفتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة (وقوله حتى اتتنى صبيه) أى لم يزل على هذه الحالة السخيمة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار حتى مرت عليه هذه الصبية وهى ضد العجوز وصبية على وزن بلية أو رزية مشتقة من الصبوة على وزن اللبوة أو من الصابون أو من مصبنه فشغلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها الا سيما وهى من ملاح الريف وخصوصاً اذا كانت فى وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهى متضمخة بالنجاسة وتلك الروائح (وهى رايحه تبات) أى والحال أنها مروحة من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا

في الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار أو في نصفه على قدر تمام أشغالهم فيجدوا العدس والبيسار أو المدمس قد طاب أمره وحسن طعمه فيأكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر وأشوان التبن وغرف الجلة ونحو ذلك (فقلت ياام معيكة) أي أنه لما اشتغل بحبها عند ما أقبلت اليه وهي مروحة من الغيط كما تقدم نظرها فأحبها والعين توقع القلب في أشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل

عيني نظرت وشبكتي من عيني * مايقتلني الاسواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين مني بل ضياها
فآها كيف تجمعنا الليالي * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج أن يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من أنهم يتذللون لمن يحبونه ويبذلون لها الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله لان أحداق الملاح تذيب اجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد في الاشتياق ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله در معن بن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـ * ـل على أننا نذيب الحديدا
وترانا عند الكريهة احرا * را وفي السلم للغواني عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بأم أو بأب كما هو مقرر ومعيكة تصغير معكة وهي على وزن ركة أو حكة أو دكة أو لبكة وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تعمل شعرتها على جذور الشعر عند اشتداد اكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصا في زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس أيام الشتاء لان الشعرتين اذا التقيا تولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر أسود كالزنجي
فقلت لها ماذا الذي قد رأيته * فقالت طواشي كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فأسفق أيا هذا بجهدك بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك ومعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء أهل الريف مواليا

قومي امعكي يا خطيطه شعر تلتنا الخليط * لما أجاك هديه طور نميز بخيط
واصطلك وحياة امي فعل من هريط * وابي لحندلك وشل رجليك جوا الغيط

ومقول القول (ارحمي من مات) أي تعطفي بالرحمة والشفقة على من أشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت أو بالخناق المستعجل وهذا على حد قولهم حزين وواهي لانه مع كونه في حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذي يفضي الى الموت فكأنه يقول أنا يا أم معيكة قد أشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقي لحالي وانظري ما أنا فيه من معالجة الشوالي الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وأنت صبيه نضيفه وتكرهي الشعره المتوفه فاسمحي لي ببصبتين فيما بين العلبين واتزور الشيخ أبو قبه ولو أخذت البشت والجبه والا يحصل لي من بعد لك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية وابتلت بهذه البلية ورأت الذي لها مثل الذي عليه وشبه الشي منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذما في قاع قبر * وآخر ابرصا يخراعليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشي منجذب اليه

أبدت اليه العذر بالذي أوجب لهما هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهي في تلك المشقة العظمى والداهية العميمة وهي حذوت الخرا عليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة والاضرار لانه ثقيل في الصرم خفيف في الكم لذا ادرك الشخص بيزناسه خرى في لباسه (قالت) له على سبيل الوفاء بالوصال ولم تدعه يقاسي ألم الحب والنكال (أنا رايحه اخرا) وفي رواية خاطري اخرى والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتأكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارى لها أيضا والمعنى ان مرادي افرغ نفسي من هذه القضية في نقرة اخرا فيها مثلا أو فوق سطح أو في جنب شجرة او في الغيط او نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المرأة منهن تجلس في فضاء الحاجة وسط الزريبة أو فوق الكوم خارج البلد وأي نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

بدأت بنى الارياف ما البيوت لكم * مراحيض قالوا الامراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نباتكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

كالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمه الى حالها وغرضها كأنها تقول له انى اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المشروح وراحت عليك تفوح ولكن عند ما ازيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكورة أوفى بالوعد ولم الشتات (وأجيك بثبات) أي بأمر ثابت محقق وابار لتفيه وأصله بالثاء المثلثة غير أن هذه من ألفاظنا الاريافية فكأنهم يقولون في الميراث ميراث بالتاء المثناة فوقية كذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثلثة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك بتوابات لكن يكون فيه الايطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شي فضلى

الرواية الاولى يكون المعنى أناقوني ثابت فى المجى • اليك والبيات عندك * والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لان نساء أهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف أو المصحف على اللغة الاصلية ويمكن أن يكون قولها بعه بتبات أى هذه الليلة وقولها أجى وأبات أى الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثانى وان كان هو عينه فى باطن الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثانى فان الاول منسوب لقول الرجل والثانى لقول المرأة ولعلها ارادت بتأكيدها فى البيات عنده عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء بالوصال ويكافى • العاشق بلذة القرب والجمال وقالت فى نفسها هذه الصبية هذا المحب لا يرضيه منى الا ليلة على كالها يتملى بتلك المقابح ويشم تلك الروائح وهى آثار جلة الغيط وارقد أنا واياه فى الفرن أو فى مدود الجماره أو على الجرن أو فوق الجلة الناشفة لان نهاره كله فى الحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه فى كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر

قالت تسافر يافتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن

وتأكيدها فى البيات يفيد أيضا أنها تريد من هذا العاشق أنه يتهيأ لما يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول المدمس ونحوه ومصدره بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرى لفظة الخرا فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذرة ونحو ذلك انتهى * ومن أشعارهم القشرويه

وقلت لها ولى على وشرشرى * عريض القفا للنا بات صبود

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذى عرضه من الحسينيه لبركة الفيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل أن هذا القائل لما ولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج أن يتذلل لجمالها وأن يتمتع بمحاسنها وأن يتحمل منها المشاق والدواهى والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس فهو فى اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر موالبا

عشقت ذلت حلت الجوع جسمى حك * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من لها الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طربحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور أن يكون اجرى من كلب واوزن من صيرفى وأذل

من

من يهودى * وعشق الفسقة على أقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حدقة وعشق علقة فهى اربعة أقسام ونحن نوردها على اخواتنا المتاعيس على التمام * فأما عشق الشفقة فهو أن يميل العاشق الى الولد الجميل أو المرأة الجميلة ويكون معه أو مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح فى محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه أحن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من اجلها البليات ويكون حريصا على أمواله مشفقا على حوايجه مسرعا فى قضاء أوطاره حتى يقضى منه المراد على اتم حال قال الشاعر

لقد صرت فراشا لحبى وسائسا * زمانا الى أن نلت منه مراديا

وأما عشق النفقة فهو أن يكون الشخص صاحب ميسرة وأموال فهو لا يحتاج الى تعب فى جلب محبوبه بل كل محبوب اظهر له الدراهم يحضر عنده على أحسن حال واتم منوال قال الشاعر

نخرة العشاق يامن عشقوا * ذهب يشره اوورق
واذا باب الرضا قد أغلقوا * يفتح الدرهم ما قد أغلقوا
كذا قد قال فى تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا

وأما عشق الحدقة فهو أن يكون من اخواتنا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه أنه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاءك ادام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له أن مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظرة الاوطى الا افراسة * وما قحت عين العلق الا منهم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

ان أجد وجها مليحا * ألق فى القصة خفه * أو أجد هذا وهذا * لم أجد فى الحى غرفه
أو أجدها تيك جمعا * ألق فى الحارة زفه * فلهذا طول عمرى * تائب من غير عفه

وأما عشق العلقة فهو أن يكون العاشق عديم الذوق سيئ الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع أو صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه أنواع البلاء وألقاه فى اشد المصائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا بمراده كرها لا برضا قال ابو نواس

اذا رقد الندامى خل عنى * ومن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب او خوف الرقيب

ولعل الناظم من هذا القسم بدليل قوله يولى على وشر شرى أى أن محبوبته لما أنه

قد لقابهما كعلوق النار في الحطب أو الزنبور في الخشب علمت أنه لا يفارقهما الا أن يقضي مراده منهما لعدم ذوقه وصقاعة وجهه ولم تقدر أن تمنعه بصك ولا بشيء غصب فلاجل أن ينزجر عنهما ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها يفعت فيهما وأوهمت أنها تريد البول عليه أو على لحيته حتى تملأها ولكنها في وهم منه وحيرة فاكدت عليها بالقول وأمرها أن تفعل فقال (وقلت لها بولي على وشر شري) أي أني لا أبالي بما تفعلينه معي من النجاسة ولا أتكدر من الخساسة لاني عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفي هذا المعنى يقول القائل

احبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فولي * بالله اعذروا العاشق النظر لعديم الذوق فلا أبالي بالبول علي وعلى لحيتي لاني (عريض القفا) وثخينه ومن شان عريض القفا وبليد الطبع أن يكون (الناثبات صبور) وأن لا يضجر ولا يفاق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يفرجن قفاه الهموم جميعها * وذاك لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولي مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهي شيء يعمل من الخوص أو الحلفاء يجعلون عليها الزبل وربما يكون فيها الجلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف أو المحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة أيضا وهي ما يبل ويتضح فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة لها هذه المصادر فلاي شيء اكتفى الناظم بقوله بولي علي ولم يصرح فيها فيقول بولي علي بولا ومبالا الى آخره قلنا يمكن الجواب المفسر وعن هذا الكلام وهذه الاشكال المشكلية وهو أن كلمة بولي فيها تكرار اذا اقتصر فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان في حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولي أو يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

بالت علي مبالة ومبلة * حتى اكتفيت ببولها وأنا أبول

أي وأنا البول عليها أيضا المناسب ولها بولي لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت علي بلت أنا الآخر عليها يقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودي باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذى
أفسدت قلبي فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا .

أي اذا دخلوا قرية أفسدوها وقوله فتلى أي بولي على ذاتي جميعها حتى يشمل البول شواربي ولحيتي وماجاورها بحيث لا يبقى في منبت شعرة الا وقد عمها البول فلا هرا ويابسا وقوله وشرشري معطوف على بولي وهي من لغة الارياف وقد وردت

في القاموس الازرق والقاموس الابلق وهي مشتقة من الشرا أو من الشرر أو من الشرور أو من اولاد ابي شرشير وهم جماعة فلاحون أو من الشرشرة وهي آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح في حزامه اذا سرح في الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفي شرشير جناس مذيل وهو مشرشر وأكد على محبوبته في القول بلفظ شرشري لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب أن يقول لها بل على طرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت يعني أن بولها ينزل من فرجها مشرشرا حكم أسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب أنه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق في الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال زب فهو في الارض يخرق

وفي رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا أن عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف أهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو أن يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على أهبة سفر فاتفقوا أن يجعلوا ابنة عمه مكانه ويركبوها جوادا كأنها رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت أمامهم فلما نظر العدو اليها لم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم أنا اكشف لكم الامر وهو أني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ونهبوهم والقصة مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل كقول الشاعر

اذا المرء لم يحفظ والدهر مقبل * عليه ولم يخطر عليه ببالة

فصوره في وسط الكنيف بجمة * وشرشر عليه عند كل مبالة

وقوله عريض القفا على وزن صقيع اللما وعريض القفا مشتق من العرض أو من العرضية وهي ما يلف على الرأس بلغة الريافة ويسمونه أيضا السكر أو من عارضة الباب قلب والانسب اشتقاقه من المعارض وهو الغلام لان قفاه صار منه عرضا للبول والصيد وغيره كتعرض الغيلم في أفق السماء والقفا مشتق من القفو أي قفوة الانكشارية التي يلبسها ملازموهم أو من القفة أو من القفقولة وهي بوشة صغيرة يطبخ فيها أهل الريافة طبيخ البيسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للرأس ولا يفارقه أبدا الا عند قطعه ومتى سار تبعه قال الشاعر

للرأس يتبعه في السير أربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدا جبان القلب قال الشاعر

حيا ببليك يا عريض القفا وقفا * فعاقه عنك قطع يا قفا وقفاه

وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ما ينوب الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا أتتك مصيبه
فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات تلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا أيضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر أو من الصبارة التي تعلق على ابواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر
واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمى من الشرر

الى اخرها هذا وقد أتى لفظ العبراية بمعنى العبور في نظم الشيخ بركات وسبب قصته أنه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق أنه سافر الى بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا في بعض شوارعها فسلم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد أجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لابد أن أمدحه أنا الآخر وأثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان انهم لا يمنعون أحدا عن أبوابهم فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كاسيأتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال أريد الملك فقالت له تأتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولابد فعرفنا حالك نخبره به فأخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرايه * جا يسلم ما قدروشي * من عجوز خلف داره * كالاسود الضاريات

وطواها وأعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرأ البيتين أمر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظمه ورؤية لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه ألبسه برذعة حمار وأمر أن يجعلوا في فمه اللجام وعلى طيزه الثفر كعادة الحمير ثم أمر أن ينادى عليه في المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم أنعم عليه بعد ذلك وأمر باخراجه من المدينة * قلنا ولهذا ذكروا أن الشاعر لا يهدى قصيدته الملك أو غيره حتى يتطرق في ألفاظها ثم يهذبها أو يعرضها على أرباب الخبرة من أهل

الذكاء والفطنة لئلا يقع فى محظور بمثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ برككت منقول لقوله (بركك عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر أو من بركة الجمل وقوله عبرايه أى يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جابسلم ما قدرتى أى أتى يريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة فى منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فيصير قربها وجماعها غم الاعلى من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(ويقرب) من هذا المعنى أنه وصف لابى نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا ليختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد عليه السلام فأنشد أبو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله فى رجل * اضناه حب عجوز ذات تسعين

فاجابه الحداد بقوله

يبكى عليه فقد أودى بمهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له أبو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين أنا صنعتى تكفينى ولا حاجة بى اليه فتركه وانصرف * وقد تطلق العجوز على الخمرة اذا اعتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فى حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد أن يزوجه بعجوز وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تأخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا أن أصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الى جساس وألقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاما وذكر بعضهم أن فتنة التتار التى لم يوجد فى الاسلام أعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوزا (وأما حيلهن) فى القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها * ولا يغفر لها فى يوم موت

تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك فقالت لى يا سيدى وقعت لى اسورة من ذهب فى هذه البئر قال فاستقفت صدقها ونزعت ثيابى

ونزلت البئر فى طلب الاسورة فأخذت ثيابى وانصرفت وتركتنى عريانا ففتشت فى البئر فلم أر شيأ ثم خرجت من البئر فلم أرها فسرت الى منزلى عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغى التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهى والمصائب * فان قيل لفظة قدرشى فى نظم الشيخ بركات التى تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاى شئ لم يكتف به مع أنها أقل حروفا من قدرشى فكان حقه أن يقول جابتلم ماقدر وكان هذا اولى واخصر فى اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشى أبلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى فى ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر وأما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلانحطاط بنائه لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن أشعارهم القشروية البيتان الآتيان) وسببهما على ماقيل أن جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شئ من الحلاوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والخزى على وجهه قد لاح فلما رآهم فى هذه الحالة انقض عليهم بالاعجالة وقال لهم ذكرتمونى زمان العشق للملاح وقولى فيهم بلا مزاح واراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لابدما ارى عليكم أنقباض أى ألغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

واقه واقه العضيم القادر * هوعالمابسرايرى وخبايطى
ان عاود القلب المشوم ذكركو * لاقطعو من مهجتى بصوابعى

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعانى المشرمطة وتفاعيله مخلبطه مخلبطه متضابطه وعرضه يبقين من زنجيه لشربين وطوله باحتياط من السرولدمياط وأما شرح معانيه المسخمطه وحل مبانيه الملقمطة فقوله واقه واقه العضيم القادر يريد القسم غير أنه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لابالظاء المشالة جريا على لغة أمثاله من أهل الريف فاختل المعنى فى ذكر الصفة وان كان الموصوف الذى هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هوعالمابنصب عالما مع أنه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا أن لسانه لم يساعده على ذلك لان ألسنة أهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب معرفة الكلام المناسبة لهؤلاء القوم وقوله بسرايرى وخبايطى السرائر جمع سريرة وهو مايسره الانسان من خير أوشر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايطى على وزن عبايطى مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا ألقاه على الارض أو من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط أنسب بالمقام بل هى اولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لا قطعو من مهجتي بصوابعي

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا ابعده عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا أنه يتقلب

والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة أيضا واسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهي خمسة بيقين لا شك فيها ومعنى الكلام أن هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر على كل شيء العالم بسرائره وخبايطه أي ما اسره من الافعال القبيحة والنيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والنط في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة ومواسته على زوج شريكه وأخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التي يفعلها هو وغيره من اراذل أهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم أي ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وتركتكم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم في الغيط في الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلوا له القفة يملاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطعمكم وأنتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذي فعله فهو الآخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بأنه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم أي تذكرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعو من مهجتي أي أنزعه منها بصوابعي وفي رواية بضوافري والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو في حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب أن هذا قطع معنوي لا حسي بمعنى أنه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه أو بضوافره كما تقدم ومن هذا المعنى قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

ياقلب لا كويلك بالنار * وان كنت عاشق لازيدلك

ياقلب خليتني العار * تريد من لا يريدلك

وقوله من مهجتي فيه شيء فان القلب ليس في المهجة وانما هو في الصدر مما يلي الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له أدنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول خبايطي والثاني صوابعي أو ضوافري وهو غير الموضع العروضي ولا يساوي قشرة بيضة ونظمه أثقل من حجارة المطحنة غير أن قائله من ارباب التصوف المقلوبة والمناسبة مطلوبة (مسئلة هبالية) لاي شيء ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين أو الموسى اذ من شأن القطع أن يكون بآلة محددة وكون القلب لحما لا يتهيأ قطعه بالصوابع ولا بالضوافر قلنا الجواب المشروي أن يقال

انما ذكر القطع بالصوابع لكونه أخف فى الالم من السكين أولان الحركة والعمل لا يتأتى الا بالاصابع اذ لا يمكن أن يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا قطعو من مهجتى بسكينة قابض عليها بصوابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أو ان السكين اذا قطع بها قلبه يمكن أن يقال فلان جرح نفسه بسكين أو قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة أو انه من باب خلطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعو من مهجتى بصوابعى وسكينتى لكان اولى للجمع بينهما اى الصوابع والسكين الا أن الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى الثقيل فاعجبه الجواب وبان الصواب * ومن أشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك * وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك

يامن عشق قلبى فى وحيلاتك * يارتنى قرص جله بين اداياتك

هذا القول المعكيس والنظم الخسيس والمعانى القلسة والالفاظ الهبالية من خرافات الاسرائيلية والتشابيه التى خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهو ان ثبتت اوزانه وتخلبطت اركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق من الحانكه لبولاق وعرضه يقين من باب زويله لسويقة السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه فكأنه يشبه الرزية وهذا من العجب العجاب أن هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لهلولعشقه اياها وشبه الشئ منجذب اليه والطيور على أجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لم يكن فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا وأن غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا أوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمى ولم يقل فرنى لكونه كان فقيرا لا فرن له الا بالعصيف وهذا من قبيل التغزل الفشروى لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل فى عينيها اراد أن يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فنظر بلادة طبعه فلم ير شيأ اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا ألف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا وكذلك اذا ألف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده فى قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال اخر

يقولون فى البستان للعين نزهة * وماء نمير صفوه غير آسن
اذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) أنها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبيخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كحلاتها به لكونها دائما فى هذه الحالة وهذا من باب قولهم حضام بهباب ثم انه لما شبه كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها أنها تفهم من ذلك أنه محب لها ومصر على عشقها أراد أن يشبه مدلاتها أيضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وأن يكون التشبيه من ماهية ماسبق من تشبيه كحلاتها فقال (وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره أن مدلاتك فى الطول تشبه حبل طور ابن خالى والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك وتسمى أيضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع أو أقل منه وحبل الثور ربما يكون أكثر من ذراع أو ذراعين غير ما يكون ملتفا على اذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو فى الشئ والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على صدرها ولم ير فى بلده أحسن من ثور ابن خاله ولا أطول من حبله شبه مدلاتها به وأتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس وأما كونه حرم نفسه من أن يقبل كلامه عند محبوبته التى خاطبها باستعارته ثور ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيأ يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله أنه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا فى هذا المعنى موالیا

اللى معه مال لو طلب الثريا نال * واللى بلامال صكوه الملاح بنعال
وان كان معك مال هاته تبلغ الآمال * ما كان معك مال طردولك الملاح فى الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالى بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة فى الثور بالطاء أو بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يامن عجنتى قلبى فى وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعنى أنها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر فى الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل يبقين ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند أهل الريف ثم انهم يجعلوه جواليس ويلبسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا منه مذاود للبقر وغير ذلك مما يحتاجوا اليه فلما رآها

فى هذه الحالة أخذت قلبه وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء النداء تنبيها لها على أنه لا يجوز من المحبوب أن يتملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كأن قائلا قال له المحب ليس له تصرف فى نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو أنها ألقتك وزقتك وقلبك فى الجرا مثلا فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى أن يكون قرصا من الجلة بين يديها وأضاف الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة أنها كانت تعجن الوحل فى محلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان فى زريبتها بيقين كما أن الجلة والزبل فيها أيضا وقوله وحيلاتك تصغير وحلات وقوله (ياريتنى قرص جله بين اديانك) حينئذ تأكيد وبيان أن المعجنة التى كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله ياريتنى قرص جله الى آخره بابدال اللام راء فى ريتنى من لغة الرياقة وأصلها ياليتنى وقد وجدت فى القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى انى أتمنى أن أكون بين يديها قرص جلة من هذا الوحل الذى عجنته وأكون وحل ابن وحل أى وحلا بطريق التمنى وابن وحل بطريق التشبيه فاتجه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جلة وهو شئ خسيس اشارة الى أن العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا التشبيه الحقير المشابه للعيشة التعيسة وتمنى أن يكون قرص جلة بين يديها وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهى دائما فى هذا الامر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبه وأعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما أخس هذا العاشق وما أرذل هذه المحبوبة وقوله بين اديانك هذه لغة أهل الريف والمعنى انى أتمنى أن أكون قرص جلة تقلبينى بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلى فى قرص الجلة حتى انى ألتذ بكونى مرفوع فى يديك وتمس ذاتى اصابعك فتحصل لى الراحة ويزول عنى ألم المشقة ولو أن صورتى انقلبت قرص جلة فانى لا ابالى من النجاسة ولا اسام من الخساسة لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولى

وهيفاء لما جئتها حين حلبها * تمنيت أنى مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف فى محبوبة لطيفة (مسئلة هبالية) لاى شئ اقتصر فى العبارة على الوحل وكان حقه أن يضيف اليها أيضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا الجواب القشروى) أنه اذا كان الوحل ثابتا بيقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلا بلام (وقوله) هباب على وزن تراب أو كلاب أو سراب مشتق من هبوب الريح أو من هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتنى كلابها * فقلت عجيبا قد علانى هبابها

(وهبهب) واد فى جهنم (وفى الاحياء للغزالى) فى كتاب ذم الكبر والعجب

عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان في جهنم واديقال له هبهب حق على الله أن لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه ومصدره الهباب يقال هب يهب هبابا وسمي بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمي) العم أخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ أب وهو مشتق من العمى أو من العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذي هو ضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) أن بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهي عبد أسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته وأوجز فكتب اليه أما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا أقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد ماخوذ من السوذ وهو العلو والرفعة وتصريفه ساد يسود سودا او سوددا (وقوله) كيلا تك الكحل مشتق من الكحلة أو من الكحال أو من تذكرة الكحالين قال الشاعر

كحال الكحل تفنيها المراود * وكثر المال تفنيه السنين

(وفي الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وحبل طورا بن خالي الحبل مشتق من الحبلي او من الحبالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور او من الطارة التي يصيدوا بها السمك وأما بالثاء المثلثة وهي اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث لانه معد لذلك وللساقية أيضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون متواليا

الثور والبقر ذي العام ومن قبله * في مصر والشام مع غزه مع الرمله
فدى يحبل وذا يعمل اوعجله * والثور في الساقيه يا كل بفرقله

(وقوله) ابن خالي الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء أو من الخيل أو من الخلخال أو خيال الظل ومصدره الخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذي يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال أبو نواس

يكون الخال في خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا

(وقوله) كيف مدلاتك المدلات واحدته المدلة على وزن مبلة أو المدلة مشتقة من الدل أو الدلال قال الشاعر

له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن في الناس

أو هي من التدلية لكونها تدلت على الصدر أو على الخوران أو الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلي يقال تدلت تتدلى تدليا فهي مدلاة (وقوله) بجنتي

العجين مشتق من المجنة أو من العجين قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) في وحيلا تلك العبارة من وحل وفيها الوحل أيضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل مثلا أي من طبعه وخصاله تشبه الوحل نجسة خبيثة (وقوله) يا ريتني قرص جله القرص هو الشئ المدور مشتق من التقريص أو من القراصة أو من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجله فيها أيضا وهي مشتقة من جله البهائم (وقوله) بين اديا تك جع يد وقد ورد هذا اللفظ عن القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا بأديات تشيرلنا * نمشي اليها سعيرا بالرجيلات

(وفي نسخة اخرى) يا ريتني قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد في النجاسة وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهي من الترجيل أو من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلان فهي كرجلة * والافرجل كالترجل اذورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل * وفي الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل التور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السجر من مرح * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن أشعارهم أيضا) مواليا

سألت علجب قالوا شت ملتايه * مسحت دمعي بكرسايه وجلايه

وشلت وجهي لربي قلت مولايه * جاب لي رغيف وجموره وقتايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من مجرز بل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثاقل ومعناه الذميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سألت علجب قالوا شت ملتايه) يريد به أنه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لا يفارقه طرفة عين فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ولو أنه في أعظم المشقات واصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتسلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) أن رجلا زاد به العشق فرض فأتوه بطبيب فأخذ يجس نبضه

ثم قال الطبيب لغلامه هات الفرجية فحرك نبض المريض فقال الطبيب أنت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم يا سيدى فقيل له من أين عرفت ذلك فقال أمسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة أنه عاشق ومحبوبته اسمها فرجية ومن هذا المعنى ما ذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت ما بى فقال الصحب أجمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت أعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يا رعاك الله خذ بيدى * وانظر لحالى وداو القلب من علل
فجس نبضى وقال الحب قارتعدت * فرائصى وفؤادى صار فى خجل
وقال أنت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا أراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وأن يعلم محله ومنزله ويسأل عن حاله وفى أى مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسأل عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذى تسأل عنه شت أى ذهب وراح من التابة وهى محل يجعلوه الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من القصاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسموه التابة فيقال تابة الجماسة وتابة الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما الطخوها بالجلة والوحل أيضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة أو الغنامة الذين هم رعيان الجاموس أو الغنم بدليل أنه سأل عنه الجماعة القاطنين بهذه التابة فلما علم أنه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وأدركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكرسايه وجلايه) أى حين علم أن محبوبه سافر وشت من التابة ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التابة لاحد امور اما أنه انكسر على أبيه مال السلطان فهرب لئلا يأخذوه عنه رهينة أو أنه راح فى طلب عجلة أو بقرة أو ثور فشت فى البرارى لينظر ما ذهب منه فسأل هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هو عادة العشاق واسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه أيضا (كما اتفق) أن بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتى * يسيل المخاط على لحيتى
وليتك عندى اذا ما خريت * يكون لسانك فى شقتى
نسيمك عطل ماء السما * واورثنى الكسر فى ركبتى
فان لم تغثنى بلطف الدوا * فان الهوى منهل معدتى

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعى بكسر البال

المهملة جريا على اللغة الريفية أي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السايل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرساية فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه أيضا بجلاية أي أنه استعارله ممسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وأيضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرص وشيل الجلة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالمحبة علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذلو قال مسحت دمعي بمنديل أو محرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور أن يكون له محرمة أو منديل الا نادرا الان الظريف من أهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه أو في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سأل عنه أهل الثنايا وهم دائما في حالة رذالة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو أيضا في حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في الخساسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصور أن يكون مع أحدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة في الغيط ذقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة أو في القلقيل أو في الحشيش أو نحو ذلك (فان قيل) لاي شيء مسح دمعه بكرساية وجلاية وكان الاولى أن يمسحه بكمه أو بطرف كرة أو بشيء كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط أو كان عريانا كما هو دأب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لاغير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر أو قناة او شيل زبل او جلة او نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل أو أنه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن أن الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين أنهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها أو أنه من الخضوع القشروي والتذلل لمحبوبه أو أنه اراد أن يفهمه اذا رجع واجتمع به أنه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية او جلاية ليتحقق أنه محب له وأنه تعاطى لاجله أخس الاشياء والاولى أن يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى أن يموت في الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما أكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا اولاد خرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب الثنايات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وأفاق لنفسه وتيقن أن محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره ليأتيه بشيء يأكله من الخبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين في اكثر ما كولهم لم يكن له صبر لان الجوع يفضي بالانسان الى ما لا يحصى سيما هذا الفلاح لاسيما اذا كان في حالة حفر البئر او شيل

الطين او وخف قناة اوشيل الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب حفر البئر اوشيل الطين او العشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد ابطأ عليه الغدا فاضطرب اضطرابا شديدا اوساءت عليه نفسه لانهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا وقال لها من أنا فقالت أنت أنت وأنا أنا فسلط عليها الجوع وقال لها من أنا فقالت أنت الله الذى لا اله الا أنت فكان الجوع على النفس أصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تأكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت أن تحيى صحيحا منعما ❊ فكل من طعام تشتهيه قليلا

كما قال بقراط الحكيم وغيره ❊ اذا قل أكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر أخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربى فقلت مولايه) أى لما طال على الزمن فى حالة بكائى وفى مسحى الدموع وأشرفت نفسى على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى أى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه أى رفعه وقوله لربى أى لخالقى ومربيى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم وأما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه أنه قال أطلب منك يا ربى ومولاى أن تيسر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى وأسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جاب لى رغيف ومجوره وقتايه) أى سخر لى انسانا أعطانى مجموع هذه الثلاثة وأكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم (فان قيل) استجابة الدعاء لها شروط أن يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه أيضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود أو الجرن وأيضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا جعل الله له ما ذكر وهو الرغيف وما معه (قلنا) انما جعل الله له هذا من باب الاستدراج أو من باب ما ورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل فى قوله تعالى فى حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد أجيبت دعوتكما أى بعد أربعين عاما (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى ذكره فى الابيات الكرس والجلة والرغيف والمجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن أن يأكل القتايه والمجورة بالجلة والكرس ثم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع أن فيه انواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع

المهملة جريا على اللغة الريفية أي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السايل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرساية فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه أيضا بجلاية أي أنه استعار له ممسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وأيضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرص وشيل الجلة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالخسة علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعي بمنديل أو بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور أن يكون له محرمة أو منديل الا نادرا الان الظريف من أهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه أو في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سأل عنه أهل السباية وهم دائما في حالة رذالة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو أيضا في حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقد هم في الخساسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصور أن يكون مع أحدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة في الغيط ذقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة أو في القلقيل أو في الحشيش أو نحو ذلك (فان قيل) لاي شيء مسح دمعه بكرساية وجلاية وكان الاولى أن يمسحه بكمه أو بطرف كرة أو بشيء كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط أو كان عريانا كما هو دأب الفلاحين في غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا في حفر بئر أو قناة او شيل زبل او جلة او نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل أو أنه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن أن الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين أنهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها أو أنه من الخضوع الفشروي والتذلل لمحبوبه أو أنه اراد أن يفهمه اذا رجع واجتمع به أنه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية او جلاية ليتحقق أنه محب له وأنه تعاطى لاجله أخس الاشياء والاولى أن يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى أن يموت في الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما أكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا واولاد خرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب السايات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وأفاق لنفسه وتيقن أن محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره ليأتيه بشيء يأكله من الخبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين في انفر مأكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يهز مرتا الانسان يخصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان في حالة حفر البئر او شيل

الطين او خفت قناة او شيل الوحل وتراكمت عليه الدواهي والتعب من عقب حفر البئر او شيل الطين او العشق الذي هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد ابطأ عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا او سلخت عليه نفسه لانهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا وقال لها من أنا فقالت أنت أنت وأنا أنا فسلط عليها الجوع وقال لها من أنا فقالت أنت الله الذي لا اله الا أنت فكان الجوع على النفس أصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تأكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت أن تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر أخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربى قلت مولايه) أى لما طال على الزمن فى حالة بكائى وفى صبى الدموع وأشرفت نفسى على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى أى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه أى رفعه وقوله لربى أى لخالقى ومربيى ثم دعوته وقلت مولايه وحذف ياء النداء لضرورة النظم وأما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه أنه قال أطلب منك يا ربى ومولاى أن تيسر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى وأسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جاب لى رغيف ومجوره وقتايه) أى سخر لى انسانا أعطانى مجموع هذه الثلاثة وأكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم (فان قيل) استجابة الدعاء لها شروط أن يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه أيضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود أو الجرن وأيضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو الرغيف وما معه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج أو من باب ما ورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل فى قوله تعالى فى حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد أجيبت دعوتكما أى بعد أربعين عاما (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى ذكره فى الابيات الكرس والجلة والرغيف والمجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذاك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن أن يأكل القتايه والمجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع أن فيه انواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعداد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع

فالكرسايه واحدة الكرس والجلايه واحدة الجلة والعجورة والقتايه كذلك وذكر القتايه بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال وأما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سألت عن الحب السؤال هو أن يسأل الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل أو من السولية أو من السيالة ومصدره السؤال يقال سأل يسأل سؤالا والحب مشتق من المحبة أو من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت امى) وأنا صغير تقول يا شي من شي بطق على بطنه والمدلى يعمل شغله ولم أفهمه الا بعد مراجعة أمى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات أو من الشيته التى تستعملها النساء لحمر الكتان والتابه مشتقة من التوهان أو من وادى التيه وقوله مسحت من المصحة على وزن المروحة أو من المسحة على وزن دبحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلايه كذلك من معناها والكرسايه من التكرس أو من كرس الزريبه وقوله شلت وجهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن أو من الشلف الذى يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجورة من العجر أو من العجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا والقتايه مشتقة من القت الذى يربطونه الحصادين من الفلاحين ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفى البيت من انواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرسايه وقابل لحيته بالجلايه وقابل بطنه بالرغيف والعجورة والقتايه وهذا يدل على أنه كان مشغولا ببطنه أشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوى أيضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم الشبروى من غموم وهموم ومعانى عليها الخراطوم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق (ومن أشعارهم مواليا)

رقاص طمو تتايشبه لخلخالك ❊ ورحينا فى الزريبه قالت اشحالك

الاوكلاف يقول لى ياصبى مالك ❊ طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من الضابيط وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبة من باب النصير للصليبة ومعنى ألفاظه المربطة وحل معانيه العبيطة أن قوله (رقاص طمو تتايشبه لخلخالك) أى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير كما تفعله نساء الارياف أو من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبهه بصوت خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بأنه الهواء المنضغط

بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هنالك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف أى صوت رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك الخارج من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا أنها كانت تلبس فى كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس أن هذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه أو لاجل دوران الثور أو الفرس فانه مادام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فأين المناسبة بينه وبين الخلخال وأيضا جعله الخلخال مشابها للخشب فى غاية البعد خصوصا اذا كان الخلخال من الفضة فان الشئ انما يشبه به ما كان مثله فالجواب أن هذا النطع لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه أن صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا أحسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس أو الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف * وألطف ما سمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زها جمالا * فما يطاق السلو عنه
ورق خصرا فليت شعرى * بكم يباع الدقيق منه

وأحسن ما سمعته فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه * كفلى أضعف خصرى * فأعينونى بقوه

أقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان أقفاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر أن هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فدحه فاتضح الجواب وبان الصواب * ثم انه أضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها ويحتمل أنها كانت ملكه أو أن هذا من باب بناء الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الحرا ماذكره من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى خيل له أن الرحا تخاطبه بالمقال وأنها تفهمه عن شرح الحال فأخبر عنها وقال (ورحينا فى الزريبه قالت اشحالك) يشعر هذا الكلام بأن الرحا خاطبته وأنها سألته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من أجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له وأما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها عما هى فيه فى هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التى قبل حرف الروى منصوبة كان الخطاب له

وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتى أن نصب اللام وخفضها لا يضر فى الشعر * ويفهم من قرائن المقام أن محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا فى الزريبة فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا أى لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من أهله * ثم انه لما علم من حالها أنها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وأنه يريد منها ما يريد الراهب من الحمارة أراد أن يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضربه الفرقلة وتعب السواقى والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فأتى بأداة الاستثناء فقال (الا وكلاف يقول لى ياصبى مالك) وفى نسخة بدل مالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك) أى أن هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار أيضا وهو الذى يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها المار أى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من أجل محبوبته وقد صار فى حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار وأذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى فى فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وأيضا رآه فى حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ما هو فيه من النحول وشدة النحول قال له ياصبى مالك او والك على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعنى واحد أى ما حالك هذا الذى أنت فيه وما سبب مقاساتك الخطب وانما خاطبه بلفظ ياصبى لكونه اعترته الصبوة أى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها أو أنه كان من صبيان البلد أى من شجعانها وقد أذله الحب وأنحله الغرام والمعنى انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه ما اصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو أعظم الاثوار وأكبرها فان حاله الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب وما كابده من النصب وما أكله من الضرب على أضلاعه وما حصل له من شدة أوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسى بالغير كما سبق واراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح أنه فى الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك وأتى بهذا التشبيه الخسيس المبنى على غير تحسيس ليناسب عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهيته ما هو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار

وكذلك

وكذلك محبوبته فاتجه السؤال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو تعلم يشبه بول الرجال وفائدته اثقل من الجبال * وأما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طموتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة في صورة من الخشب أو الحديد فاذا دار الحجر قرقعت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القمص أو من قرية في البحر الغربي يقال لها مرقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص * والطاحون على وزن الصابون والمصون مشتقة من طحن القمح أو من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن طحنا فهو طاحن ومطحون * والخلخال مشتق من الخلخلة او من الخيلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة * والرحى جمع رحا وهي حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الاعلى يدور على الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قال ابن دريد) رحمه الله تعالى في مقصورته

وان سمعت برحا منصوبة * للحرب فاعلم أنني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدها رحا كما تقدم وهي مشتقة من الراحة او من الروحاء محل بأرض الحجاز أو من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا قال الشاعر

له راحة مشتقة من رحائهم * تروحني لما اروح الى ارضي

والزربية مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويجلوا فيها ويرعبا بالواقيها أيضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا * والكلاف مشتق من الكلفة أو من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد أو الجارية بعد بلوغها ودليله أن هرون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ماسلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصفه

الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرفه

فاشتراها هرون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف أو بلفظ التوار فيكون مشتقا من النيران ومصدرها العلف يقال علف يعلف علفا * وقوله ياصبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة أو من الصابون أو من قناطر الصابوني وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا (مسألة هبالية) لاي شيء أتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه أن يأتي بالعجلة أيضا أو بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي ابلغ في النظم (قلنا الجواب القشمروي) أنه يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما أن ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة



فكان الاعتراض على الناظم فى غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس بن فلطس الذى قاس البحر على المقطاس (فان قلت) لاى شئ حصر الناظم الرحى فى الزريبة مع انها ليست معدة لذلك وانما هى معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم أنهم يبولوا فيها ويخروا أيضا حتى يفرقوها فما الحكمة فى ذلك (قلنا نعم) وان قلنا انهم يبولوا فيها بيقين فان البول فيها لا يدوم وزربها كانت جوانبها سالمة من البول فيجعلوا فيها الرحى لاجل الطحين أو يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن ترى أنواع ايديها دائما متضمخة بالجلة وغيرها فى غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال (ومن أشعارهم موالبا)

رأيت حريفى بفرقلة بسوق تيران * لو كنت اصفر على راسه كما اللبسان
يا ريتنى كنت لو حدوة من الحدوان * أو كان لى شلق فوق راسى من الكتان

هذا الموالبا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من سمنود لابى صير وأمامعناه الخارج عن الادراكات الجارح لقلوب ذوى المروآت الذى يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا اربع فان قوله (رأيت حريفى بفرقلة بسوق تيران) هذه الرؤية بصرية أى شاهدت ببصرى لا بايدى ورجلى حريفى أى محبوبى وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفى أى صديقى أو صاحبى أو محبوبى ويقول له يا فلان تعالى حرفنى اولا قشنى يا ابو واسعه أو هنا رشنى يا ابو عريضة اوحارفنى يا مليحه اويا ابو كاره اويا ابو كرة ونحو ذلك من هذه الالفاظ وستأتى كيفية لتشهم على المرد والنساء فى الارجوزة الآتية فى آخر الجزء ان شاء الله تعالى * وقوله بفرقلة بسوق تيران يريد به التغالى فى وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التى هو فيها من لبس اوصنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقاله (كما اتفق) أن بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضرب به فأنشد يقول

وأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس أى الضرب يجبك * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

فانظر الى رقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا للحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغنى الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقلة أيضا والفلاح عنده التيران فى مقام الاولاد كما أن السواق عنده الفرقلة أعز من اخيه وولده ولهذا تراه دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كنى هذا العاشق الماسخ والمهم الراسخ ما وصف به محبوبه من أمر تعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق التيران وأنه عنده

من

من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف ما على رأسه فقال (لو كر اصفر على راسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف تقديره ان لهذا المحبوب كترا وهو الشد الذى يلفه على راسه يشبه فى لونه نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بأن له كترا أصفر على رأسه يشبه نوار اللبسان وأنه متميز عن غيره من السواقين والرعيان بهذا الكتر فقل أن يلبسه أحد من جنسه واذا فرض أن أحدا يلبسه لا يكون كله أصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون أطرافه فقط من عفرة أو معصفرة كما يفعله اهل الريافة لاولادهم (فان قيل) لاى شئ شبه كتر محبوبه بنوار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر أو نحو ذلك (قلنا الجواب) واضح وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات وانما يعرف فيما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بقر قليل فكان الانسب أن يشبه كتره بما يعرفه والا لو فرض أنه شبه الكتر بشئ الطف أو وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم أن محبوبه دائما يمشى بجده وتحفر رجله اذا احتاج الى حرث الارض أو حصاد الزرع أو الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى أن يكون حدوة فى رجليه من الحدوان فقال (يا رتنى كنت له حدوة من الحدوان) أى يا ليتنى فأبدل اللام راء على لغة اهل الريف كما تقدم أكون دائما حدوة فى رجليه ولو كان بها النجاسة حتى أتلذذ بمس بشر رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة عقله وصقاعة طينته حيث عمل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جدى من الجديان وارذل من هذا التمنى فى هذه الابيات قول بعضهم فى المدرجات

يا ليتنى كنت له سنداسا * أو كنت فى أقدامه مداسا

فتمنيه فى الشطر اشنع من تمنى هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحدوة لانه محل الشئ المستقذر نعم الشطر الثانى من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى أن يكون محبوبه مرفوعا على رأسه فقال (أو كنت لى شلق فوق راسى من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف أو الكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان فى رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب راسه به اذا اشتد وجعها من ألم الصداع أو الضارب أو الدواهى والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله (فان قيل) اذا كان هذا العاشق قصده أن يكون محبوبه فى صورة شلق من الكتان يربط به راسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما فى تعب منه مع أن العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع الضرورى لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو

يكونه دائما فوق رأسه مرفوعا لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق أحد من العشاق فى التواضع او أنه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحدوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى ما لا طامع فيه على حد قول بعضهم

الا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق أن يكون حدوة ولم يتمن أن يكون وطا مع أنه المناسب وربما كان ألطف وأظرف من الحدوة وأغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وبحرفة أكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا فى ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لا يليق به الا الشئ النفيس فما الجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث القشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحراث لا يليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحدوة وأيضا هى أكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر او بذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة اوفى وأوفر فتكون بمقامه أنسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح أنه لا يسرح ولا يروح الا والحدوة خلف قفله مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق أن يتمنى أن يكون له حدوة لانها عنده المحبوبة المألوفة فهى أحسن من الوطا وأيضا العاشق من شانه أنه يحب ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرما بها ومشغولا بحبها

ايا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال أنت لا بد لى منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم أن يقول (أو كان لى شلق فى وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان أو الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام اولربط شئ ونحوه وأما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنا الجواب عن ذلك أن الشلق وان كان معدا لما ذكرا الا أن الغرض للناظم خلاف ذلك وهو أنه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى أعلى مكان واشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا

على رؤسهم الحبال اذا كانوا فى شغل دق الكتان أو فتل الحلقة فيعملوها مقام الكزوير بطوا بها رؤسهم ويحفظوا بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم وأما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسى من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب (شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة أو من الحرافة أو من حروف الهجاء أو من حرف الماجور (قال الشاعر)

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة

وقد صح فى القاموس الازرق أنه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف * والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة أو من الفرق قال على وزن المثقال أو عبيد الزبال ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلابيص فى السامر وعملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقعة وان الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك فى بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية (فان قيل) اذا كان أصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل وأتى بالفرع والاصل أشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم * ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق أو من الساقية أو من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة (قال الشاعر)

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقص لقدوره

* والكز ما يلف على الراس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة او من الكراوية أو من الكرب أو من كر الشئ اذا حله يقال كر عرضية فلان اذا حلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يأخذه أهل الريف وينزعوا اوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا المجموع ذلك كبر باللبن وسيأتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه أصفر وزهر الكتان ازرق (قال ابن سودون)

يكونه دائما فوق رأسه مرفوعا لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق أحد من العشاق فى التواضع او أنه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحدوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى مالا طامع فيه على حد قول بعضهم

الاليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق أن يكون حدوة ولم يتمن أن يكون وطا مع أنه المناسب وربما كان ألطف وأظرف من الحدوة وأغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وبجرفة أكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا فى ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لا يليق به الا الشئ النفيس فما الجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث القشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحراث لا يليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحدوة وأيضا هى أكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر او بذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة اوفى وأوفر فتكون بمقامه أنسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح أنه لا يسرح ولا يروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق أن تمنى أن يكون له حدوة لانها عنده المحبوبة المألوفة فهى أحسن من الوطا وأيضا العاشق من شانه أنه يحب ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرما بها ومشغولا بحبها

ايا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال أنت لابد لى منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الانسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم أن يقول (أو كان لى شلق فى وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان أو الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام اولربط شئ ونحوه وأما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنا الجواب عن ذلك أن الشلق وان كان معدا لما ذكر الا أن الغرض للناظم خلاف ذلك وهو أنه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى أعلى مكان واشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا

على

على رؤسهم الحبال اذا كانوا فى شغل دق الكتان أو فتل الحلقة فيعملوها مقام الكرز يطوا بها رؤسهم ويحفظوا بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم وأما اذا جعلنا المثلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق رأسى من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب (شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة أو من الحرافة أو من حروف الهجاء أو من حرف الماجور (قال الشاعر)

حريف اذا ما اشتق فاذكر حوافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح فى القاموس الازرق أنه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف * والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة أو من الفرقال على وزن المتقال أو عبيد الزبال ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلابيص فى السامر وعملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقعة وان الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا امثل ذلك فى بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية (فان قيل) اذا كان أصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل وأتى بالفرع والاصل أشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم * ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق أو من الساقية أو من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة (قال الشاعر)

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وبقس لقد ورد

* والكرز ما يلف على الراس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة او من الكراويا أو من الكرب أو من كر الشئ اذا حله يقال كر عرضية فلان اذا احلها من على راسه ومصدره الكر يقال كر يكر كرا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يأخذه أهل الريف وينزعوا اوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا المجموع ذلك كبر باللبن وسيأتى ذكره فى كلام اللبن وزهره يشابه زهر الكتان لانه أصفر وزهر الكتان ازرق (قال ابن سودون)

زهر الكتان مع القلقاس * من هما لونان ولا كذب
كيهود في دير خلطوا * بنصارى حرّكهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حمص بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وربما اشتبه أيضا بنبات يسمى هنا الكلاب بوزنه أيضا يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيه منافع مذكورة في منافع النباتات أومن بئر اللبسان وهي بئر مشهورة في ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل في علم الصنعة الالهية ويقال ان هذه البئر هي باب الكنز الذي تلقى اليه الحبشة وتأخذه في آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا * والحدوان على وزن الجروان واحده الحدوة وهي جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكه ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقات مثل ذهاب الحفا والصاعن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهي طائر معروف من الفواسق الخمس التي جوز الشارع قتلهن (فان قيل) ان الحداية من شأنها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا) هنا ادنى مناسبة وهو أن الحدوة اذا مشى بها الشخص وربما خطفت بعض الحصا وطرحته اذا اسرع صاحبها في المشي فكان هذا البعض شبيها بالحداية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المعاب في وصف الغراب واقعة عجيبة وهي أن بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيأ فعبس في وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحداة ألقت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوي جملة من المال فأخذه واتجر فيه وصار في يسر الى أن مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه * ورأيت في القاموس الازرق والناموس الابلق أن الحدوة مشتقة من الحدادي واستشهد على ذلك بشاهد فشروي فقال

والحدوة اشتقاقها قد صححوا * من الحدادي فاستمع ما رجحوا

والحدادي على وزن الجنادي جمع حداية * والشلق مشتق من الشالوق أومن الشلقة أومن الشاقول الذي يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا * والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل) لاي شيء تمنى أن يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص أو حلفة أو نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة أو لعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فأتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدي لناسب أن يأتي بشلق الحلفة لكون الصعيدي يألفها ولهذا يقال صعيدي مصاص حلفة أو كان

خواص

خواص لناسب أن يأتي بشلي الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وفشارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشف معناها الذي يشبه الخرة الذي لا يعرف الا بالذوق * ولا بد أن ناتي بظريف يسير من شعر من يدعي النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق أن هرون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا بارعا في النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدري النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدي اشعر من اخيه واقوى جراءة وأشد فكرة ومعرفة في النظم والنثر وان شاء الله تعالى في غد أقول له ينظم الشعر ويعرضه على أبي نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة في غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين وأخبرته بالقصة التي وقعت بينها وبين أبيه وألزمته بنظم الشعر وأن يعمل ابياتا ويعرضها على أبي نواس فاجابها لذلك واعتزل في محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته البائدة حتى عمل أبياتا يأتي ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه أتى الى أمه واخبرها ففرحت وارسلت الى أبي نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدي الامين فقد صار ماهرا في الشعر بارعا في النظم فقال له أبو نواس أسمعني ما قلت فأنشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسي

فقال أبو نواس نعم وأنتم لذلك أهل ومحل وأنتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فأنشد يقول

نقاتل الاعادي * بالسيف والمزراق

فقال له أبو نواس اتلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وأمر بسجنه فسجن اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو في السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فأحضره وأحضر الامين وسأله عن السبب فأخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا أنه رأى في شعر لك خللا ما عابه فقال أنا انظم غيره وأقول له قدامك حتى تنظر نظمي وتباهي فيما أنظمه فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجواري ولم يبق أحدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياتا وأتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك أبو نواس فقال لهم اسمعوا شعري فقال أبو نواس تكلم بما قلت فأنشد يقول

يا قاعدة في الاربع * ما مثلك في الابلد

شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل
والسمن فوقك سائح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع أبو نواس هذا الكلام قام بجرى فقال له الخليفة الى أين فقال الى السجن ياسيدى ولا أسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فصفقت والدته زبيدة بلادته وسكتت (واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشى وكان أميرا بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه أيضا وها أنا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوبا بالتخميس وهو

يارسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المتوف
بعد ما كنت مثل الخروف المعلوف
يارسول الله اغثنا اغاثة الملهوف * لقد أضرت به اشرار من الكلماء
يارسول الله ماعاد فى حد خير
يارسول الله ما بقوا بوقر واصغير ولا كبير
يارسول الله كن لى منهم نصير
يارسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصاء
يارسول الله احنا من رعيتك
يارسول الله احنا من جملة امتك
يارسول الله احنا فى جيرتك
يارسول الله بحق صحابتك * أجرنا من النار لها سعراء
وأنا أمدح نبى ربه استخاره وعزه
ياما غزا الكفار بعسكره وغزه
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعزه * وقد رأى من آيات ربه الكبراء
ضاهيت بها همزية الابى صيرى
والفرق بينهما يلوح للتحرير
وانظر الى الصير هو مثل البورى
والا جبل مصر مثل الطور * والا الصقر الصائد مثل البوماء
أنا انتخبت الفاظها من القاموسا
ومن عارض قطنى فى لحيته يلق موسا

ومن

ومن له في الادب رتبة أوناموسا

لابد أن يميز بين الجاموسا والناموسا * واولاد الحلال ماهي مثل اولاد الزناء

تلمى هذا ماهو مثل نظم الناس

تلمى هذا مثل درة في كاس

ومن يسمع تلمى يقول دهاس

قد فقت في النظم ابو النواس * أنا مرجان والحبشان لي اباء

أنا مرجان والى اسكندريه

وادري بحور النظم بالكليه

ومن عارض تلمى يلقى بليه

أنا اصبحت مثل الشمس المضيه * وتلمى مثل نظم أبو العلاء

تلمى مثل درة في حق

لهى عالى فوق عارف مضحق

هو ابن المخاض مثل بنت الحق

ولا الجمل السباق مثل البق * وانا اصبحت مثل القطا اصطاد القاراء

أنا اصبحت مالي في تلمى نظير

ولا اضاهي قولي لا كبير ولا صغير

وأنا اعطاني ربي الخبير

أنا مرجان الحبشي الامير * استخرج الدر من البحراء

وأختم قولي بمدح طه الزين

ياسعادة من زاره في حنين

وقبل حجرته وشاف بالعين

وقال له يا جد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار

فانظر الى قلة عقله و كثرة جهله علي صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هذا الغبي البليد أن نظمه في غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع أنه اجهل من الحمار وأجمد من الاحجار * ورأيت له أيضا نظما أثقل من الحجارة وانجس من ماء الخرارة قد حكى في ترتيبه القلقيل في الرص وفي رؤيته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الرباني والهيكل الصمداني سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته في الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها

كميت من الكرم ختامها مسك

ودارت علينا سقاة في يدها كؤس

كل ساق منهم يحكي لنجمة الفلك

ويا ماشفنا من خمرتنا ورأينا من سكرتنا

امور محتبكات ومرتكبات ربك

وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب

واندكت جبال الناس من الطبول زادك

مدامتنا هذى تعلو على مدامة الفارضي

وأين الثريا من الثرى ولعمرى بعيد من الدرك

مدامتنا ما مثلها في الكون مثل

ولا عند الرهبان والقسوس وأبناء الترك

مدامتنا هذه من ذاقها في كأسها

قال من طعمها هذه مثل المسك

ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر

لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يحكو

ومن اوصافها كمان ان شربها ضعيف

طاب لوقته ولم يعد قط يشكو

ومن اوصافها ان مر مزكوم على ديرها

وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شبك

ومن اوصافها ان صبت في قارورة صبا

تشاكل الأمر وراح الطرف من حسنها يحكو

ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم

لترجم بكل لسان مثل سناء الملك

وقد شرب منها نامرجان شربة

فاضحى بها هائم في الكون بلا شك

فدونك مدامتنا لا تعود عن شربها

ففي شربها يا خالى البالى الحسك والدك

وفي شربها في حانها وسط مجلسها

من يد ساقيها السعد والملك

وأختم خمرتي هذه بصلاتي وسلامي

على نبي عربي جاه الجمل يشكو

وعلى آله واصحابه كلما حطوا الحجاج

عند سبزهم المولى وذكروا

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخرية وفرضها لكون ناظمها قالب طولها فى عرضها * وقد اتفق أن بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال لقد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب أسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المشاره

ما تقول أيها النائب فى هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد أن ضحك عليه واشار بكلامه اليه وأنا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضى تكلم أيها النائب وصاحب الرأى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * وتحب طبيخ البيساره

قال فهام القاضى طربا من كلامه ومن شدة ما أعجبه من نظامه وأعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه فى عز واكرام وهيبة واحترام الى أن عزل وأدوات سفره قد حضرت وودعه النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعى النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلى مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عزب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا يأكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير أنه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فأرسل اليه يقول

بعد ازكى السلام منى نهاضه * لحبيب يحب دون بغاضه
اسمه السلسيلى والشيخ محمد * زادك الله فى الانام رياضه
أنت فى ذا الزمان قمح غزير * وسواك الانام مثل النخاضه
أنت ارسلت فى الكتاب بتسأل * عن عزيب فانها من بياضه
وهنيد زادت عن الكل حبا * بسواد العيون لا بالقلاضه
من يحب الملاح يسلى الدراهم * وعهدنا ما تمتلى شى قراضه
وأنا أسمى رازق الشيخ محمد * ألضم القول أطرزه بالفصاضه

فلما قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرؤها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هذا النظم المرثية التى رأيتها لبعض الشعراء البلداء فى رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فأحببت أن اثبتها لما فيها من الابيات المجرفة والمعانى المقلفطة

وهي هذه

أحمد الله لطيف اللطفا * في ابتدائي بديع صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الآل جميعا كلهم * وعلى أصحابه والخلفا
بعد هذا أبتدي مرثية * في امير موته قد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرائيل عكفا
بعدما مات بلغني موته * عندها دمعي بعيني دلفا
ودموعي من عيوني قد جرت * مثل ماتجري سواقي مرصفا
قلت لما موته قد جاءني * صائحا يا اسفا يا أسفا
مات من في الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت أن تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * وتبات الارض حقا قلقفا
كم له وسط المدينة سمعة * كالصنا جق بل وأعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حين تنظره العدا ترتجفا
قد تولى وانقضت أيامه * يانعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * أخذوها أهل الطمع بالجزفا
لماذا الامير اتاني نعيه * خفق القلب له وارتجفا
والاعادي فرحوا في موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز أخرجوها ققفا
ورثوها بعده أعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا
من جواهر لا تضاهي كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاص سابغات رعفا
قد درت في بيت مال صدها * ألف الفي ألف ألفي مقطفا
وعلى الكاشف منها أخذا * بعد ما أسرف فيها مجحفا
أودعوها بيت مال بعدما * أخذ الكاشف منها واكتفى
كم أتى في بيته من مرأة * مع بنات لابسات الغدفا
ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا
كم امير جاء في تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء في موته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
يا ترى قد مات بالبطن اذى * اوبا أو بالرعاف ارتعفا
ليتني شاهدته في كفن * ذي بياض حين فيه لففا

ليته لو عاش قرناً كاملا * لكن الموت عليه زحفا
يا ترى من عاد يخلف بعده * في مكارم قل فيها من وفى
فعسى يأتي حسين بعده * يفتح البيت ويبقى منصفا
ليت شعري لو تخلف بعده * ويكرم مثله كي يخلفا
حيث أخلى داره من حسه * وأتى الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا دوا ما طبعها * تقهر الناس وتأتي بالجفا
كل ما فيها تراه زائلي * تنقلب بالغدر مثل الجرفا
ليس يحيى الامراء كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطا يلزائدات بالوفا
كيف لا أبكي على من جادلي * بعطايا ما عطاها خسرفا
وبقا فارحمه وخلى بعده * امه والست وابنه يوسفا
قد توفى في جماد الاول * سادس الشهر خميسا شرفا
عام ارخ من ثلاثين مضت * بعد الف من سنين تعرفا
بعد هجرة من أتانا رحمة * بالهدى ازكى البرايا شرفا
يا الهي اغفر لنا ظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
جده يسمى محمد مغوري * فارض عنه يا لطيف اللطفا
وارحم الوالد وأجداده * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي دائما * للنبي والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك أنا فلان بن فلان بن فلان عاش أبي من العمر ستين سنة وعاشت أمي اربعين سنة وأنا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثم أخرج له رقعة مكتوب فيها

قد فتح السلطان بلدة * وأتى بسعد البلدة
فلما فتحها ارختها * حاكا في شهر ذي القعدة

فقال له الملك لم أرا برد من كلامك الا شعرك ومن شعرك الا حيثك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله (أقول) قد سبق لك أن هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر أن يعرض قصيدته حتى يهذب ألفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذي بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فأراد أن يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وأراض بعيدة وأماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شئ لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاولياء وهم طائرين فوق السحائب وقد أقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعا فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد أنه ولى وقال فى نفسه أنا لى مدة أخدم شيخى ما رأيته شاف نبى ولا ولى ولا أخبرنى بشئ من هذا الا يقول لى صلى وصوم وما أشبه ذلك والاولى أن أخدم هذا الولى الفقير لعله أن يطلعنى على الاولياء والسحائب الطائرين دائما فى الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل عنه وأقبل على هذا الشقى وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولأمرك سامعا واعلم انى تعبت من شيخى وهو يقول لى صوم وصلى واعبد ربك الذى لا اله الا هو ولم أر منه بركة ومرادى أنظر الاولياء الراكبين السحائب الخضر فقال له هذا الشقى اعلم يا ولدى أن الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فأنت تريح نفسك من هذا التعب وأنا اصب لك عمود النور فى بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على السحائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوى والسفلى فقال له الغلام فمتى تصب لى عمود النور هذا فقال له حتى ادبر لك ماء الحياة وأستقطره فقال له يا سيدى شئ لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شئ أبيض يجرى فى قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ حال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيأ من هذه الامور الذميمة فقال له ذلك الشقى الممقوت قم بنا على الخلوة فأخذه ومضى الى أن صار ولى خلوة النحس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدى على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقى يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغى ويزبد ويظهر الزور والبهتان ونزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت فى قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار وخطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المرخمة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنا أن لا سحائب عنده ❊ ولا الاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وأمسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (وحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى أنه كان سائرا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا مقتولا بجنب حائط والدم يجرى على

اوراكه فوقف ساعة ينتظر أحدا فلم ير أحدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلي وقدامه ابريق وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الأمير مقلد عنده حتى أتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد ياشقي تلبس على الله وعلى الناس ماهذه الخويشة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها فلاي شيء قتلت هذا الرجل الذي مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذي قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذي ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوايجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما أنت فقير بل أنت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يااخواني الى هؤلاء الفقراء المتزندقين وأعمالهم الخبيثة التي لاتحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وأن يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وتركوا المحرمات في مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ماجاء به الرسول اللهم احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم آمين يارب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو أن البعث والنشور والجنة والنار لاحقيقة لهما وأن الشخص جنته وناره وحسابه في نفسه وأن الدنيا لاتفنى ولا تزول وانما هي شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول أبي العلاء المعري

أتى عيسى فأبطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لانبي بعد هذا * فضل القوم بين غد وأمس
ومهما عشت في دنياك هذي * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتي * وان قلت الصحيح دخلت رمسي

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت في جسد من الاجساد في ادمي أو في حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الأول فيظهر بصورته التي كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يااخواني الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) أن رجلا صالحا أضاف جماعة من الملبسين معتقدا أنهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى أن تكلموا في القرآن فقالوا لهذا الصالح أتزعم أن القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك في هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع ماقالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم وأخرجهم من منزله على أشأم حال نسأل الله تعالى السلامة في الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت أعتقده فجلست معه يوما فتكلم في فضل العبادة فقال لي

ياسيدى أمالى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به وقال كن لى يا أبا الفرجات وتقبل عبادتى ويسر لى رزقى فقلت له ما هذا الكلام لا يقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى أحمد البدوى رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد أشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له فى ملكه فقال لى ياسيدى انما أفعل ذلك عن شيخى الذى كان يقول لى قبل موته اقصد بعبادتك سيدى أحمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها فى هذه المدة فاسدة باطلة ثم انه ادركته العناية فتاب على يدى وأنقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى وأخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قد هام فى الجمع وغنى فقال

ياهايما خدمن خراطيز كلبق * والطخ لحالك والحاضرين ورالك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم وأملاه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش باللسان وخبر عن الشام وعن الزيتون وأدخل يدك بلطافة وأنت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فأخرجها بلطافة وأرها للغلام والناس فيعتقدون أنك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما أمره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان وأخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده وأظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شى لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له ياسيدى أكون معك وأطلعنى على الكرامات والولايات فقال له ياولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له ياسيدى ومتى تفعل ذلك فقال له ياغلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة أحد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فأخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما منعه الا الخصيتان فصاح الغلام الامان الامان ما هذه ولاية قاتل الله الابعد ثم قام من عليه بعد أن قضى مراده وتحقق الغلام أن هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى لقيا جمع فقراء فى مولد

فقام

فقام هذا الشقى بجنابته فى الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبة مليحة مرخة * وصبينا فيها من النور جانب

فأجابه الغلام بقوله

ماعدت تنظرها من اليوم يا قبيح * وما عاد لك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا أن الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وأن الغلام فات مرتبته وحجبه عنها وفاق على شيخه فى الولاية والحال أنه مارقى الأعلى هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الخارقة الجارية الدافقة وقبل الخدود ودفع فيه العمود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجر والدهو ان * تدروش قام التائكون وراءه

أى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء أو من طائفة الملحدين المحلقين اللحى أو غيرهم من خواسر الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته وشغلوه عن الدنيا والدين وداومهم فى التعاسة والخزى والنجاسة حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابا لا ذوق لامن النسك يشبع ولا من المال يجمع ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب ويقتلون ويظنون أنه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فقلت لاصحاب النساء تعففا * فلا أنا لوطيا ولا أنا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا فى المحبة وسلوكنا فى العشق فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشرة سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القشل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفى الخال الذى فى خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل فى المعنى

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا

حسنا كان وجهه * وسريعا تصحفا

سرّ والله ناظرى * مذ رأى ذلك اشتفى

شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

وقال آخر

سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

(ولوالدي) عفا الله عنه فى المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت الطلوع فى الخذرقن * اثرت ظلمـــة قبيل النبات
كانتشار الظلام فى الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال اخر

مافعـل الله باليهود * ولا بعـــاد ولا ثمود
ولا بفرعون مذ عصاه * مافعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من أبناء العشر وذوى اللطافة فى الطى والنشر فاذا بلغ خمسة عشر صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولواحظه لعذاله ملسنة وهذا هو الغرض والمرام عند أهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم عادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة * ومن فعل هؤلاء الطوائف الذى ابتدعوه والامر القبيح الذى اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال أنه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسة كانهم من جنس القساقسة أو من دير الرهبان أو من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة أنفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به فى بعض الحال يقرؤن فواتح وتضييع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم فى غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما صاروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم فى خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شى لله ياشيخ فلان وربما زغاط النسوان ورمين عليه الطرح بقدر الامكان * واخبرنى بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيانا أنهم مكثوا دائرين به من أول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التى ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هى اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل أن يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وأن لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ماذكرناه فى هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدى دائما وشكرى

ثم الصلاة والسلام أبدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد انى ناظم أرجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر عن حال ذوى الرذاله * كذا عوام الريف لامحاله
تفتهد الله ما أقول * فى نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف أهل الريف * أهل الشقا وذوى التصحيف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا الفضل منه حقا تعرفه * ولا الامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * أو تتخذه سيدا وجاها
اصبر فى خدمته والنفع * فى الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما أردت منه تخلص * يرميك فى هم له ينغص
فاسمع لقولى ان ترد فلاحا * لحاجة فلا ترى نجاحا
ولا تؤمنه على معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان ترد معه سريعا يختصم * يقول لك حتى أسد الملتزم
وان بقى شئ من الزرع فلك * خذه والا لا تطول أملك
وان أطلت معه المخاصمه * أتاك بالشر مع الملاكمه
ويصحب النبوت والحزاما * ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم * هذا يريد أن يزيل نعمى
ويأخذ الزرع بتلك الحيلة * والمال يبقى يا أميرى بذمتى
وانحرب سريعا وتبور الارض * من حى فلاح عليه القرض
تمنع الاميربي الدين * عنه ويمسى حائرا فى شين
فليس فيهم أبدا نجاح * وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونظمهم فى الوحل ثم الجله * وضربهم للشور ثم العجله
تسبيحهم قم رح بنا للساقية * واحسب لنا مال البلد فى الزاويه
فالبهم عوراتهم مكشوفه * شعرته من طولها مالوفه

قاربت الطلوع فى الخذ ذقن * اثرت ظلمـــة قبيل النبات
كانتشار الظلام فى الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال اخر

مافعل الله بالبهود * ولابعـــاد ولاثمود
ولابفرعون مذ عصاه * مافعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لايكون الابرشيق القوام حلو الابتسام من أبناء العشر وذوى اللطافة فى الطى والنشر فاذا بلغ خمسة عشر صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولواحظه لعذاله ملسنة وهذا هو الغرض والمرام عند أهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم عادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة * ومن فعل هؤلاء الطوائف الذى ابتدعوه والامر القبيح الذى اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال أنه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسة كانهم من جنس القساقسة أو من دير الرهبان أو من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة أنفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به فى بعض المحال يقرؤن فواتح وتضييع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم فى غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما صاروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم فى خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شى لله ياشيخ فلان وربما زغط النسوان ورمين عليه الطرح بقدر الامكان * واخبرنى بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيانا أنهم مكثوا دائرين بميت من أول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التى ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هى اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل أن يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وأن لايختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعزل عنهم وان رأى منهم مايخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لاتعجب الامن اعجبك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ماذكرناه فى هذه الاوراق وماعايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدى دائما وشكرى

ثم الصلاة والسلام أبدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد انى ناظم أرجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر عن حال ذوى الرذاله * كذا عوام الريف لامحاله
نظمتها في الثلاثة ما أقول * في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف أهل الريف * أهل الشقا وذوى التصحيف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصواب * لاتصحب الفلاح لاكتساب
ولا الفضل منه حقا تعرفه * ولا الامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * أو تتخذه سيدا وجاها
تصير في خدمته والنفع * في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما أردت منه تخلص * يرميك في همّ له ينغص
فاسمع لقولي ان تردفلاحا * لحاجة فلا ترى نجاحا
ولا تؤمنه على معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان تزد معه سريعا يختصم * يقول لك حتى أسدّ الملتزم
وان بقى شئ من الزرع فلك * خذه والا لا تطوّل أملك
وان أطلت معه المخاصمه * أتاك بالشر مع الملاكمه
ويسحب النبوت والحزاما * ويلزمك عاله الزاما
وربما يقول للملتزم * هذا يريد أن يزيل نعمى
ويأخذ الزرع بتلك الحيله * والمال يبقى يا أمير بلدتى
واخرب سريعا وتبور الارض * من حيث فلاح عليه القرض
تمنع الامير ربّ الدين * عنه ويمسى حائرا في شين
فليس فيهم أبدا نجاح * وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم في الوحل ثم الجله * وضربهم للنبوت ثم النجله
تسبيحهم قم زج بنا الساقيه * واحسب لنا مال البلد في الزاويه
فالبهم عورا تهم مكشوفه * شعرته من طولها ملفوفه

وان لحفر البئر يوما قصدا * ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر * بل ايره محطط مطرطر
وقلبه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت أتت فى الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه * مثل كباش قد أتت محاربه
تاتى لهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفرة وغبرة وطرد
وان تجمعوا للعب الكوره * تراهم فى غارة وغوره
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره * أو جلسوا للرقص والزماره
أو سرحوا بقصد جمع الجله * أو التقاط سبل أو رجله
مثل عفاريت أتت فى زوبعه * أو فرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فالحج * كأنهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * فعلل الصبيان تلك العلل
وان أتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى الفيافى أقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغراتهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا أنفاسه
فذا يهيج بالسعد أسعدوا * وآخر بالحرام أنجدوا
فذانك اللفظان دون لبس * عندهم أمر بقتل النفس
فضرلون الارض بالغارات * ويرصدون القتل فى الطرقات
وان أتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد * عادوا الى الشر وللفساد
فانجزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم والحبس

قسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم فى الحر من غير وطا * ونومهم فى الغيط من غير غطا
وطرحهم فى ظلم الليالى * فى الجرن يا صاح أو التلال
قد يبست جلودهم فى الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الطين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم فى البئر والسواقى * ومشيهم أيضا بلا طواقى
ومنهم من لا يزيل شعرا * والرأس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شنبا ولحيه * ولا ينظف فاسه من خريه
وشدة فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام * وصبرهم للجبر ثم الظلم
وأكلهم فى العدس والبسله * كمثل أكل كلبة أو عجله
ومن تراه منهم يصلى * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفسقيه * تجد له طيزا كما البرنيه
كذاك من بجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم فى ذل
ولن يطيعوا الشرع الاغصبا * أو يوجعوا لاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالمر أو كالخال
ويجلسون عنده فى أدب * أو يقف الواحد منهم كالصبى
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعد وان فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع
أخلاقهم تروى عن ابن حجر * طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل * والضرط الفساء وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا أتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجفان * كأنه الناطور فى الغيطان
يفترس الاكلة من يسار * وبلعه عن مضغ ذاك عارى
يقول أروى لكم روايه * تنبى عن الضمير بالدرايه
وفى غد أروى لكم قصيده * لعنتر فى عبلة الفريده

وان لحفر البئر يوما قصدا * ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستتر * بل ايره مخطط مطرطر
وقلبه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت أتت فى الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه * مثل كباش قد أتت محاربه
تاتى لهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفرة وغبرة وطرد
وان تجمعوا للعب الكوره * تراهم فى غارة وغوره
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره * أو جلسوا للرقص والزماره
أو سرحوا بقصد جمع الجله * أو التقاط سبل أو رجله
مثل عفاريت أتت فى زوبعه * أو فرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فائح * كأنهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * فعلل الصبيان تلك العلل
وان أتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعندهم وحظهم فناء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى الفيافى أقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغراتهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا أنفاسه
فذا يصيح يال سعد أسعدوا * وآخر يال حرام أنجدوا
فذا لك الفظان دون لبس * عندهم أمر بقتل النفس
فيضربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل فى الطرقات
وان أتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد * عادوا الى الشر وللفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم والحبس

فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم فى الحر من غير وطا * ونومهم فى الغيط من غير غطا
وطرهم فى ظلم الليالى * فى الجرن ياصاح أو التلال
قد يبست جلودهم فى الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الطين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وخفرهم فى البئر والسواقى * ومشيهم أيضا بلا طواقى
ومنهم من لا يزيل شعرا * والرأس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شنبا او لحيه * ولا ينظف قلبه من خريه
وشدة فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام * وصبرهم للجبر ثم الظلم
وأكلهم فى العدس والبسله * كمثل أكل كلبة أو عجله
ومن تراه منهم يصلى * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفسقيه * تجد له طيزا كما البرنيه
كذاك من بجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم فى ذل
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا * أو يوجعوا لاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالعم أو كالخال
ويجلسون عنده فى أدب * أو يقف الواحد منهم كالصبى
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعد وان فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع
أخلاقهم تروى عن ابن جبر * طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل * والضرط الفسا وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا أتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجفان * كأنه الناطور فى الغيطان
يفترس الاكلة من يسار * ويلعه عن مضغ ذاك عارى
يقول أروى لكم روايه * تنبى عن الضمير بالدرايه
وفى غد أروى لكم قصيده * لعنتر فى عبلة الفريده

كذلكم دلهمة البطال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيحه * وام جابر بنت ابو فريحه
ولو روى لكم ماقد أتانى عن أبى * وأبى قد قال أيضا عن أبى
وقال جدى ذاك أبو غنداف * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره * كما روى عن جدتى شراره
فاطفيهم اذا أتى لشغل * مثل رئيس قد أتى بالطبل
ينزل عن البغله أو الحماره * كأنه الراهب أبو زياره
وعندما يجلس فى انتفاخ * تفرش له قطعه من الاخفاخ
وبعد ذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلف * رجلاه وهو ثقيل خف
يسأله ياقاضى الهموم * هات لعندى ابن أبى دعموم
وحياة دقنك جدتى سرقها * واربع قفف من زبلنا حرقها
وقد أخذ وحياة راسك حدوتى * وعمتى المشرمطه ولبدتى
احكم بحكم الله ياقاضى البلد * والا ضربتك ألف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد * حيث سرق ومنه تقطع يد
وح ياقفا ياعرص ياابن الزبله * ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه * والا على دقنك أشخ شخه
ان عقد النكاح ليس يدرى * منه سوى زوجت بنت عمر
وليس يدرى شاهدا ولا ولى * ولا يعرف صحة من علل
اذا اقتضى قضيه وبتها * يجرى سريعا عندها يابيتها
فقير هم شعاره الابريق * والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدى ومريد جدى * وذا الولد ابدا ابنى وعبدى
يسير طول الليل خلف ظهرى * غير مصلى مغرب أو ظهر
الا باذنى أو بدا تشويشه * ومن راه قال ذا درويشه
وعندما يأتى به المواندا * من خلفه تلقاه حقا الابدا
ويدخل الجمع به يدروش * وباللسان بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا * ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا أخبر الشيخ الولى * عن أوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجى بين السما والارض * على السحايب ماعليه من فرض
ولا بنى عاوز الى عباده * هذا بقى فى نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره * هذ اولى فسية الحماره

وان تسأله حالة الطريق * يقول مانعرف سوى الابريق
وهز وسطى ثم طرف يدى * وميلان لبدقى وشدى
ان قدم الماجور واحط كتى * واطلع بلقمه مثل دور الخب
وبالدراويش بجنبه الشط * امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سياده * واقول له البيته وهات العاده
وهات لى الفرخ مع العليقه * وليس يعرف غير ذى الطريقه
ومذهبى يا سعد يا حرام * ولا أقول بأن ذا حرام
اخذت عن شيخى بهذا الفعل * فهو حقيق مشبه بالعجل
ومنهموا طوائف خوامص * وكلهم بجمعهم ابالص
لا يعرفون الصوم والصلاة * ولا يرون الحج والزكاة
تراهموا جميعهم أنعاما * لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات * وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر * وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل * وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل أولى ذى كمال * بل كلهم فى رتبة الجهاله
ناظمهم ان قال يوما شعرا * فشعره يشبه طعم العذرا
او قبح قول جابلا روايه * اورص قلقيل بلا درايه
ان لم تكن ذقت الخرا فى العمر * فذق كلام نظمهم والنثر
نوعا اعه اذا بدا ورزيه * لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم أجلاف مع أوباش * مثل عير الجون والكباش
اسماهم تخبرك عن اوصافهم * القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم حنجبل وجلجل وقطا * والباج عنطوز بن أبو فردة وطه
وعفر مع دعموم مع زعبط * كذا انزا الدس وأبو معيط
ثم قليطه وشلاطه قدورم * كذا الهاطه وزعاطه فى العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط * صفار مع بهواو مع صرميط
بزبوز مع عموز مع قروش * سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم النفش عنهم ذكروا * كذا حنين بن بنين شهروا
كذا سمعنا أنهم يكنوا * ابو شوالى ومنادر يعنوا
كذا أبو عفر أبو دعموم * وأبو الدواهى مع أبو المشوم
أبو شادوف أبو جاروف أبو نطاح * مشكاح أبو رماح أبو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا * والهاء أيضا عندهم قد تكسر

محمدين قد سمعت منهموا * كذا بهائم وعقرب فهموا
والقلط والضراط قد رونيا * ويبدلون الصاد أيضا بينا
فهذه اسما مثل الوحل * أو أنها تشبه ضراط الجمل
وان ترى الاسماء لا تعلل * فانها والله بئس العمل
وان ينادى الشخص منهم آخرا * يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادى للمرا ياداهيه * تجيبه لما يشنع عليه
وعندهم من افصح اللغات * كقولهم فى الارث ذا ميراثى
وضب فى البوشه وهات جوادى * ماضال آتى مازال هذا الوادى
يعنون بالجواد هر كوبا حضر * كذاك هاتوا الى الكرا من السحر
بجبوبتى راحت من المرجونه * سيرى اسكنى جوا حد الطاحونه
قومى اخفقى لى فى الزربيه نقره * لاجل أقوم بالليل وفيها أخره
غدا ترى الجدعان نطوا فى المراح * يوم الهروبه فى الزربيه بانشراح
جعمار ابا جعص صخمط جله * اليوم الوعنزين وعنده نعله
والحج عنطوز قد حضر فى كرشه * اليوم وراح هربط وجاب له كرشه
وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بفرتها خدها ابن راس المسحه
اليوم بلد ناشيخها ابو عوكل * وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والحج قاوط الكبير فى هودج * والحج جعماص بن حزق النوبج
وانما اسماءهم مناسبه * ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساءهم أيضا لهن اسما * نفذ هديه بعدها وجما
زعره وبعره مبكله خطيطه * بلوه وعلوه شابعه حويطه
شخنه زواره مع شباره سموا * كذا معيكه وركيكه ضموا
سقسلاقه أيضا كذا شلبايه * وخربوه ونسبوه وعطايه
كذا شقيره ثم غاسوله ورد * حمده ولبده وعطيه فى العدد
وطالبه وهاربه حطبيه * كيذا فريجه بنت ابو عربيه
وقد سمعت رجلا ينادى * جبه خدبوه اغسلى الزبادى
واحلبى البقره وهاتى العجله * روحى حدا الجدعان وشوفى النعله
قومى وحطى العدس فى القصوله * انتى وابا بنت ابو بعبوله
ياداهيه ياداهيه تعالى * جتكى من الحيط بنت أبو شوالى
قومى تعالتعنى بشانى الموضع * ابنك بيجرى هى تقل كل واشبع
هاتى لنا قطعة وسخ من اشكى * الطخ بها الجله وشوفى تشكى
ياداهيه روحى وهاتى البقره * انتى وبنت الحس قفاكى خضره

يا داهيه روحي وشوفي النقره * في وسطها جبله طريه خضره
وحولها شوفي الحلو والجبله * على بعرتها الحليب هاجبله
فهذه اسما النساه نخرا * شبيهه بالوحل عند الخرا
ولقشهم يا ابن الوطا يا حدوه * يا خرا الحس ولبن بنت الفسوه
يا علق ما تجي عندي يا بو كلره * يلي بتخري بكل يوم في الطاره
واتنا بتقعد المسا في الشونه * وكم ينيكوك في الدره بالعونه

تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثاني من تجزئة المؤلف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف النبيين * وعلى آله وصحبه اجمعين (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمة البارده * والفكره الكاسده * تحركت أياما قلائل * لتأليف كتاب صارف الاوراق حاصل * في احوال أهل الريف باتفاق * وما لهم من نظم ونثر وحب واشتياق * وصار جزء الايرى في الكثافة له شبيه * ولا يكترث به ذو فضل في العلوم نبيه * وكان كالمقدمة للقصيد * وقد حوى معاني تشبه خروف الجريد * وختم بالارجوزة الحاويه لما فيه من النثر والاشطار * وغايته أنه اغتراف من بنات الافكار أردت اتصاله بهذا الجزء الثاني * وحل معاني القصيد التي عليه مدار تلك المباني * فحركت فكري الخامل * وأطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله * لحل معاني نظم القصيد * متكئا عليه اتكال الواجل على العنيد * بالفاظ يفوح معناها كريح الفسوى * ومعاني تشبه في الوضع خابط عشوى * فساعدتني الفكرة لما اليه قصدت * وتحركت معي لما اليه أردت * وهذا أوان الشروع في المقصود * بعون الملك المعبود * (فاقول) ذكر نسب الناظم وما حواه * وذكر الموضع الذي ضمه وآواه * وسبب سعادته وحصولها * وصفة لحيته هل كانت طويلة او قل طولها * وكيف مال عليه الدهر في آخر الزمان * حتى أنشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان * فنقول أما نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرح أنه ابو شادوف بن ابو جاروف بن شعادف بن لقالق بن بعلق بن عفلق بن عفر بن دعموم بن فلحس بن خرا الحس فاذا دقت الكلام بمعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا المقول (وقيل) ابو شادوف بن أبو جاروف بن بردع بن زوبع بن بعلق بن عفلق بن بهدل بن هوكل بن عمره بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن خرا الحس وعلى الثاني لابن كل خرا وهو الاصح لان أكل الخرا ابلغ من لحسه (وأما قريته) ففيها خلاف قيل انه من تل فندروك وقيل من كفر شمرطاطي وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك في بعض اشعاره يخبر عن نسبه فقال شعر

أنا يا ناس فى قولى دلايل * وتقلمى حتى ما هو شى هبايل
ابو شادوف أنا قالى ابويه * عليه وجدى قد يك أم نايل
بانى قد تربيت يا جماعه * بكفر يعرفوه ناس أوايل
يسمى كفر شمرلى وطاطى * فكن صاحب نهامه يا فساقل
وذا قولى وابو شادوف اسمى * وشعرى حتى من جانى يسايل

وسمعت شعر البعض أهل الريف يدل انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد * كلاما ما كنا شبه الحديد
ابو شادوف عنه خبرونا * يقول حتى جانا بالوكيد
بتل فندروك وفيه تربى * وعاش يا قوم وانشا لو قصيد
وذا قولى وانا غنداف اسمى * وكم من تلطم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد فى كفر شمرطاطى وتربى فى تل فندروك (وأما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدله فى الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان فى ابتداء عمره فى سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتى كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من أكل الطبوع والصيبان ونحو ذلك أى أنها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

ذقن طالت فافسدت * عند ما ضر طولها
قصروها فاصلحت * عند ما قل طولها

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق أن بعضهم كان له صاحب طويل اللحية واسمه يحيى يؤدب الاطفال ففقده اياما فسأل عنه فقيل له هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد أو أحد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله أجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت بالباب ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه من أحسن الناس واجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها أياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا أن أم عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلني الحزن واعتراني الاسف قال فحمق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم في يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما أبيض من الصوف مطوي فقال له لأي شيء لا تضع هذا الحرام عليك يقيك ألم البرد فقال أخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فحمق الرجل قلة عقله وتركه ومضى * واجود اللحى ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا أو شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا قلنا الجواب أن الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وأنها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا اصعد ويداه اذا اهبط أو يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو في حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) أحذر الناس وأشطنهم الاجاردة فينبغي لمن صاحبهم أن يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من أشطن الناس وأحذرهم قال الاجرود قال أريد أن تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة أذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تأمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وأن الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا أمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وان لا أحد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما مر قال فأرادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وأمرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في أمرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل أجرود فقال لهم ما بالكم لا تأكلون من الطعام فأخبروه بالقضية فقال هذا أمر سهل أنا أدلكم على حيلة تأكلون بها ولا تخالفوا أمر الملك كل رجل منكم يطعم الذي قبالة وجهه وكذلك الآخر بملعقته يطعم من أطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وأمر له بصلة وأخلع على الوزير * ووقف رجل أجرود بين يدي بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك اني متعجب من شكواك الذي يعني أنك اجرود ولا يغلبك أحد فقال العفو يا ملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي أحلس أملس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وأنصفه من خصمه وأمر له بصلة (وأما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى

أنا يا ناس فى قولى دلايل * وتظمى حق ما هو شى هبايل
ابو شادوف أنا قال لى ابويه * عليه وجدتى ديك أم نايل
بانى قد تربيت باجماعه * بكفر يعرفوه ناس أوايل
يسمى كفر شمرلى وطاطى * فكن صاحب نهامه يا فساقل
وذا قولى وابو شادوف اسمى * وشعرى حق من جانى يسايل

وسمعت شعر البعض أهل الريف يدل انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد * كلاما ما كنا شبه الحديد
ابو شادوف عنه خبرونا * بقول حق جانا بالوكيد
بتل فندروك وفيه تربى * وعاش يا قوم وانشا لو قصيد
وذا قولى وانا غنداف اسمى * وكم من نظم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد فى كفر شمرطاطى وتربى فى تل فندروك (وأما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدلة فى الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان فى ابتداء عمره فى سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتى كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدهن الفراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من أكل الطبوع والصيبان ونحو ذلك أى أنها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

ذقن طالت فافسدت * عند ما ضر طولها
قصروها فاصلحت * عند ما قل طولها

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق أن بعضهم كان له صاحب طويل اللحية واسمه يحيى يؤدب الاطفال ففقده اياما فسأل عنه فقيل له هو منقطع فى بيته حزين قلق فظن صديقه انه مات له ولد أو أحد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله أجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال نعم الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت بالبارح ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه من أحسن الناس واجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها أياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول

اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا أن أم عمرو هذه ماتت ماقيل فيها هذا البيت فقد اخلني الحزن واعتراني الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم في يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما أبيض من الصوف مطوى فقال له لأى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك ألم البرد فقال أخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى * واجود اللحاء ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا أو شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا قلنا الجواب أن الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وأنها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط أو يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو في حكم مسلوب العقل لادعائه الالهيه وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) أحذر الناس وأشطنهم الاجاردة فينبغي لمن صاحبهم أن يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من أشطن الناس وأحذرهم قال الاجرود قال أريد أن تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة أذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تأمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وأن الرجل منهم لا يمسك الملعقه الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا أمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وان لا أحد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما مر قال فأرادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وأمرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في أمرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل أجرود فقال لهم ما بالكم لا تأكلون من الطعام فأخبروه بالقضية فقال هذا أمر سهل أنا أدلكم على حيلة تأكلون بها ولا تخالفوا أمر الملك كل رجل منكم يطعم الذى قبالة وجهه وكذلك الآخر يمد ملعقته بطعم من أطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وأمر له بصلة وأخلع على الوزير * ووقف رجل أجرود بين يدى بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك اني متعجب من شكواك يعني أنك اجرود ولا يغلبك أحد فقال العفو يا ملك ان كان في وجهي بعض شعرات فان خصمي أحلس أملس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وأنصفه من خصمه وأمر له بصلة (وأما سبب سعادته في ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى

اقوال أحدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان فى قوة وشهامة ومعرفة فى رعى الغنم والنط فى الغيط والمشى فى الحر حافيا عريان وكان يشيل الجلة الخضرا على رأسه من الغيط الى داره فى أسرع زمن حتى أن الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة او بقرة وهو سارح الى الغيط او مروح فيمسكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة المشهورة لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارة والطبلة والزمارة والعياط والغارة وضرب الكلاب بالسخام والهباب حتى أنه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين شعر

ابو شادوف من يومو مجعمص * شبيه الجرو يتنطط بقوه
ويسرح غيط ابوهو ويجمع * من الجله الطريه فى القروه
وهو عريان وشايل فوق راسو * ووجهو صار كيف وجه البعوه
وما قد سال من الجله الطريه * يسيل عليه وما عندو مروه
ويقعد شهر ما يغسل لوشو * ولا شهرين وجسمو فيه قوه
ويسرح للضحى فى الجرن يكنس * ويطرد مثل كلبتنا ام جروه
ويا زينو أبو شادوف لما * يجى الجاموس يقطع وسط ربوه
وينزل ينفرد فيها وراهم * وينطط كما عفريت خلوه
ابو شادوف من صغرو مدلل * تربا عندنا كلب بن جروه
ابو شادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعندو اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف وراسو جنب حدوه
يقول سيدى يقول له يا معرص * تحط المال أو انخليك دعوه
وهو من مثل ابو شادوف يقبض * وأبوه وعمو بنت ام فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صلى وسلم * واصحابه الكرام أهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشدة معرفته فى نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان ابوه قد ملك فى حال حياته حمارا أعرج وعنزتين وحصة فى ثور الساقية ونصف بقرة وعشرة فرخات وديكهم وأربع كيلات نخالة من شعير وملك نحو أربعمائة قرص جلة ومطمورة يخزن فيها الزبل أيام الشتاء وكان عنده قلة مكسورة وزير أقلم وجروانة يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفى الى رحمة الله تعالى كما فى الغالب أن الفقير يوم يسعد يموت وما أحسن ما قال الشاعر

اذا تم شيء بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابو شادوف في رداء من محر الكتان ودفنه في تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطي وقيل بتل فندرول وقد يجمع بين القولين فيقال مات في كفر شمرطاطي ودفن في تل فندرول وقبره الآن يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكورة وربما تبول عليه البهائم في بعض الاوقات وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال شعر

الا كونوا اسعفوني يا جماعه * وابكوا يا لمشاله في كل ساعه

ابو جاروف ولى اليوم عنا * وخلا العنز والبقره شاعه

وخلى بنت عمو أم فلحس * عليه اليوم تبكي وسط قاعه

وابو شادوف يعبط وسط راسو * أبويا مات وعندنا في مشاعه

وراح من كان شيخ الكفر يحكم * على الجدعان ودولك الرباعه

ولما كان يركب يوم غاره * على كلبه ويدلع دلاعه

ويلبس لبدتو من فوق راسو * ودقنو بلبر ده فيها ساعه

وهو لو جروا بن خراى فلحس * وأهل الكفر ما منهم بجاعه

تقول ديس على جوق المغاني * او الطبوص جا يشفع شفاعه

وحسو راح جربي ارحم عضامو * وبشيش طو بنو في كل ساعه

وابو شادوف يا الله ابقي شبابو * ويصبح شيخنا صاحب فقاعه

ويبقى مثل ابوه راكب وحولو * جماعه في جماعه في جماعه

ويتحنطز ويسرح في السهارى * ويتجعمص ويقعد في السراعه

ونختم قولنا والدائم الله * وذا الكاس حق ما فيه اندفاعه

وأنا شاطر وشاعر طول عمري * والضم لضم يتلمع لماعه

جعلتو فيه يحزن من يشوفو * وودعتو بقولي اليوم وداعه

وضال على الزين اصلي طول عمري * نبي الله واطلب لي الشفاعه

وأبو شادوف انا الاحد غبري * وضربة دم تكتم دي الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان وأخذ والخاطر ابو شادوف المسلخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير * المعمول بالنخالة والشعير * ولطخ قبره بالوحل والجله * وعمل بجانبه مدود العجله * سحب النبوت * ومشى كالنعوت * واتمشيخ على الكفر * وأطاعه زيد وعمرو * وجلس على ركبة ونصف موترط * وعبط * واتنطط * وغنا وقال * وافتخر بهذا المقال * وانشد وجعل يقول شعر

ابو شادوف عمري يا سلامه * أقول القول وانا صاحب فهامه

ولولا أن ابويه في ترابو * أنا في الكفر شيخ بلا ملامه

وأحكم على المشاه واسرح واروح * واخوض البحر الى حدا الحزامه
واشد على الحمار واركب وحولى * جماعه شبه شمعه فى ضلامه
ابو عنطوز وابو ابزبوز وعفلق * ودم الحس قفالة وأبو عمامه
وانا ما عاد كيفى اليوم واحد * واضال انى مجعمص فى شهامه
وأطعن قرن من خالف كلامى * بنبوتى واكسر بوعضامه
ابوبه كان قبلى شيخ عليكم * فخلونى وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد * واصحابو الملاح أهل الكرامة

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة ابيه على التركة فأغروا عليه الحكام فأرسلوا اليه وعارضوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطمورة الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سببا لسعادته بعد موت أبيه على ما قيل ثم صار يدارى الناس ويتملق لهم بالكلام الى أن تناستا القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطموره ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة فأخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل وأخذ بثمنه بيضا فكانت سعادته من مجموع ثمن الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى ويتكرم فقصدته الشعراء والادباء من أطراف الكفور حتى أنه أجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير وأعطى آخر مائة قرص جلة وجاءه آخر بغرارة ملاها زبلا من اولها الى آخرها ودفعها له * وكان قد اقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت أعوج ولبدة وخلقة زرقا وقفة ملانة نخال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى فى رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) أن بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه ألف دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى فأتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلانى خذ منه خمسمائة دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل يأتيه مرة بعد اخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال أفيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب وأخذ الدينار وبورك له فيه وصار فى نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا قنع شبع وبورك فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين

استقنع بقليلك * يأتيك الله بكثيره

وقال

كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزن

أنا مالي فياش * ايش على مني
أقلق من رزقي لاش * والخالق يرزقني

وقال رضي الله عنه

يا ابن آدم قل طمعك * ذا السماد موعد سبدك
لا تقل دا بالشطاره * او تحصلها بأيدك
لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجيلك
ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشي قبالك
من له في الغيب شيء * لا يموت حتى يناله

وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه

وجدت القناعة كنز الغنا * فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني عليه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس كأني ملك

حتى مال عليه الزمان * وجفته الاهل والخلان * ونفد جميع ما كان معه من المال * وصار في اكبر الهم وأشد الاحوال * ولم يجد له خلا ولا مساعد * ولم يبق الا الذى خلف له الوالد * وأخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق * ولا صاحبا ولا رفيق * كما هو عادة الدهر في رفع الاسافل * وخفض السادة الاماثل * فهو كالميزان في فعله * او المنخل في حاله ونقله * كما قال الشاعر هذه الابيات

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك يعلى كل جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذي زنة خفيفه

وقال آخر

الدهر كالمنخل في فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل
يحط لب اللب من تحته * ويرفع القشرة والفشول

فحوادث الدهر تأتي على غرر * ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت في مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الصبر سابغة * تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت ليالي بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز في الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل * والتسليم الى الرب الجليل * ومن دهمه حادث الزمان * وانصرفت عنه الاهل والخلان * (ما حكي) أن بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد في زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس

على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمحبون ولم يأته أحد الى نصف النهار فتبين للملك أن الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به وأعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على مافعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه أن نعمته عادت اليه عادوا اليه يهنوه وأقبلوا اليه يتعذرون له فعند ذلك انشد يقول شعر

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

قيل مكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات * ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق أن رجلا كتب رقعة وألقاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر أن ينطق بهذا الحرف (وصورتها) أمر أمير الامراء أن يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما أن تأملها غير الالفاظ وأتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام أن يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى * وقيل اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة * ولقمان فى الحكمة * وابن ادهم فى الزهد * وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط * قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعوا فى المرء والمرء مفلس * ونودى عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها

فهاجة أطروش وثقل ابن قينة * وغفلة قرنان وعكس ابن ايهم
اذا اجتمعوا فى المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

ومما همه حادث الدهر * وعلاه الهم والفقر * فاصبح بعد العز حقيرا * وبعد الغنا فقيرا * ما اتفق ان رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هائما على وجهه الى أن أقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو فى حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر فى بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى أن انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس فى هيبة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من ابناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم وأكرمهم فاخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو فى حيرة وكربة وخائف على نفسه حتى جلس فى محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد

فبينما هو جالس اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها انواع الخز والديباج وفي اعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضه فربط كل كلب منها في محل معد له ثم غاب وأتى باربعة أصحن من الذهب ملانين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحنا على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الاكل واشار اليه فدنا منه فاشار اليه ثانيا أن كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فأكل الرجل حتى اكتفى واراد أن يذهب فاشار اليه الكلب أن خذ الصحن بقية ما فيه من الطعام والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يات أحد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد أن تسافر الى مدينة صاحب الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافؤه بها وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به عليك كلب من كلابه فأخذ هديه تليق بمقام الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياما ولياليا حتى أقبل على تلك المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير الا اطلالا باليا * وغرابا ناعيا * وديارا قد أقفرت * واحوالا قد تغيرت * وحالا للقلوب قد ارجف * ومحلا تركه الدهر قاعا صفصف * كما قال بعضهم هذه الابيات

سرى طيف سعدا طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالديار رقود
لما انتبهنا الخيال الذي سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال الباليه * ورأى ما صنع الدهر بها علانيه * اعترته الحيرة عن يقين * والتفت فرأى رجلا مسكين * في حالة تقشعر منه الجلود * ورؤيته يحن اليها الجلمود * فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان * بصاحب هذا المكان * وأين بدوره السافره * ونجومه الزاهره * وما هذا الحادث الذي حدث على بنيانه * وما الامر الذي لم يبق منه غير جدرانه * فقال له هذا المسكين * وهو يتأوه من قلب حزين * أما في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه * حق على الله أن لا يرفع شيئا في هذه الدار الا وضعه * وان كان سؤالك عن امر وسبب * فليس مع انقلاب الدهر عجب * أنا صاحب هذا المكان ومنشيه * وساكنه وبانيه * وصاحب بدوره السافره * وأمواله الفاخره * وتحفه الزاهيه * وجواريه الباهيه * ولكن الزمان قد مال * فأذهب الخدم والمال * وصيرني في هذه الحالة الراهنه * ودهمني بحوادث كانت عنده كامنه * وسؤالك هذا عن امر وسبب * فاخبرني عنه واترك العجب * قال فاخبره بالقصه * وهو في تألم وغصه * وقال له قد جئتك بهدية تشتهيها النفوس ترغب * وثمن صحنك الذي أخذته من الذهب * فانه كان سببا لغناي بعد الفقر * ولزوال ما كان عندي من الهم والحصر *



قال فهز الرجل رأسه وبكى * وأنّ وشكى * وقال يا هذا أظنك والله مجنون * فان هذا امر لا يكون * كلب من كلابنا تكرم عليك بعصن من الذهب * أنا أرجع فيه ولو كنت فى أشد الهم والوصب * والله لم يأتى منك شئ يساوى قلامه * فامض من حيث جئت بالسلامه * قال فقبل الرجل أقدامه ويديه * وانصرف راجعا يثنى بالمديح عليه * ثم انه عند فراقه ووداعه * انشد هذا البيت الذى يلتذ بسماعه * فقال

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب * ورمته الليالى بسهام الهموم من قسى المصائب * فاصبح بعد الجمع وحيدا * وبعد الانس فريدا * يسامر النجوم * ويساور الهموم * يسكب على فراق الاحبة الدموع * ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع * شعر

فليت شعرى والدنيا مفرقة * بين الرفاق وأيام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * وهل تعود لنا أيامنا الاول

لكن الصبر على غدوات الايام * من شيم السادة الكرام * شعر

اصبر ففى الصبر خير لو علمت به * لكنت بلدوت شكرا صاحب النعم
واعلم بأنك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ماخط بالقلم

وكل هذا اوطئة لما نال الناظم من الهموم * وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم * وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد * وشكواه هذا الامر الوافر المديد * فقال

ص يقول ابو شادوف من عظم ما شكى * من القل جسمه ما بضا ال نحيف

ش هذا الكلام له بحور وقد * وتقاطيع ومد * فبحر الطويل المديد * الناقص المزيد * ومن جعله من بحر الكامل * قال فيه سنها بل متهابل * ومن قاسه ببحر الوافر * قال هو من البحر الزاخر * ومن نسبه لبحر البسيط * قال هو من معنى الهلط والخبيط * ومن قارنه ببحر السلسله * قال هو من معنى هلهله هلهله * ومن شابهه ببقية البحور * قال فى تمثيله أنت حمار أو ثور * وأما قده المعهود * فعلى وزن بروه تخلى الماضفين جلود * واما تقاطيعه المذكوره * فهى هذه الكلمات المشهوره *



يقول	ابوشا	دوف من	عظمها	شكى
نبول	عليها	فى الضحى	مع غرو	بها

ومجموع هذا الكلام * من هذا النظام *

(نبول عليها فى الضحى مع غروبها)

فاذا عرفت البحور والقد والتقاطيع * فلنشرع لك الآن فى شرح الكلام على حسب التواقيع * أو على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول) أى يريد أن ينشى قولا فى الخارج

فيه شرح حاله ودليل على ماانابه من حوادث الزمان * وما اصابه من دواعى الهموم والاحزان * والقول له مصادر واشتقاقات مصدره قال يقول قولا ومقالة وربما زاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة أو من القلل أو من الاقوال أو من قالوا أو قلنا وانما زدت هذه المصادر القشوريه * وهذه الاشتقاقات الهبالية * الالنبئ عليها ماسأذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وماذاك الا انى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين وألف وبلغت بندر القصير أنتظر السفن للسفر فجلست اياما بزاوية على البحر المالح أعظ الناس فبينما أنا ذات يوم فى هذا المكان أقرأ فيه * وابين للناس الكلام ومعانيه * وأنا فى هيئة تشين النظر * وفى أهبة ذهاب وسفر * وبهلة وهبال * وهلفطة ومقال * اذ أقبل على بلا محاله * رجل يشبه دائرة الهاله * طويل هبيل * فظ ثقيل * له عمة كالهيولى فى العظم * وطيلسان نسج من صوف الغنم * ثم جلس يريد الضرر * ونظر الى شذر * فظهر لى منه الشر والجدال * ومنتظر منى متى قلت قال * وكان الامر كما ذكرت * وما اليه بهذا المعنى اشرت * فابتدأت فى الكلام * وقلت قال النبى عليه السلام * فعند ذلك قال لى بلفظ كثيف * ما معنى قال فى التصريف * فلما سمعت سؤاله * تحققت جهله وهباله * وعلمت أنه خالى من العلوم * وجاهل بالمنطوق والمفهوم * فقلت له ان قال يتصرف منه اسماء وافعال * وهى قال يقول قولا وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال * وان اردت جعلت لك بيقين * تصريف هذه السنة ستا وثلاثين * فقال لى وهذا التصريف فى أى متن من المتون * فقلت له فى ديوان ابن سودون * فركن الى قولى على جهل منه وعمى * فعرفت انه لا يدرى الاسم ولا المسمى * ثم انقاد الى بعد الدعوى والهيس * انقياد الغنم للتيس * وامتثل الامر فى رواحه ومقيله * حتى مضى الى حال سبيله * فان قيل لاى شئ خلطت على هذا السائل فى هذه المصادر والاشتقاقات * ووسعت عليه فى هذه الامور الهباليات * كنت تقتصر على ما قالوه فى كتب الصرف * ولا تحرف الكلام بحرف * قلنا الجواب نعم كان ينبغى هذا الكلام * ولكن مع من يدرى العلم بالتمام * وأما الجاهل البليد * والفظ العنيد * فليس له الا ما يناسب جهله من دش الكلام * والجبرفة فيما يليق بذلك المقام * فكان ما سبق من الجواب وحاله * مناسب لسؤاله وهباله * فاتضح الاشكال * عن وجه هذا الهبال (مسألة هبالية) ما الحكمة فى أن الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضى كما قال صاحب ألفية النحو رحمه الله * قال محمد هو ابن مالك * الخ الجواب القشروى ان هذا الفعل الماضى الذى هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتى منه قولا كما سبق فى تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل أو أنه اراد تعداد الامور التى حصلت له من تغير الزمان وانقلابه

ولم يكن أخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فأراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذي هو يقول وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقه

وقال أبو الطيب المتنبي عفا الله عنه شعر

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

أي اذا نوى شيأ مستقبلا أمضى فعله قبل أن يدخل عليه ما يجزمه أي يمنعه عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وأيضا لو أتى بالماضي لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا في معدي كرب وبعلبك وبرق نحره ونحو ذلك وأما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه أن امه لما ولدته القته في مدود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمي بذلك أياما حتى اشتهر بهذه الكنية * وسبب اشتهاره بها أقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم أجر نفسه لسقي الزرع بالآلة التي يعملوها أهل الريف تسمى أبو شادوف وصورة فعلها أنهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها خشبة أيضا بالعرض كحكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذي من جهة البر شيأ ثقيلا والذي من جهة البحر الدلو أو القطوة التي ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو أو القطوة في البحر ويغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثاني ويصعد الدلو او القطوة ويفرغ في النقرة مع مساعدة الرجل له ويجري الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسموا المجموع الآلة والناطورين أبو شادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف قال في القاموس الازرق والناموس الابلق شدف يشدف شدفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا ما رأيت الماء فاشدف براحة * فذلك للظمآن أهنا وأطيب

فالناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمي باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل وقيل ان امه ولدته عند أبو شادوف فسمي باسمه لكن يرده ما تقدم من أن اسمه الاصلي عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال ان امه لما ولدته عند ابو شادوف أخذته ووضعته في المدود ولحسه العجل على ما تقدم فسمي عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمي بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كل من سأل عنه يقال له عند الشدف أي الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا أبو شادوف ووضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علما له يخاطبه بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة في أن الدلو أو القطوة

ابو الشادوف

لا يفارق الخشبة التى هى فى حكم قصبة الميزان وهل هى حكم الاب له كما سبق من أن النواظير فى حكم مقام الاب الشادوف وان الدلو والقطوة انما الازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاور لها فى وقت الحاجة لا غير الجواب أن الخشبة لا تستغنى عن الدلو او القطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما فى حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة فى حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو او القطوة مرتبط بالخشبة فانجه المقال عن وجه هذا الهبال (فايدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله فى قصيدة له

ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالعزم يمنعه

أى ما رجع من سفر الا وأزعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه فى كل ساعة يرجع الى ولده ويفتقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما أن الاخ مشتق من الاخوة قال الشاعر

أبو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء أيضا قد أتى من أخوة

ومصدره آب يأوب أوبا فهو آب وقال ابن سدون ان أبو هذا فعل ماض ناقص وأصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان أبداه قلت أبو

أى أبوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثانى حذفت السين لانها فى الجمل بستين والستين فى البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به فى ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه فلا يشتفى فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات * حسن الصفات * مطيع العاشق * مصافيا مصادق * وانطبع بقده المأنوس * وانضم لعاشقه انضمام العروس * وخلا المحب بالحبيب * وخلا المجلس من الواشى والرقيب * هنالك لا ينحصر البوس بعد * ولا يكون له غاية ولا حد * قال الشاعر شعر

سألت بدر التم فى قبلة * أجاب أن يوفى ومنشى السحاب
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت فى العد وضاع الحساب

وقلت فى المعنى شعر

رأيت له شرطا على الخد قد حوى * جمالا وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادى اللثم قال بخلوة * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

اللهم الا أن يكون المحل غير قابل للمحب والحبيب * بأن يكون ثم خوف من واش أو رقيب * فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل * بحسب أمن العاشق فى الكثرة

والتقليل * ومنهم من لا يعتريه فى ذلك وهم ولا الباس * ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس * ولو نفر منه وفر * رعاما لى نحوه ومر * قال الشاعر شعر

لوترانى وحبيبى عندما * فرّ مثل الظبى من بين يدى
وغدا يغدو وان أغدو اخلفه * وترانا قد طوينا الارض طى
قال ماترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فنأى عنى وولا خجلا * وانثنى بالتيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن ألثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومن اللطائف ان أبانواس مر يوما فى شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن اكثم وادّعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضى ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتخميش والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الامنقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فأطرق الغلام ساعة وانشد يقول

وكنا اذا رجونك للعدل بيننا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ماشكى) أى من عظم أمر بل من أمور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بأن الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل فى الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى * وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على أقسام شكوى لله وهى محموده وشكوى للمخلوق وهى مذمومة اللهم الا أن يكون فى حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به فى دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك واذا صبر واحتسب كان أولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى به

اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا أملته تفرح

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتدأ باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام أى ان أهم شكواى واعظمها أولا من القل وهى قلة المأكل والمشرب حذفت ياء الكلمة لضرورة النظم وأيضا عدم الميسرة

فى الملبس وشدة التعب والنصب فى كد المعيشة وفى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا أى قارب أن يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت سريرتى * وان لم أبح بالفقر خفت مماتى

(وقيل) وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى * العدل ان دام عمر * والظلم ان دام دمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * والفقر هو الموت الاحمر * وهذه الكلمة يعاير بها أهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعتره أى فى حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال منكربة وهى من الفاظ أهل الريف قال بعض شعرائهم

أبو جاموس صبح حالو * يبكى الناس وهو شهره
بجرى ما يلقـــــاشى * وفى قله وفى عـــــتره

(والقل) على وزن الغل او الطل مشتق من القلقلة أو من القلة بضم القاف أو القولق وعتره بفتح العين المهملة وبجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره كخذ زبره وزنها على عتره لا تختلف أبدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر أى مرتكب هذه الامور وأما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب (وهو ما حكى) أن رجلا حضريا أضافه رجل بدوى فأخرج له صحنا من الطعام وشيأ يسيرا من الخبز قصار البدوى كلما أخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فرأى صاحبه الحضرى فأخذه واجلسه فى داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضرى وسم فما فى القلة بركة أى ما فى قلة الطعام مع الشح بركة ودع تسمى الله أو تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت عيوبك فى البرايا * وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفى الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى اشتقاق القل من القولق أو من القلة أو من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القشروى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط فى الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل

هو ضيق المعيشة وعدم اليسرة فتناسب المعنى فى ذلك وأما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه أو أن المناسبة فى ذلك لضيقها فى حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقة وانها اذا وضعت فى الماء بقيت وصارت حكم الذى يشكو الى الماء قال الشاعر

ما يفبق الكوز الا من تأمله * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان فى ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث انه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور أى سرعة حركتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

فلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور

القاطنين بأرضهم * عندى كسكان القبور

أى حرك ركابك فى الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا وغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغوانى جمع غانيه وهى ذات الجمال أى اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على أتم مراد وأحسن حال وان كان لا يحصل لك من السعى والسفر الا اليسير فهو أولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

(وفى بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدى خلقتك من حركة تحرك أرزقك وفى المثل الحركة فيها بركة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد

تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل فى الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد

فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتضاح عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم أى جسمه وهو ذاته مشتق من الجسم او من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى أو من جسم العاشق اذا أنحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيبا وقوله (ما ينفك) كلمة عرفية ومعناها ما زال كما تقدم فى الجزء الاول أى لم يزل جسمه من القل والتعب وعدم اليسرة (ضعيف) على وزن رغيف وأصله ضعيفا بالالف المقصورة وحذفت لضرورة النظم والمعنى أن جسمه ضعيف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى والنكد فى تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه

بخلاف

بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر أن أصحاب المال والرفاهية فى الغالب أن أجسامهم فى نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فظهر ونبذ الثمالهم تأثير (وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه من نظف ثوبه قل همه وفى الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع مادام صاحبه يتعهده بالسقى والاصلاح وتنظيف القلب عنه دام فى نضارة نزاهة وملاحة زاهية ومتى تركها اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال وأما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح فى النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

وأهيفان لعبا * بالنرد أنثى وذكر

قالت أما لقرنه * قلت اسكتى انقمر

(وابلغ) من هذا قول بعضهم

هيفا لو خطرت فى جفن ذى رمد * لما أحس له من وطئها ألما

خفيفة الروح لو رامت تخلفنا * رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسئلة هبالية) لاى شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب فى المعنى وافصح فى العبارة وقد ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم أى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التى على وزنها وهى قطيم والقطيم بلغة الزياقة هو صاحب الابنة وبلغة اخرى هو الخالى من الزواج فلو فرض انه أتى بها فى النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر أو يقال انه راعى فى ذلك قوافى الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها أيضا نشأت من القل والعتره وعدم ما فى اليد كما تقدم فقال

ص أما القمل والصيبان فى طوق جبتى * شبه النخاله يجرفوه بجريف

ش قوله (أما) يعنى أبو شادوف اخبركم أيها معاشر الاصحاب وأشكو اليكم وهو أن القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد فى القرآن العظيم فانه نوع من السوس او القراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميرى فى حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن اوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل أو من تقميل الغزل اذا اصبغ وبوش ووضع فى شدة حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل تقميلا وهو اسم جنس الانثى منه قملة وأما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر شعر

وما قامل فى الثوب الا رأيته * يدب دبيب العقربان اذا مشى

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار ألقيا فى جهنم وقول الحجاج يا غلام اضرب اعنقه وأما قوله فى البيت الاول يدب دبيب العقربان أى لانهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا أنها تلذع والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولذعتها كلذعة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشأه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهى مص الدم الفاسد وان كان يحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى أن يكون صغيرا ولذعته قليلة الالم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم أن يكون الآدمى قدر الجمل ويكون دائما فى خوف من رؤيتها وتعذيب من لذعتها والله تعالى كرم بنى آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان قدر الفيل للزم أن يكون الآدمى مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى

لاتكره البرغوث ان اسمه * برّ وغوث لابه تدرى
فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة فى ان البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العرق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى والانثى عاجزة عن الذكر وأما البرغوث لما كان منشأه من التراب كانت طينته قوية ولهذا انشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم ان أذى البرغوث أقوى من أذى القمل قال الشاعر

اشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسات من الغصص
اصيد هذا بحى هذا يؤلمنى * فتنقضى ليلتى فى الصيد والقنص

وما احسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسن دمى خرا فطاب لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم يسكت ليسمعه الزمر

وافادنى بعض اخواننا الحشاشين ادام الله بأكل الحشيش انسهم وأخذ بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا اسقط ما تيسر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد أكله فانه يفعل افعالا غريبة ويظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا أكل

الحامض

الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه

امنسطل بالزيه من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
فمنتك ان أصبحت فى سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من أمى عفا الله عنها اللغز فى البرغوث ولم أفهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * ياشى من شى أحمر حمير ورق الجمير جر واوراه خمسه مسكوه اثنين * وتفسيره ياشى يا حرف ندا أى يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شى مبهم وهو أحمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحته غير أحمر بمعنى شديد الحمرة وورق الجمير أى كورق الجمير فى لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف عليه جر وا وراه خمسة وهى الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشر الرازيج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق فى العنق فعل ذلك (وأما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء أن صاحب الشقيقة اذا أخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها فى باقلاية مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لازمه وغالب كثرته فى رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان فى الجسد بسهولة فهو أخف ضررا من القمل لكونه أضعف منه وألطف جسما وأصله صبيان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبى ثم انهم أرادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الآدميين فقدموا الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون لبياضه أو من المصيبة أو من قناطر الصابونى ومصدره صيبن يصيبن صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من أولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه أيضا الا ان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النمنمة أو النمام نوع من المشموم وأما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل أمر فكأنه يأمره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريرى عفا الله عنه

سم سمة تحمد آثارها * فاشكر لمن أعطا ولو سمسمه

وهذا يقرب من فن الاحاجى كقولهم طاجن وطاقيه والياسمين وقول بعضهم

انى رأيت عجيبا فى دياركم * شيخا وجارية فى بطن عصفور

وقول الآخر

وأحمر الخدقانى * يغرى اليه الخضاب
بغير عين وناب * وفيه عين وناب

(ويطلق) لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمنم أو بف بفم

الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف ألفاظ الكبير كما هو مشاهد (وأما لغته قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء يقول أنبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة يتناولها زجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا لاخذ شئ يؤذيه يزجر أيضا بلفظ اح بالالف والحاء المهملة واذا أخذ شيأ أعجبه ولعب به يقال له أو يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين و يقال له أو يقول هو على المأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا أرادت امه أن تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لا يأكلك البعبع بكسر الموحدتين أو رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع) مشتق من البعبعة وهي صوت الجمل وبين أح ودح وبح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما وأباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل بعضهم في صغير بيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال

يا من سلب للحشا والروح واوا أح * غيرى تواصل وأنا الي من وصالك بح
أنا أطعم البف والنمنم وقولة بح * بعبع أنا كخ ياتنا وغيرى دح

(وقال) ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لموت امى أرى الاحزان تحنيني * فطالما لحستني لحس تحنيني
وطالما دلعتني حال تربيتي * حتى طلعت كما كانت تربيني
أقول نمنم تجي بالاكل تطعمني * أقول أنبوه تجي بالماء تسقيني

وقوله تحنيني وتحنيني فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من التحنن والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار منمنم أي يشبه نبته بدبيب النمنم او نبات النمام وقد قلت في تشبيه بدبيب النمنم

دب العذار على خديه خيل لى * بانه نمنم يمشي على مهل

(فبعضهم زاد نوعا رابعا) وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبص او لقيس مأخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء أي لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحيس أو يكون على قياس فطيس والفطاسة والنحاسة على وزن واحد يقال فلان لحس أي مرتكب شيأ يشبه النجاسة أو كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنجاسة بمعنى واحد (قال) في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيها بلا شك فهذا أصوب ويقال أنت نعيس لحيس أي أنت تشبه لحس الكلب للاناء أو أنك تلحس الخرا بلسانك أو تتلحس بالكلام ولا تدرى منطوقه من مفهومه والنعيس من معنى ذلك أيضا فكلها ألفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس حرزيد ضرر * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق

ولى من أذى اللحيس في الرأس كربة * وغلى وأكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره

ومصدره لحس يلحس تلحيسا (فان قيل) ان هذا اللحيس الذى زاده هذا البعض شئ تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فما الجواب (قلنا) نعم وان سلمنا أنه لا وجود له الا بعسر لدقته ففى الجملة له محض أذية وضرر فصار من أتباع القمل بل من أولاده كالصيبان والنمنم كما تقدم * أو يكون هذا قياسا على من زاد فى أقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى به اسم الفعل وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال وقوله (فى طوق جبق) أى كائن أو مستقر فى طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة وجوق المغانى ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أى المال الذى كنزوه فى الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه فى وجوه الخير يجعل فى عنقهم كالطوق ويعذبون به فى النار والطوق مشتق من الطاقة أو من الطواقى لتدويرها او من خان أبو طاقية بمصر (ومصدره) طوق يطوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضه ويسمى عندهم ضامن أيضا وهو أحسن الحلي عندهم * وأما ما يوضع فى اعناق الرجال فى السجن فانه يسمى عندهم ضامنة يقال فلان فى الضامنة أى بمعنى ان هذه الالة الحديد التى فى عنقه ضامنة له لا يقدر أن ينفك عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه أحضره وقوله (جبق) على وزن شحتى ولحيتى هذا اذا نسبتها لنفسك وأما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن شحتك ولحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت جبتك حمره * فتكون بالتصحيف ختتك حمزه أى نا كك رجل يسمى حمزه والجبة واحدة الجبب مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها أى يقطعها و يفصلها يقال جاب الفيافى بمعنى قطعها وقد قلت فى المعنى

اجوب الفيافى طامعا فى وصالها * وأقطع أرضا لست منها بخابر

(ومصدرها) جب يجب جبا وجبة * وهى على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من صوف ثخين غليظ مسدودة حكم الثوب ويجعلون أكمامها متسعة خصوصا شعرائهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم مختصر ركبتيه ونساؤهم على شكل الشعراء فى وسع الاكمام وزيادة فان كم المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لى فى ذلك) فانى تزوجت منهن وكنت أجامع زوجتى فى بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام * حتى فى الثياب والاكمام * فهى امور بينهم محبوبه * والمناسبة مطلوبه * (وفى المثل) رأوا قرد يسكر على خراره فقالوا ما للمدام الرايق الا لهذا الشب العايق ورأوا جاموسه منقبه بكيب فقالوا ما للصبية القصيفه الا النقاب الرفيع قال الشاعر

رأيت مجزما فى قاع بئر * وآخر أبرصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(وأما الحضرية) وهى التى يستعملها أهل المدن خصوصا العلماء والظرفاء وهى من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها محصورة الآباط مفتوحة ويقال لها جبة مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير أعجوبة للناظرين * ونهجة للابسين * فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس * وزينهم بكل قدم أنوس * وجعل نساءهم زينة للنفوس * (كما فى المثل) الاساس بحسب بانيه * وكل شئ يشبه قانيه * فالانسان ينشأ على الطبع الذى جبل عليه * وشبه الشئ منجذب اليه * قلت فى المعنى

رأيت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثر عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم أن القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته أراد أن يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند النخل وسيأتى تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول أن القمل ابيض والنخالة كذلك الثانى أنه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل او المنخال * قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شعر

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير أقوى نفعا لانها اذا انقعت فى الماء وسخنت بالنار وشرب بها من يشتكى وجع الصدر وأبرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) أى القمل والصيبان ونوابعهما المتقدمة (جريف) أصله جرفا لانه مصدر حذفت ألفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة أو أنها لغة ريفية فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من المجرفة أو الجرافة (فان قيل) كان حق الناظم أن يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا) لعله عدل من تأنيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن أو يكون من باب الترخيم كقوله

أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * وان أنت قد أصرمت حبلى فاجملى

أو أنه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فان قيل أيضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان قد انحصرا فى طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شئ واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله فى طوق جبتى أى غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة فى الجرف ولا يلزم من هذه العبارة أن بقية جسده سالم منه بل اذا كان فى طوق جبته بهذا المقدار فيكون شئ منه

في الجسد من باب أولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب اوساخه وانما القمل من شأنه أن ينسج اولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمتص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى أعلا الثوب أو الجسد فمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما أن الآدمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاي شيء لم يتعرض الناظم لشكوا من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيأ منهما مع ان لكل منهما أذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل * ان البقه تؤلمه وتقول يا قلة الدريه * فانه في الغالب لا يهوى الا بلاد المدن لطول اماكنها وكثرة أخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شيء من البناء العالي المكلف وان وجد في القرية فيكون دار الشاذ بها أو دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة أيضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوا أماكنهم (وأما النمل) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر فيأتي اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقي الماء قال الشاعر

لا تجعلوني ككمون بمزرعة * ان فاته السقي أغنته المواعيد

(والناظم) لم يرى للنمل اثرا في بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (وأما البعوض) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه يأتي اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان أذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء اذا كان يؤذي قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا نقع الحنظل في مقة الغزل بعد استوائه ورش بها في المحل وهي حارة قتلت البق ولم يبق منه شيء واذا ظهر النمل في محل فيه البق أكله قال الشاعر

أكل البق آلمني * جسمي ما حل بقه
جبت النمل ساعدني * نما خلا ولا بقيه

(وأما النمل) فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هبالية) ما الحكمة في أن الشخص اذا أكلته قملة أو قرصه برغوث أو شيء مما يؤذي بدنه يرى ذلك الاذى في سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل أو البرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادرا نجا مات في الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل

البرغوث فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة وأذية ويخرج بسرعة أويموت فلوجه ذلك (الجواب القشمروى) أن يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سوا لان الروح سارية فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وأمثل لك مثالا قشمرويا * وهوان الشخص اذا حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرا وباطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها أوضرط فيها أيضا فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضره ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة مالم يكن عرضها ضر طولها فيخفف الضرر أوقل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها وهى فى الجملة أشد ضررا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال ص

ولاضرنى الاابن عمى محيلبه * يوم يجي والوجبه على يحيف

ش قوله (ولاضرنى) أى ضرواز نداعلى ماتقدم (الاابن عمى) اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد أخيه لانه فى حكم الاب لهم اذا فقد والدهم ولهذا تسميه العرب أبا (قال) بعض المفسرين فى قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزران المراد به عمه أومن العمامة لعلوها ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما فى الحديث * العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد أخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبة وهى اناء يعمل من فخار أحمر مجوف البطن محصور الرقبة لها أذن واحدة وتعمل بأذنين أيضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف (والحاصل) ان الاوانى المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب أطول من المحلبة وأوسع منها فما وأضيق بطنا فقعر ميشبه قعر القادوس صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقرقوفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب فى صغر القعر الا أنها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها أذنان أو أذن واحدة وأكبر أوانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال له الكوز يباع بها اللبن فى بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل فى الجرم قليل فى البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قبط سمى بذلك لكونه مقسطا بالوزن أو الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة أو العجلة فى وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارض على المحراث اذا عضت

عليه وبكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رأيته فى القاموس الانيق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن أو الماء بقبق وتألم يشكو ما ناله من ألم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسا من النار

فكان القياس القطيسى من هذا القبيل فهذه الاوانى معروفة عند أهل الريف هى وغيرها ومنها الزير والتمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والحلاب ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريف اسمائها واشتقاق بعضها فما معنى القروفه وما أصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل فى زمن القر بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفوا حرقه فى زمن الصيف فصار يقال قروفه أى هذا الاناء وفى حرقه وتم أمره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروفه فصار مركبا من اسم وفعل (الثانى) أنه لما أتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادى اللبن قر فيه قر فيه أى اسكن فيه واستقر ثم زادوا فى هذا اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها فى اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروفه فسمى بذلك (الثالث) ان طينته فى الاصل أخذت من محل قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافى ثم انهم اشتقوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه (الرابع) انه مشتق من القرفة بكسر القاف وهو نوع من البهار زكى الطعم والرائحة يدخل فى الاطعمة الفاخرة والمآكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه (الخامس) ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث القشروية وهذه الخرافات الهبالية فاتضح الجواب وبأن الصواب (وأما) سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال (أحدها) ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لاخرهات المحلبة فسمته بذلك تفاء لا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا (الثانى) ان أمه أتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت أن تسميه باسم أخيه فأنثت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك (الثالث) ان أمه لما ولدته زارها انسان بمحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشروية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضئ المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (تجى) من المجىء وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد أو الملتزم أو النصرانى الى الكفر أو البلد فتوزع على الفلاحين

بحسب ما يخصهم في الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فنهم من يكون عليه في الشهر يوم ومنهم من يفعلها في كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها في كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلابد منها في كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصراني ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم بأكلهم وشربهم وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المآكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا ألزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شيء يصنعه فيرسل المشد الى اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيأ من مصاغها أو ملبوسها على دراهم وأخذت بها الدجاج أو اللحم وأطعمتهم وأحرمت أولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا وقد يربي الفلاح الدجاج فلا يأكل منه شيأ ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البليه ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم المقمح الزرتيع ويأكل الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلابد من فعلها للمشد بالقرية أو النصراني أو الملتزم اذا احضر كما تقدم بيانه واذا أسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض اوغيرها في مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيأ لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشيء من عند أنفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير أجرة ما لم يكن عن رضاء منهم في مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا أذنبت من باس
الا اثنتان فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

(فان قيل) ان الامير أو غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من أنواع الظلم فيجعل ذلك على أهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه أو على من أحدث هذا قبله أو عليهما معا (الجواب) ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد أي من أتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد أي مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق

يعنى أن يكون أحدثه بنفسه أو سبقه به غيره فالاثم على كل من فعله أو أمر بفعله اذ كل فعل لم يكن على أمر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوى العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفى قوله (تجى الوجبه) نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو أن يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء فى كل كلمة من الفاظ البيت أو غالبه كقول الصفى الحلى رحمه الله فى بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم فى جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم فى كلمتين فقط (ويقرب من هذا المعنى) ما اتفق ان رجلا قلاسمك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير فى غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتى الى محله فذهب الغلام حتى أتى محلها واخبرها أن معلمه يريدها فامتثلت الامر وأرادت الذهاب معه فحضر زوجها فى ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به أحد حتى أتى الى معلمه فرآه يقلى السمك على جارى عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلى فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يا معلى فق لى من ذا السمك فاقلى جات تجى جا والم يجى جات ولكن ترتجى لما يروح تجى (وتفسير) هذه الكلمات ان قوله يا معلى فق لى أى تنبه لقولى واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلى أتى بهذا الكلام ليتوهم الحاضرين انه يريد شيأ من السمك وأنه يطلب منه سرعة قليه وبين قوله فق لى وفاقلى الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجى أى أرادت المجى وامتثلت الامر فجاء أى زوجها فى وقت ان أراد الذهاب ثم قال ولم يجى أى زوجها جات أصله جاءت سهله للضرورة أى لحضرت اليك ولم تخالف أمرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجى أى حضورها من الرجاء وهو حصول الشئ على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجى اليك ويحصل المطلوب والشاهد فى قوله جات تجى جا الى آخره فانه كرر حرف الجيم فى كل كلمة كما لا يخفى (فان قيل) ان النصرانى اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه ويرسلون له الوجبة ويتذللون بين يديه ويطيعون أمره ونهيه بل يكون غالبهم فى خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك أم كيف الحال (قلنا) الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه ويكون الفاعل آثما بذلك مالم يخف منه ضررا أو أذية بأن يكون حاكما عليه ومتوليا أمره واضطر اليه فى أمر كقباض المال من النصارى فى بلاد الارياف وغيرهم فانهم مالكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولى النصرانى أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح

الا وهو يرتعد من شدة الخوف (كما اتفق) فى زمن الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم فى موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل أو المبيت من شدة أذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاد مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين الى الخلا قدر ابهام ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال فى هذه الساعة فان أجاب وأحضر المال فى وقته كان والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه أو يخرق اجنابه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل أمهلنى بقية هذا اليوم فاغلظ عليه وأراد أن يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيت ليقتله فولى هاربا والنصرانى يتبعه على الاثر الى أن ألقى بنفسه بين يدى الشيخ وهو يحرق فى قين جير لانها كانت صنعة الشيخ فى ابتداء أمره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصرانى واقف على رأسه فقال له الشيخ أمهله بقية النهار فاغلظ على الشيخ بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام اليه وجذبه من أطواقه فبقى فى يده كالعصفور وقال له يا ملعون الابعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره وألقاه فى تنور القمين فاحترق ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وأنت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد أن يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار الكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شىء الى حاله ثم اشار الى الملك فصحى من غشوته فلما أفاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد فقال له أنا لا أريد منك شيأ غير انك لا تول أحدا من النصارى على المسلمين ولا على أمورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى أحد من النصارى أمر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى أن احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر

الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم منهم الامالا
جعلوا الطبيب وحسابا لكي * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه أو عياله ضررا منهم فى امر دينى أو دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى ببلده فقال

يلومونى فى عشرة القبط خلق * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى
ولكننى صياد رزق بارضهم * ولابد للصياد من عشرة الكلب

وأما اذا داخلهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل فى ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفى ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من أحب قوما حشر معهم وقوله (على) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) أى يميل على ويظلمنى ويكلفنى ما لا أطيق فكان عليه هذا الضرر أشد من غيره الذى هو أذية القمل والصيبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم أتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

(فانظر) الى هذا الشاعر اللبيب كيف أتى بالعم والخال ووصف الاول بالغم واستخدم لفظ الثانى فى كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوى القرابه * كالنار يوم الريح وسط غابه

(وقال) على كرم الله وجهه ألعداوة فى الاهل والحسد فى الجيران والمودة فى الاخوان وأصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل أخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود (وفى الحديث) لا حسد الا فى اثنتين رجلا آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لامات أعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه محيلبه الى شكواه من ابن اخيه خنافر لكونه أشأم منه وأضر عليه من ابن عمه فقال

وايشم منه ابن اخوه خنافر * يقرط على يبغى بجلبة ليفه

قوله (وأيشم) من الشؤم أو من التيشمة وأصله أشأم على وزن أبلم أو أقطم (وفى المثل) أشأم من طويس ويقال فلان مشؤم وذو تيشمة أى عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمى الخشب شوما لقوته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللؤم (قيل) بنا جعفر البرمكى قصرا بديعا وزخرفه بأنواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه اياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى أعرابى يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما

ياقصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش فى اركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحى * أكون اول من ينعاك مرغوم

فقال على بهذا الاعرابى فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملنى على ذلك الفقر والفاقة وصبية خلفتها كافراخ القطا يتعاوون من ألم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا أتمكن من الدخول اليك فلما أيست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرا لا يفدنى منه شئ فاذا خرب ربما أمر به فآخذ منه خشبة أو شيأ من زخارفه فأنتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد أطال وقوفك واضر بعيالك اعطوه ألف دينار لقصده ايانا وألف دينار لطول مكثه على باب دارنا وألف دينار لصبية خلفها كافراخ القطا وألف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب وألف دينار لحلمنا عليه فأخذ الاعرابى الخمسة آلاف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم أى أشد وأقوى منه فى الضرر على والظلم لى (ابن اخوه) أى اخو عجيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لسانه على هذا الوضع لكونه من أهل الريف وأيضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة أو البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس فى حلقه وأخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبربرة قال الشاعر

وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عبابر واحدتها عبوبرة وأما اخوه فاسمه قادوس على وزن عبوس وقادوس هذا اخلف ولدين عجيلبه وفساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن أخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها القتلان قال الشاعر

ففيها ضرط الواشون جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة وأما القرط بفتح القاف وجزم الزاء فهو قرط الزرع وهو أخذ سنبله وابقاء اصله فى أرضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف

اسم لحلقة صغيرة من ذهب أو فضة تعمل فى أذن الصبى وهى ممدوحة خصوصا الولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال أبو نواس فى مطلع قصيدة له

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء

أى أن هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة فى لونها وهى فى كأس يشبه الدرة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما فى يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله (على بيضى) أى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض أو من أبو بيض حيوان يشبه العنكبوت أو من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب القشروى) وهو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا فاذا أخذت الخصاء مثلا واضفت اليه آخر صرت آخذا خصوين بلا خلاف فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم للزب فاذا عهدت عليه فهمت لذة الكلام وهو فى حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما وهما فى حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان الخصيتين دائما فى مقام الخضوع للذكر وهو فى مقام الرفعة عليهما وهما فى مقام التدلى وهو فى مقام الترقى وهما أيضا فى مقام الاضافة وهو فى مقام الرفع والنصب وأيضا له قوة فى فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المطنبة وهما واقفان له على الباب تأدبا معه وهذا من علامة البر بالوالد (كما اتفق) ان بعض الشعراء قصد ملكا يستمطر احسانه فرآه فى البستان فوقف على الباب وأراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ماء يجرى وينتهى الى محل تحت الحائط ينصب فى فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها فى قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها فى الجدول فأخذها الماء حتى ألقاها بين يدى الملك فتناولها وفك ختامها واخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه ادخل ياخصا فقال الشاعر ادام الله الملك ما هذا الا عن وسع عظيم فاعجبه كلامه وانعم عليه وارتد شاكرا (قلت) وبذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغورى رحمه الله غضب على انسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتى بها فلاقيه رجل من أصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له بلغنى أن الملك عمل عليك ألف دينار فقال لا على

الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة آلاف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق) لفظ الخصا على الذكر أيضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والعزمول وغير ذلك لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما يجري بين الزب والكس وهي

لي عندهم اسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر
وخامس الاسماء أدعى بالخصا * اذا غضبت خلتني كالعصا

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج ويكنى أبو الجلات وأبو الصدمات وأبو الهيازع وأبو الزلازل ونحو ذلك واذا أطلق الانسان عنانه واطاع هواه ألقاه في اشد المصائب قال ابن عروس رحمه الله تعالى

الناس في الله تاهوا * والاجواد شاعت تناها
ماضرني غير بطني * والي مدلي حداها

وقد تشبه الخصيتين بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يارب زول غمنا ياربا * يارب أهلك شيخنا الادبا
كانما خصيتاه اذ كبا * دجاجتان يلقطان حبا

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره وخصيتين على وزن ضرطتين أو شحتين فيكون فيها الضرطة والشحة بيقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة أو من قرية تسمى الخصوص أو من قولهم للكتاب اخص مثلا ومصدرها خصا يخصو خصاه قال الشاعر

خصا يخصو مصادر خصيتين * خصاه صح في نظم الطنيني

انتهى الجواب عن هذه المباحث القشروية والاشكالات الهبالية وقوله (بحلبة ليف) أي ربطة قوية دائرة على بيضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمي بذلك لكونه ملتفا على أصول الجريد وسميت هذه الربطة بالحلبة لكونها تخلب على الشيء فلا ينفك منها الا بعسر وفي اصطلاح الرعيان أنهم اذا أرادوا ربط شيء بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد أي لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهي مشتقة من خلب الزرع أو من مخلاب الطير أو من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذي لا مطر فيه قال ابن العربي نفعنا الله به

كل الذي يرجوا نوالك أمطروا * ما كان برقك خلبا الا معي

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل أوانه فقال

ص ومن نزلة الكشاف شابت عوارضي * وصار لقلبي لوعة ووجيف

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا فى محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بنى فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازى ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة وأما النزول فمعناه نزل الشئ من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقى من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى أعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض قال امرء القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من على

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد التهور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى فى قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على البلاد واذا أقبل على قرية يقرع الطبل فيخاف منه أهل البدع وأرباب المفاسد ويرحلوا هاربين خوفا منه وربما وقعوا فى يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل أو حبس أو ضرب أو أخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول وتأتى اليه مشايخها ويقفون بين يديه فى اشد ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن أحوالهم ويسألهم عن أرباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم اذا لم يكونوا فى القرية ثم بعد ذلك يسرعون له فى الاكل والشرب والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع فى قرية فتنة فيما بينهم أو قتل أو خروج عن طاعة استاذهم أو قائم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وأزال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف غمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم وأذيتهم وتكلفهم فى المأكل والمشرب فوق طاقتهم والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره أى ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لى منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصة وخوفى من هذا الامر ان ينالنى منه ضرر (شابت عوارضى) لضعفى عن مقابلة الكشاف وعجزى عن شئ يأخذونه من دارى من جملة المطبخ أو غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوانح وينبت الشيب فى غير أوانه (والشيب) كرامة من الله تعالى لعبده اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقارك فى الدنيا ونورك فى الآخرة فقال يارب زدنى من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفى الحديث ان الله يستحى أن يعذب شيبة شابت فى الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

إذا اسودّ جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من أمامه
وقارب عند المشي في خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر وجاد

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه * من ضحك الشيب على دقنه

وفي هذين البيتين الطباق اللفظي كما لا يخفى (والشيب) مذموم عند النساء قال هارون الرشيد لزوجته ما تحببن من الرجال فقالت من خده كخدي وايره كزندي قال فاذا التحى قالت يطرق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخناق أو يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه من أنس الغانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلوني عن حال النساء فانني * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضي الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدي * من بعد نضو الخضاب حالي
قالت أهذا الذي أراه * غبار طاحونة بدا لي
فقلت لا تعجبي فهذا * غبار طاحونة الليالي

أي انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضي تكدر صدرها وطي بساط أنسها فاجابها بقوله لا تعجبي من اسراع ظهوره فان عجائب الليالي واستنا حها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذي ترينه فلا تلومي واصبري على ما بليتي به (وبعضهم) شبه حدوث الشيب في لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها في السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر حد ابن داية * وعشش في وكريه فاضت له صدري

(ومنهم) من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله في السواد كاشتعال النار في الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله في أول قصيدته

ياظبية اشبه شئ بالمها * راتعة بين العقيق واللوا
أما ترى رأسي حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده * مثل اشتعال النار في جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل في * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه

والتشبيه الشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشبة التي تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا في الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب في العارضين اولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول مايشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضيـ * ـن وشيب اللئام من العنفقه
وشيب الرؤس بماء النفو * س وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب في عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه في عارضيه ثم جرى في بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * وأما الحاقه تاء التأنيث في الفعل فهو جرى على لغة الزيافة والناظم منهم وأيضا لو قال شابا عارضي أو شابت عوارضي لاختل الوزن فراعاه ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاى شئ قال ومن نزلت الكشاف ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التي تعتري الانسان من حصول برد يحصل به فينزل في رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواؤها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكى فانه يخفف ذلك وما الحكمة في انه أتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه أن يأتي بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقه * في طيز كلبة مطلقه
والحس خراها بافهيـ * ـم ومن مزه بالملعقه

(قلنا الجواب القشروى) أن النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وأيضا الانثى ألطف من الذكر في الذات والصفات وان كان الذكر اشرف وأيضا الفلاح عنده العجلة أو البقرة أكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا أن الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفساق فانا على حد قول أبي نواس رحمه الله

عجبت لمن يزني وفي الناس أمرد * أليس ركوب الفحل في الحرب اجود

وأما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير في اللفظ والمعنى واحد من حيثية أن الروح سارية في الجسد كله فاذا اهتز القلب وتعب سرى ذلك في الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ما قارب الشئ يعطى حكمه أو على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التي تلف على الرأس أو من عارضة الباب أو من العروض الذي يعتري الانسان من لمس الجن او من العارض الذي يأتي بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم

قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

أوانه سمى بذلك لتعرضه فى الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن قار من الصيرورة أو من صارى المركب أو من الصرة التى تنقل فى كل عام الى الحرمين (قلبى) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل القشرى وقوله (لوعة) وهى شدة حرارة القلب وتلهفه من ألم العشق أو الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت فى معنى ذلك

أواه واحربا من لوعتى وكفى * أنى أكابد زفرات باشجانى

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف أى رجفان لا يسكن ألمه ولا يهدى تحركه من شدة ما ناله من رعب نزول الكشاف وخوفه منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهى أشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص ويوم يجى الديوان تبطل مفاصلى * واهرع على روحى من التخويف

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجى) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية أى أهلها وهو ان النصرانى اذا حضر الى القرية أو الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الخولى والقوانين التى جرت بها العادة وشرع فى أخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة أو يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه فى ذلك الزمن أو يبيع بهيمته التى تطلب على عياله أو يأخذ مصاغ زوجته برهنه أو يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصرانى أو لمن هو متولى قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشى الملتزم أو المشد من خرابه من البلد أخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال أو يأخذ أخاه ان لم يكن له ولد أو أحدا من اقاربه أو يوضع فى الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه أحكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله فلا يعود الى بلده قط ويترك أهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يافتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تغليق المال * ولو حصل من ذلك الهم والنكال * كما فى المثل الذى اشتهر وعم * مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم * وما دام على الفلاح شئ من المال فهو فى هم شديد * ويوم السداد عند الفلاح عيد * والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجى ناجب وقسم خائن خائب (فاما الاول) فهو صاحب عقل وسياسه * وحسن تصرف ورياسه * عقله رزين * ملازم للصلاة والدين * والزرع والغيط * تارك للسندة جنب الحيط * له على جماعته الحماسه * مجتنب الرزالة والخساسه * يباشر الزرع *

ويقف

ويقف عند الحصيدة والقلع * لا يتكل على خولى ولا مرابع * ولا يركن لتوار ولا مزارع * بل يباشر الامور كلها * ويعرف مرضها وعللها * ويلازم المشد والاستاد * ولا يسعى فى خراب ولا افساد * فان أخذ من معامل فلوس * لا يصرفها فى أمر معكوس * بل على مصالح الزرع والبهائم * والامر الذى عليه لازم * وينوى السداد لصاحب الدين * ويشفق على الفقير والمسكين * ويفيق لاتواره * ويحفظ غيط جاره * وينوى سداد المال * ويتكل على العلى المتعال * ويترك نفش الشوارب * والجلوس على المصاطب * يبارك له الديان * ويسد مال السلطان * وان جاءه المعامل أوفاه * وان طلب منه ثانى مرة اعطاه * وترتاح اولاده * ويرضا عنه استاده * ويعيش فى راحة ودين * ويرضا عليه رب العالمين * (وأما القسم الثانى) لا عقل ولا معروف * عريان منتوف * لا صلاة ولا دين * ولا طاعة لرب العالمين * ولا ذوق ولا معرفه * فائق للشبر والمقرفه * بالنهار فى لعب المنقله * وبالليل ساحب العتله * لا يلازم الغيط * يحب اللطعة جنب الحيط * نافش الشوارب * قليل المكاسب * عويل مهدار * سفلاق فشار * ان دخل فى يده فلوس * فرقها على العتورة والتيوس * لا يلازم مشد ولا استاد * دائر فى العكس والفساد * تيرانه جائعه * وخيوله ضائعه * لا يصرف الاشياط وعياط * وزرعته ما فيها الاضراط * يصرف من غير قانون * مشحوت منحوت مديون * ممقوت مع استاده * دائر فى غيه وفساده * لو ضرب به مقارع أو كسارات * لا يخلى النط فى الدور والحارات * ان قال له استاده على الصواب * ينوى على الرحيل والخراب * دائما فى مقت وكرب * ولا يفيد فيه الحبس والضرب * قنف معكوس * محراك شر حرب البسوس * لا يقدر على وفاء دين * مكسور عليه الالف والالفين * فتنة فى البلد * عمره فى هم ونكد * لا يوفى المعامل * ولا له رأى كامل * المقت منسكب عليه * وشبيه الشئ منجذب اليه * فلا خير فى حياته * ولا يبكى عليه بعد مماته * لانه طويل الكم فشار * قليل الفرح فى الدار * عترأ كالخره * لا دنيا ولا آخره * كما قيل

فهذا الذى ان عاش لا نفع به * وان مات لا تندم عليه أقاربه

(واول) من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه واول ديوان عمر بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم يضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج فى زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا أو عنوة على ما قيل جمع منها اموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقيه اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتم عنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فانكر فحبسه فى السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا الا انما سمعناه يسأل عن راهب من

الطور فارسل عمرو الى بطرس وأخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء أن يذكره وجهز الكتاب مع قبطى وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فأخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى * (وحكى) ان المرحوم السلطان سليم لما أخذ مصر من المرحوم السلطان الغورى فى رجب سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودونه بمصر (منه) انه لايكتب شئ من مال الديوان على أحد من الجند وافق ذلك رأى مولانا امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل الى نائبه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لايسكنون فى بيت الملك (ومنه) انه لايتزوج بمصرية (ومنه) أنه لايقيم فى مصر أكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر (ومنه) ان الجندى لايجمع بين الجمكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندى المثبت فى الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات (واول من جبى) خراج مصر فى الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعيد بن أبى سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ياأبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو أضررتم بولدها (وهذا الذى) جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج (وكان) خراج مصر فى زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع أربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعمائة وخمسين ألف دينار والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف (واعلم) انّ مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت بمجئ الاسلام وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها الاينقص منها شئ (ونقل الاستاذ السيوطى) ان سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيأ من مال الديوان على أحد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم أولحضور ما دون الملك فيه أولجمعه على اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشأه شخص ديوان فنزول الديوان فى البلد على كل حال أمر مهول على الفلاحين * ومصيبة على المقلين * والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين * المنكسرين فى مال

السلطان كما سيأتى فى قوله * ويأدوب عمرى فى الخراج وهمو * وان الدهر والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان أو قرب حضوره داخلنى الخوف واعترانى الفزع ودهمتنى الداهية الكبرى ولحقتنى طربة عظيمة لعدم شئ من الدراهم أورده فى مال السلطان أو لخوفى من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) أى ترتخى وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو وقد ذكر لفظ المفصل فى قول أبى نواس لما احتضر

لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت
ومغرم تضرم أحشاؤه * بالنار الا أنه ساكت
ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه ألم ثابت
رثا له الشامت مما به * يا ويح من يرثى له الشامت

فمن هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصرانى ولا يرثى لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على روحى) أى على ذاتى لا الروح السارية فى الجسم من شدة الطربة وهم (التخويف) أى تخويف جماعة النصرانى أو المشد أو الخوف الذى يصيبنى بمعنى ان الطبيعة تلين من اجل هذا الهم وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هرار الطين بعد أن كان اذا ضربته فى الحائط ردفى وجهك من يبسه فيسيل على ذاتى وثيابى فلا أتمالك دفعه لانه يتدفق بسرعة من شدة الخوف والهر واحد الهرار والهرار على وزن الجرار وواحده الهرة من قولهم هر عليك الحمار أو هرت على لحيتك الكلبة أو هر على ذقنك الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى أكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين أو هو مشتق من الهرة التى تصيد الفار وتسمى بلغة أهل الحجاز البسة بضم الموحدة وبلغة أهل مصر القطة ومصدره هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب مما دهمه والاختفاء منه فقال

ص واهرب حدى النسوان والتف بالعبا * ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف

ش قوله (واهرب) أى أنا لا أحد غيرى (حدى) أصله بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشئ أى جانبه أو مقابله وقوله (النسوان) أى عندهن أو محاذى لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التانس أو الانس أو المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء أنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب

الطور فارسل عمرو الى بطرس وأخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء أن يذكره وجهز الكتاب مع قبطي وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فأخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى * (وحكى) ان المرحوم السلطان سليم لما أخذ مصر من المرحوم السلطان الغورى فى رجب سنة ٩٢٢ اثنين وعشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودونه بمصر (منه) انه لا يكتب شئ من مال الديوان على أحد من الجند وافق ذلك رأى مولانا امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل الى نائبه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون فى بيت الملك (ومنه) انه لا يتزوج بمصرية (ومنه) أنه لا يقيم فى مصر أكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر (ومنه) ان الجندى لا يجمع بين الحكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندى المثبت فى الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات (واول من جبى) خراج مصر فى الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعيد بن أبى سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو أضررتم بولدها (وهذا الذى) جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج (وكان) خراج مصر فى زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع أربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعمائة وخمسين ألف دينار والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف (واعلم) ان مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت لمجاء الاسلام وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شئ (ونقل الاستاذ السيوطى) ان سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيأ من مال الديوان على أحد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم أو لحضور ما دون الملك فيه أو لجمعه على اجناس مختلفة كما يقال الكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشأه شخص ديوان فنزول الديوان فى البلد على كل حال أمر مهول على الفلاحين * ومصيبة على المقلين * والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين * المنكسرين فى مال

السلطان

السلطان كما سيأتى فى قوله * ويأدوب عمرى فى الخراج وهمو * وان الدهر والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان أوقرب حضوره داخلنى الخوف واعترانى الفزع ودهمتنى الداهية الكبرى ولحقتنى طربة عظيمة لعدم شئ من الدراهم أورده فى مال السلطان أولخوفى من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) أى ترتخى وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو وقد ذكر لفظ المفصل فى قول أبى نواس لما احتضر

لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت
ومغرم تضرم أحشاؤه * بالنار الا أنه ساكت
ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيـــه ألم ثابت
رثا له الشامت مما به * ياويح من يرثى له الشامت

فمن هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصرانى ولا يرثى لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهزعلى روحى) أى على ذاتى لا الروح السارية فى الجسم من شدة الطربة وهم (التخويف) أى تخويف جماعة النصرانى أو المشد أو الخوف الذى يصيبنى بمعنى ان الطبيعة تلين من انحصار هذا الهم وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هرار الطين بعد أن كان اذا ضربته فى الحائط رد فى وجهك من يبسه فيسيل على ذاتى وثيابى فلا أتمالك دفعه لانه يتدفق بسرعة من شدة الخوف والهز واحد الهرار والهرار على وزن الجرار واحده الهرة من قولهم هز عليك الحمار أو هرت على لحيتك الكلبة أو هز على ذقنك الكلب مثلا ويقال هز التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى أكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين أو هو مشتق من الهزة التى تصيد الفار وتسمى بلغة أهل الحجاز البسة بضم الموحدة وبلغة أهل مصر القطة ومصدره هز يهز هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب عما دهمه والاختفاء منه فقال

ص واهرب حدى النسوان والتف بالعبا * ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف

ش قوله (واهرب) أى أنا لا أحد غيرى (حدى) أصله بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشئ أى جانبه أو مقابله وقوله (النسوان) أى عندهن أو محاذى لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التانس أو الانس أو المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء أنس بها وسمى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب

قيل مرّ بعضهم بامرأة جميلة فانشد يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها

انّ النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهى شم الرياحين

(والنسوان) على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة أو العجوة والنساء على وزن الكساء وقد ياتى فيها الفساء أيضا والمعنى أنى اخشى على نفسى وأخاف مما دهانى فامضى بسرعة وأنا فى هذه الحالة واهرب أى انطلق بسرعة الى النسوان وأختفى بينهنّ أو أجلس بجانبهنّ أو مقابل لهنّ كما فى المثل * الهروب نصف الشطاره * وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال أعاير بهذا ولا أقتل فالشخص اذا خاف من ظالم أو أحد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (ومما نقل من الامثال) جدع قصير انفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمى صاحب جذيمة الابرش الذى اوّل من اتخذ الشموع وأوقدت بين يديه وكان له أخت جميلة زوجها العدى أحد ندمائه حال سكره فلما أفاق عدى وهرب أتت منه بولد اسمه عمرو فتربى عند خاله جذيمة الابرش وأحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة أغار على أبى الزباء فقتله واستولى على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى استخلصت منه بلاد أبيها ثم انه أرسل لها يخطبها فأجابته فاستشار خواصه فنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فأمرت عسكرها بأن يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وادخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت له أجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة بظرا فأمرت الجوارى أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه فى جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى فى أخذ ثاره بحيلة جدع أنفه واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها أرادت غزو عمرو فقال لها عندى من السلاح والاموال شئ كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة وأعطاه الفى رجل بسيوفهم فى صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست فى محل عال تنظر الجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الابطال بسيوفهم وكان فى يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام (فان قيل) لاى شئ اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أنّ النساء لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهنّ لضعفهنّ وعدم مقاتلتهنّ فما حكم ذلك (قلنا الجواب من

وجهين

وجهين) الاول لما دهمه هذا الامر وأتاه الديوان على حين غفلة وارتعدت مفاصله وحصلت له حالة الهز هز على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى أحد من الرجال يختفى عنده أو الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها أيضا اذ هو من لوازمه كما سيأتى ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه أو من محله فتوارى بينهن * الثانى يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شئ من أمور الرجال وخشى أن يمضى الى أحد من الناس أو من أقاربه فيدل عليه النصرانى فيأخذوه ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم أمان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فلكل شئ له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شئ آفة من جنسه * حتى الحديد سطى عليه المبرد

وأيضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن أحد قد اجتمعن فى محل لا يشك ان بينهن رجل الا ان ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضى الله عنه بالنساء فى بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور فى السير فاتضح الجواب ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشئ يواريه من الاعداء ويستر عنه الاعين قال (والتف بالعبا) أى وقت جلوسى بين النساء أو بجانبهن أو قبالهن ألتف فى العباء أو أرقد بعد لفى فيها لاطرد عنى الوهم بالتفافى بها فان الخائف أى شئ رآه توارى فيه سواء كان عباء أو ثوبا أو شيأ يواريه عن الاعين بل ربما تزى بزى النساء واختفى عن عدوه ونجاه الله تعالى منه (كما اتفق) ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو فى القرية الفلانية فأرسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية وأحاطوا بها فلما عرف الرجل أنهم يريدوا أخذه للملك تزى بزى النساء وخرج فى جمع منهن ينوح ويبكى ويصيح وهن يصحن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فأقبل جماعة يسألوهن فقلن مات لنا ميت فى القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلا سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى أن جاوز العسكر ومضا الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك (ومثل هذه الواقعة) ما اتفق لى أنى كنت فى سفينة مسافرا من بلدى شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن فى زى خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذنى ويتذلل له ويتداخل عليه أنه يأخذه وهو فى كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من أخذه وخشى أن يكون خلفه احد يفتش عليه أو يأتى فى اثره وكان فى السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا ريس غلام مكروب يسألك فى أخذه فلم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وأنا أصنع له حيلة تواريه عمن يطلبه وأخفيه بين شلتى ولا يعرفه أحد فسمع الرئيس كلامها وأخذ

الغلام فلما صار فى السفينة أخبر انه كان فى خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولابد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فأخذتها واخفتها فى حوائجها وألبسته لبس النساء وأجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بأمير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة وقال للرئيس ادخل البر حتى أفتشك فانه هرب لى غلام فى هذه الساعة ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى خوف من هذا الحال فطلع الامير وأعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول هذا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ وأما الغلام فانه مكث معنا فى المركب الى أن طلع مصر وذهب الى أهله سالما والناظم لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة أهل الريف يقال فلان لف مترد عدس أو مترد بيسار يعنى انه أكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك أن داخلها أحدا والعباءة كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان يجعلها أهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفصلين وهى أفخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء فى قول سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه

نحن أصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباءة مشتقة من عب الماء لانها تعبه اذا ألقيت فيه أو من عبوب البحر أيام النيل أو من أبو عبية كنية لبعض الفراريج الصغار يكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عاب يعب عبا وقوله (ويبقى) أى عند هذه الحالة التى أنا فيها وهى انسهال الطبيعة وسيلان الهرار على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وأنا ملفوف فى هذه العباءة ومندرج فيها (ضراطى) أى صوت الريح المتلائم فى بطنى من أكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات الاعضاء ورجفان القلب (شبه) أى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلدة مركبة على خشب أو نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوى شديد ورعب زائد وكله حلال الا الكوبة وهى طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى أيضا بالدرابكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) أى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا يعنى انه ضربه أو أدبه والمعنى أن صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضرب بعجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب أو ان مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة أن الضراط فيها على اربعة اقسام (الاول) ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت

ممتدا بصوت ضعيف (الثانى) ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ويصاعد من غير صوت (الثالث) ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها (الرابع) ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف الماكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة * ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من أصحاب الاجسام اللطيفة وارباب المآكل الخفيفة (والثانى) ضراط يجول فى البطن بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لاينضج وسببه من المآكل الغليظة واذا نضج اسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شئ يكون فساء وفى هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط فى المأكول طول نهاره * وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر

(كما اتفق) ان رجلا أتى الى طبيب فقال له أحس فى بطنى معمعة وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا اعرفها وأما القرقرة فضراط لاينضج فاذا كان الريح يجول فى البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعالج بأكل شئ من الشيح أو الصعتر المغلى بالسكر فطورا وربما مكث يوما كاملا أوليلة كاملة (كما اتفق) لابن الراوندى عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى أن يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصاة له فسمع رجلا يقول اللهم ارزقنى ألف دينار فقال له ياسقيع الذقن أنا طول ليلى أطلب منه فسوة فلم يعطها لى أيعطيك ألف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة قليلة الفسا (قال المسعودى فى مروج الذهب) فى ذكر جمل من الاخبار عن البحار ومافيها وماحولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب الملوك ونسوق مابقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه الى أن قال فى آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لايرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون من اظهاره فى سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذى وان ارساله شفاء ينجى وان فى ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا (وذكر هذا الخبر) عن الهند أن السعال عندهم اقبح من الضراط وأن الجشا على وزن الفسا أقبح منه (واستشهد هذا الخبر) على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول فى ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك

عنهم فى السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى * مقـــالة ينتج منها قصدى
لاتحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان أدء الداء فى امساكها * والروح والراحة فى اخراجها
والقبح فى السعال والمخاط * والسوء فى الفساء لا الضراط
أما الجشاء فساء صاعد * وتنه عن الفساء زائد

(وان الريح) واحدة فى الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى أسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة فى مؤخر الرأس والقفا واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وان الحيوان الناطق انما كثرت علله وتعددت امراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح فى جوفه وتركه اظهاره فى حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما ذكرنا من الامراض والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض من الادواء فى اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كدمقراطيس وفيثاغورث وبقراط وجالينوس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يرواحبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من اصحاب الشرائع ومنعت منه الملوك ولم يجز ذلك فى عاداتهم (وقال المسعودى) فى مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى وكان عجيب الصورة لطيف الحديث فيه سلاسة أهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملنى فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يامرك أن تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف أتهيأ أهيئ رأسا غير رأسى أم أشترى لحية غير لحيتى أم أزيد فى قامتى أم انا متهيئ قال لست تدرى بعد ماشرطوا المزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وما هى هات ما عندك يا من تدرى قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمناقلة وأن لا تبصق ولا تمخط ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وان تتقدمه فى النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة وأن لا ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعات حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر عقله فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آه واحراه اذهب له فقل له ما يزاملك الا من أمه زانية فرجع ابن حماد وقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال

يا على

ياعلى أبعث اليك تزاملنى ولاتفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءنى بشروط حساب الشاشى فقال لاتبصق ولاتفعل كذا وكذا وجعل يمطط فى كلامه ويفرقع فى حكاياته ويشير بيديه ولاتسعل ولاتعطس ولاولا وهذا لايتم لى ولا أقدر عليه فلن رضيت أن ازاملك فاذا جاء فى الفسا فسوت عليك وضرطت أيضا واذا جاءك أنت فافس أوضرط على والا ليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله على على بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر فقال على يا أمير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال فحضر ابن حماد فأمر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له على اقبل حتى أساررك فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل رأسك فى كمى فانظر ماهو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال لم أر شيأ ولكنى لو أعلم ان جوف ثيابك كنيف ماقربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فسوا متصلا وقال لابن حماد قلت لى لاتسعل ولاتبصق ولاتمخط فلم أفعل ولكنى اخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد صبت قدرا فيه خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك ياغلام الساعة أموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنية (والثالث) ضراط يخرج بمتزج امع الغائط وسببه أن الارياح عند خروج الخارج تمتزج به وتتلايم معه وتخرج هى واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة فيظهر منها أصوات متقطعة غير ممتدة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المأكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ماخلا الانسان فى بيت غائط * فلاحت بلاشك تسارع نفخته
فمن كان ذا عقل فيستر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن وزنته وقت غزل النساء به وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال

ذى بنت بطنى خرجت نعيط * تدندن كالمردن فى برمنه
ومن يقل لى اكتم ضراطك * أجعل خراى على لحيته

فجعل البطن مثل الام وجعل الضرطة فيها مثل البنت التى فارقت امها وصارت تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره يكون جاهلا بحاله ويكون خراه فى لحيته (ويحكى) انه دخل أبو الاسود على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا أمير المؤمنين لاتخبر بها أحدا فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من أبى الاسود فلما رآه عمرو قال له يا أبا الاسود ضرطت بين يدى أمير المؤمنين فلما دخل على معاوية قال له ألم أسالك أن لاتخبر بها أحدا فقال

معاوية ما علم بها أحد غير عمرو فقال اياه الذى كنت أحذر ولكن أنت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك أمانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين وأموالهم فضحك معاوية ووصله وقد يأتى الضراط على حين غفلة عند حمل شئ ثقيل أو وثبة فاحشة أو تحرك للقيام بشدة ولكن لا يمتد له صوت مثل غيره وهذا أخف ضررا مما سبق (كما اتفق) ان اعرابيا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما أحدثت فى الناس بدعة * ولم يأت استى منكرا فأتوب
اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس علىّ فى الضراط رقيب

(وأتى) رجلان الى قاض فتقدم أحدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما أن أتكلم انا أو أنت (ويحكى نظوريه) عن حكيم بن عياش الكلبى أنه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو فى المجلس اذ دخل عليهم اعرابى وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم مسرور وأجلسه الى جانبه ودعى بقوس ورماعنها واعطاها من على يمينه فرماعنها حتى اذا صارت الى الاعرابى فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابى فرمابها مستحيا فقال عبد الملك دهينا فى الاعرابى وكنا نطمع فى أنسه وانى لأعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدم يا أعرابى لتضرط وانما اراد لتأكل فقال له الاعرابى قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لأجعلنها مذكرة يا غلام ائتنى بعشرة آلاف درهم فجاءه بها فاعطاها للاعرابى فلما صارت له تسلا وانبسط ونسى ما صدر منه فانشد حكيم بن عياش الكلبى يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جرّت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يودّ القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
أيقبل ضارط ألفا بالف * فأضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الله واجاز حكيم بن عياش بمثلها (وقيل) أقبل الصغيرى على مجلس بعض الامراء واراد أن يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيرى اذ ولى على عجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانما هى ريح لست تملكها * اذ أنت لست سليمان بن داود

(وهذا) كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن الجالس فى الحضرة اذا ضرط فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز فى الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لهـــا روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وأما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة

وسوء الادب والازدراء بالجالس فى الحضرة فلا يليق بالضارط فيها أن يفعل ذلك ولو أراد به المزح مثلا (وذكر) فى كتاب نزهة الابصار فى اخبار ملوك الامصار أنه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد أيها الشيخ قال حائطا لى فقال هل لك أن أدلك على شئ تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجنى الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهوى وغبار الماء وورق الكمأة فصره فى قشر جوزة واكحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة ممتدة ثم قال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن دابته (ويحكى) أن مر هارون الرشيد وجعفر مرّا ببغداد فوجدا رمّالا بعينيه أحرارا فقال الرشيد لجعفر ماهذا ياجعفر قال هذا رمّال فقال لابد من اختياره فتوجه اليه جعفر فقال ماصنعتك فقال ماترى من الاصطلابات والادوية فقال لم لاتداوى عينيك قال داويتهما فلم يفد فقال أصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة آواق من عروق الهواء وثلاثة آواق من منزوع الماء ودقهما فى هون من الثلج واكحل بها فقال ذلك الرمّال ماء رآنفا ثم أتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ماترى فقال بى أمراض اخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقنى مغص وما آكله من الطيبات ينزله من أسفل خبيثا وباطنى ظلمة فقال اما مابلحيتك من المغص فعليك بالموسى واما ما تاكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا وأما ماتراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل ما ينور على استك وبطنك (وقد شاهدنا فى بلاد الارياف) أن الشخص اذا ضرط فى مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة فى الحائط التى يجلس بجانبها من جص اوجير حتى يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة مايلومونه على مافعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء أخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان فى مجلس فلا بأس بضراطه فيه وينبغى مسامحته لهذه العلة (ورأيت فى بعض الكتب) ان سبب مالقب حاتم نفعنا الله به بالاصم أن امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلى صوتك بالكلام فانى رجل أصم وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المراة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضى الله عنه (واتفق لى) انى كنت اهوى غلاما جميل الذات * لطيف الصفات * فصيح اللسان * رطب البنان * بديع الجمال * رخيم الدلال *

وانامش غوف بجماله * وراغب فى وصاله * وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان * وان يجمعنى السعد واياه فى مكان * الى ان صدفته فى روضة بالشموم عابقه * ونخيلها باسقه * وطيورها بالتغريد ناطقه * يرفل فى ثياب العز والامداد * وكل صدفة خير من ميعاد * فبادبته بالسلام * وابديت له الغرام * وسألته الجلوس فأجابه * وما احلا اجتماع الاحباب * فلما استقر بنا الجلوس * واردت أن أتملا بتده المأنوس * بين هاتيك الرياض الزاهره * والروايح العاطره * واحظى بحديثه العذب الرائق * ومنطقه الشهى الفائق * اذ أقبل علينا جماعة من ارباب الذوات الكثيفه * والطباع العنيفه * وجلسوا من غير طلب * وخاضوا فى الحديث من غير ادب * نخجل الغلام منهم وأطرق * واعتراه الوهم والحنق * واراد ان يتحرك للنفار * فخرج منه صوت من غير اختيار * فضحكوا عليه وقاموا منصرفين * وعليه بالقول لائمين * فنظر الى بطرف كحيل * ووجه جميل * وقال ما تقول فى لوم هؤلاء الارزال * فانشدت اقول بارتجال

لاموا الحبيب وما دروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرا جلاسه * ورای بهم ذاك الثقل
ورای التفوه منهمو * بلطيف لفظ كالعسل
فيه الخسارة اذ همو * اهل الكثافة والملل
ناداهم من استه * بلطيف صوت قد حصل
كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل
ياحبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل
رقت وراق محلها * من العواذل والعزل
والحمد لله على * ذهابهم قد رحل
فاضرط وغنى وانبسط * واشطح وطب ياذا البطل
فى روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل
فكلما ترضا به * فالعبد عنه ما عدل
لكن بحق المصطفى * غيرى فلا تأخذ بدل

فتبسم عن ثغر كأنه عقود الجمان * ومال على بقد كأنه غصن البان * وقال لا وحق من فلق الحبه * وغرس فى فؤادك شجر المحبه * لا أكون فى يمينى حانث * ولم يدخل بيننا مدا الدهر ثالث * ولم أزل أنا واياه على هذا الحال * حتى لحق بذى الجلال * (ومن اللطائف) أن السلطان قانصوه الغورى مر يوما فى شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لآخر مثلك تفتخر على يا فلان وأنا اقدر اصور النغمات من طيزى فقال الملك لوزيره على بهذا الرجل ثم احضره بين يديه فاخبره

الملك بجامع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما التزمت به فقال له تعفونى يا ملك فان الرجل فى المخاصمة يقول ما شاء قال لا بد من صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطينى الامان قال لك ذلك فقال يكون فى محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره وطاب معه فى الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغورى له دراية بهذا الفن وألف فيه بعض رسائل فقال له أى نغمة تريد فقال الخباز مثلا لحرك أليه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى أتى على جميع النغمات وتهزاتها ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر فى هذا الفن ثم انه أجازه بألف دينار وجعله رئيسا على أرباب الدخول كلهم ويقال انه جد أولاد العتر المشهورين الآن (ومما حكى) انه حضر بعض الخياطين عند بعض الامراء ليفصل له قباء فأخذ يفصل والامير ينظر فلم يتهيأ له أن يسرق شيأ فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما أراد فجلس الامير وقال يا خياط ضرطة اخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء (وقد) اجتمعت برجل يقال له ماضى الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به أى نغمة كانت ويعمل منه أشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة أعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند العظماء عفا الله عنه (فائدة فشروية) سمعتها من بعض أهل الخلاعة وهو ان ابليس لعنه الله يضرط فى كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار أولهم من يركب زوجته وتزورها أضرحة الاولياء والمقابر * والثانى من رآى اثنين يتسارا وأدخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة * والثالث من رآى اثنين يتضاربا وأدخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما فى المثل * ما ينوب المخلص الا تقطيع الثياب * والرابع من يمشى فى الطريق ويلتفت من غير حاجة * والخامس محبوس الزوجة وقس على امثالهم (ويحكى) أنه كان لفتى من قريش جارية فى أيام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة أهل زمانها فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم أنها شغفت به فوهبها له فأخذها وودعاه وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار لا يدرى الى أين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن رآى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى أوتى بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من احب الناس فاخترت ابن عمى شابا حسن الوجه بعد ما رأيتك تسارقيه النظر فعلمت أنك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدى اسمع قصتى ثم اصنع ما أنت صانع فقال تكلم

فقالت كنت للفتى القرشى فقعد به الدهر فأتى بى الى الكوفة قاصدا البسك لتشترى حتى اذا اقربنا منه دنا منى فواقعنى فسمع هدير الاسد فوثب قائما وأتى الاسد وقتله ثم أتى الىّ ومابرد ماعنده من الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا المافام الىّ واوقعنى سقطت فأرة من السقف فضرط وغشى عليه فرشيت عليه الماء وهو لا يفيق نخفت موته فتنهمنى فهربت خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا فقالت على أن لا تبعثنى اليه ثانيا (فان قيل) ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت بأنه هوى منضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم (قلنا الجواب) أن يقال ان هذا الا يأتى الا على التعريف الثانى وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح الجواب (فان قيل) ان فى قول الناظم ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف اشكالا من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه أقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل بهذه الحالة عليه النصرانى وغيره فلا فائدة فى اختفائه بين النساء ولا فى اندراجه فى العباءة فما الحكم (قلنا الجواب) أن الناظم ماذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الابعد لفه فى العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه فى العباءة لا يسمع منه شئ والمعنى أنه لو كان خاليا عن اندراجه ولفه فى العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس فى جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه أو على من يكون واقفا على باب الجب أو قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهى أضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج الا ضعيفا أو أنه من باب الغلو فى الشئ كما قال الصفى الحلى فى بديعيته

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

أو يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لا يتوهم انه رجل مختف بل ربما يظن انه رجل أو امرأة يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال فى كلامه فاتضح الجواب (قلت) ولم أر من صرح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيرى * ثم ان الناظم نبه على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص ويادوب عمرى فى الخراج وهمه * تقضى ولالى فى الحصاد سعيف

ش قوله (ويادوب) الواو عاطفة بحسب ماقبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات قشرية ومعانى مختلفة * فاما أن تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شأنه وحاله الذى هو مهتم به والمعنى انكم تعلموا يا اخوانى أن دأبى طول عمرى مع

ماحصل

ماحصل لى من الهموم سابقا فى حساب وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وما ينشأ من همه أى خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يفى بما على من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفى وشدة فقرى وقلة من يسعفنى فى الزرع والقلع فلهذا تقضى عمرى وأنا فى هذا الحال الى آخره * أو أنه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه او كله فيخشع خوف أحد يتحرك أو خشية الفتنة حتى يقضى الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا لطيفا أو شتمه شتما خفيا فيقول له قدر الله وأنا عبدك مثلا وانى هلكت فى حبك الى أن تمضى القضية على أحسن حال قال بعضهم مواليا

دبيت ليلا على من للملاحه حاز * بقيت راكب على ظهر وشبيه الباز
لما انتبه من منامو قال من دا فاز * بوصلنا قلت أعمى جس بالعكاز

وما الطف قول بعضهم

وما حز قلبى باجفانه * رشا ما درى قدر ما قدرما
وأضرم نار الاسا فى الحشا * ولم يشتكى ضر ما ضرما
وسلم قلبى الى صدم * فيا ليته سل ما سلما
وقد كان قدم احسانه * ولكنه قد ما قدما
وقد هد بنيان صبرى به * وما واحد هد ما هدما
وحرم ما حل من وصله * وفى مهجتى حز ما حزما
وقد عز من أحب الوفا * وما أحد عز ما عزما
عجبت لفيض دمعى به * اذا ما جرى أوهما أوهما
فسلمت أمرى به للقضا * وحزت به أجر ما أجرما
وقد رقم الحسن فى خده * فلله رق ما رقما

(وقال آخر)

شكوت الى الحبيب أنين قلبى * اذا جن الظلام فقال آنا
فقلت له أظنك غير راض * بما كابدت فيه فقال انا
فقلت له أترض أن قلبى * بأثقال الغرام فقال انا
فقلت له أتحكم مثل هذا * على أهل الغرام فقال انا

(اعلم) ان الاولى فعل أمر من الانين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة من ان الشرطية وأما فعل ماض والرابعة ان واسمها

(وقال اخر)

جل الذى أطلع شمس الضحى * مشرقة فى جنح ليل بهيم
وقدر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم
بدر ظننا وجهه جنة * فسمنا منه عذاب أليم
ينفر كالريم ألا فانظروا * الى بخيل وهو عندى كريم
لما انحنى حاجبه وانثنى * يهز للعشاق قدا قويم
تعجب من فرط دلال وقد * بدا لى المعوج والمستقيم
داوى جنينى ياطبيب الهوى * وخلنى انى بحالى عليم
فخصره واه وارداف * ثقيلة واللحظ منه سقيم

(وقال آخر)

صيرنى فى كل واد أهيم * من حظ قلبى منه هاء وميم
فتى يشبه ريم الفلا * ياطول شوقى من بخيل كريم
لم انس من وحشته ليلة * خلتنى أرعادجاها البهيم
تطيرة حبى بها تطيرة * فقال جسمى انه سقيم
شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبى كليم
لا أسمع اللوم على حبه * أعوذ بالله السميع العليم
فى شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم
وثابت الود لديغ الحشا * يأتى الى بقلب سليم
ياروضة تجنى بالحاظه * فيجتنى حلو الرضاب النعيم
كن كيف شئت وعن مهجتى * فلا تسأل عن اصحاب الجحيم

(والمعنى) انى أكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فيمنعنى الراحة فى معاشى والسرور فى أوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد ما يشعر الا وقد على فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم * أو أنه من دبيب سم العقرب يعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد * أو انه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان أبلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل (بلادة الدب غلبت فطانة القرد) ومجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له فنفى البلادة فى الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالد ترى عقل الانام ويظهروا * اليك امورا لست منها بخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرنى فى حالة تشبه بلادة الدب

وعدم

وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة فى الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب
على فى كل ساعة فأنا محروم من لذات الدنيا ولم يغدنى ما أنا فيه شئ قال بعضهم

اصبحت لاشغل ولاعطله * مزيدنا من صفقة خاسره
وحاصل الامر وغايانه * أنى لادنيا ولاآخره

فلا أرى فى الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض لان الارض
لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة
الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد أن فيه تسعة اعشار
البركة لا يفى بهذا المقدار من كثرة الظلم وأما فى الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد
ولا كلف ولا مغارم ولا شئ مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان
خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيأ من ذلك قط وكانت البركة
حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس فى غاية الخير وسعة الرزق والكسب
(ومما روى) أنه اعترض رجل المأمون فقال أنا رجل من العرب فقال له ليس
بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق أمامك قال ليس لى نفقة قال قد سقط عنك
الفرض قال قد جئتك مستجدا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة (ومن النوادر) أن
الاصمعى مر بحى من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان فى الصحراء ويتكلم
بالفصاحة فقال له الاصمعى أين أبوك فنظر الصبى اليه شذرا ولم يجبه فقال له أين
أبيك فلم يجبه فقال له أين أبوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفئ فاذا فاء الفئ فاء
(ولما دخل المامون مصر) وسار فى قراها كان يبنى له فى كل قرية تكية يضرب عليها
سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم فى كل قرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل
فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة
القرية وهى تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل
جنس فذكروا له أن القبطية قالت أمير المؤمنين نزل فى كل ضيعة وترك ضيعتى ولم ينزل
بها والقبط تعايرنى بذلك وانا أسأل أمير المؤمنين ان يشرفنى بحلوله فى ضيعتى ليكون لى
الشرف ولعقبى ولا يشمت الاعداء بى وبكت بكاء كثيرا فرق لها المامون وثنا عنان فرسه
اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ
والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما
جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت اليه جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون
اخوه المعتصم وولده العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضى
داود فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هى للمامون من فاخر
الطعام ولذيذه شيأ كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت
اليه ومعها عشرة وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المامون ذلك ورآها

قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق فاذا هي ملآنة كلها ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا اعجب ربما يعجز بيت مال الناس عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقرنا فقال ان في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على أحد فردى مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به وأخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النخل مائتي فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كرمها ومن سعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض في الزمن الماضي تعطي زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث (وأول) من احدث بمصر مالا سوى الخراج أحمد بن المدبر لما ولي خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال الهلالي بالجديد (وقال) سيدي أبو بكر الطرسوسي دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا شامخا وأنزلك منزلا شريفا بازنا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر احد فوق أمرك فلا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكون أحد أطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير واعلم أيها الملك ان الله تعالى أتى الدنيا بحذافيرها سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وأمانا للخائف (قال رضي الله عنه) ثم أتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي

الاقامة فيها غير هذه المملكة أى مصر ثم أنشد يقول

النـاس اكيس من يحمدوا . * رجلا حتى يروا آثار احسان

وقوله (ولالى فى الحصاد سعيف) أى ولا أرمن يسعفنى فى حصاد الزرع عنـد انتهائه ولا من يعاوننى على تحميله عـلى الجمال ونزوله فى الجرن ودرسـه ودراونه وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد أو قلعه من أصله اذا بلغ الاستـواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيجلون عليه بالحصاد وقد شبـه الادمى بالزرع فانه فى ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص فى حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن أوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الادمى اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقـال للرجـل اذا دهمه الشيب طاب الزرع أى قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسى والمعنوى فالحسى ماتقدم ذكره والمعنوى مثـل فعل الخير مثلا يقـال زرع فلان الجميل أى فعله مع غيره قال الشـاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ماخاب قط جميـل اينما زرعا

ان الجميـل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

(ومن الحكم) من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد مازرعه من خير أو شر قال الشاعر

غـدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون مازرعوا

ان احسنوا احسنوا خيرا لانفسهم * وان اساؤا فبئس ماصنعوا

(قيـل) لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيـدة نفيسه رضى الله تعالى عنهـا ونفعنـا بهـا وببركاتها يشكون اليهـا من ظلمـه وجوره قالت بركب متى قالوا فى غد فكتبت له رقعة ووقفة فى طريقه وقالت يا احمـد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب * ملكتم فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ودرت البكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموهـا وكبود جوعتموهـا واجساد أعريتموهـا فمحـال أن يموت المظـلوم ويبقى الظـالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رضى الله تعالى عنه (ثم ان النـاظم) نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بهـا هو وغيره من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقـال

ش ويوم تجى العونه على الناس فى البلد * تخبينى فى الفرن ام وطيف

ص قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه فى هذا البيت (تجى العونه) وهو أوان حفر السواقى

وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونة انما تكون فى بلاد الملتزمين
التى فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا أخذ قرية أو كفرا من كفور الريف يزرع فيها
أوفى الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب
الذى يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على
ذلك وكيلا ومحلا معدا للاخشاب وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على
البهائم وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الابار أو لحفر القنى
او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الغفير فينادى العونة يافلاحين
العونة يابطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل
ما يأمرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخا وتكاسل عن
السروح أخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على
رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان
شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات
جعلوها على ولده وهكذا فهى داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين
ولله الحمد اراح الله قريتنا منها انما هى قرار بط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم
الاخراجها يأخذه فى كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد
ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكد وغرامة وسخرهم زائد
والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا احضرت العونة (على الناس فى البلد)
أى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها الاكل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن
يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا
الى ذلك فلا يقدر أن يترك العونة ويذهب اشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) أى
تخفينى عن أعين الناس حتى لا يرانى أحد ولا يسمع بى (فى الفرن) أى فرنه الكائن
فى داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك
(ام وطيف) أصله وطفه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف
وهو الخيال السارى منا ما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

* أو من الطوفان * أو من أطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة
الشغل فى لزق الجلة وعملها أطوافا نحن هذا كنوها ام وطيف * وأما اسمها على ما قيل
زوبعة وقيل خطيطة أو معيكة وهى ام الناظم أو زوجته أو اخته وسميت العونة عونة
لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه
أو انها اسم للجماعة المتعاونين على الشئ ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة

أى تعانوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزريبة أو الشونة ويعايرون بهذا الامرد ويقولون له أنت ياخور يابقره دائماء وتتلميه أى مائة نفس أو انها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عوّن يعون تعوينا أوعان يعين اعانة قال الشاعر

نعوّن تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

(فان قيل) ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به أحد وهذا بخلاف ماتقدم من ان العونة لابد من السروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان أو من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب (قلنا) الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره أحد وانما اراد الاختفاء خوفا من اقاربه أن يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه أو يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه أو انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفى فى الفرن تسترا على نفسه حتى لايراه أحد كما يقال فى المثل (ابعد عن الشر وغنى له * وعين لاتنظر قلب لايحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القل والعترة والقمل والصيبان وعداوة اقاربه وماناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل أو رؤيتها لشدة ماهو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لايعرف هذا الطعام ولايراه الاعند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك أو يملكه ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه افخر مأكول أهل الريف فقال

ص ولاهدنى من بعد هاده وهاده * سوى الكشك لما يستحق غريف

ش قوله (ولاهدنى) أى هد حيلى وقوتى مأخوذ من هد الحائط وأصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قدذاب فيك أذا

افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما مركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل ابن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى أن الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضاء عمى البصر * أو انه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفى الحديث تهادوا تحابوا * ويقال أصل المحبة الهدية وأصل العداوة الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيأ

وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونة انما تكون فى بلاد الملتزمين التى فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا أخذ قرية أو كفرا من كفور الريف يزرع فيها أو فى الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا الاخشابه وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الابار أو لحفر القنى اوضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الغفير فينادى العونة يافلاحين العونة يابطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر اولكل ما يأمرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخا وتكاسل عن السروح أخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهى داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد اراح الله قريتنا منها انما هى قراريط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الاخرا بها يأخذ فى كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكدر وغرامة وضررهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونة (على الناس فى البلد) أى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها الا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر أن يترك العونة ويذهب اشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) أى تخفينى عن أعين الناس حتى لا يرانى أحد ولا يسمع بى (فى الفرن) أى فرنه الكائن فى داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) أصله وطفه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى بالفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

* أو من الطوفان * أو من أطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل فى لزق الجلة وعملها أطوافا نحو هذا كنوها ام وطيف * وأما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة أو معيكة وهى ام الناظم أو زوجته أو اخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه أو انها اسم للجماعة المتعاونين على الشئ ولهذا يقال ناسكوا فلانا الليلة عونة

أى

أى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزريبة أو الشونة ويعايرون بهذا الامرد ويقولون له أنت ياخوريا بقره داغماءوتلاميه أى مائة نفس أو انها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عوّن يعون تعوينا وأعان يعين اعانة قال الشاعر

نعوّن تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

(فان قيل) ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به أحد وهذا بخلاف ماتقدم من ان العونة لابد من السروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان أو من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب (قلنا) الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره أحد وانما اراد الاختفاء خوفا من اقاربه أن يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه أو يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه أو انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفى فى الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه أحد كما يقال فى امثل (ابعد عن الشر وغنى له * وعين لا تنظر قلب لايحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القمل والعترة والقمل والصيبان وعداوة أقاربه وماناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل أوروئيتها لشدة ماهو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لايعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك أو ياكله ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه اخفر مأكول أهل الريف فقال

ص ولا هدنى من بعد هاده وهاده * سوى الكشك لما يستحق غريف

ش قوله (ولا هدنى) أى هد حيلى وقوتى مأخوذ من هد الحائط وأصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذا

افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما مركب من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل بن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى أن الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضا عمى البصر * أو انه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفى الحديث تهادوا تحابوا * ويقال أصل المحبة الهدية وأصل العداوة الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيأ

يسيرا وفى المثل * هدية الاحباب على ورق السداب * وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(أوانه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هد يهد هدا أو هدم يهدم هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا أو هدمك هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين أولها مثل آخرها اذ وقفت عليها وأصلها هذا اسم اشارة الا ان ألسنة أهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هد حيلى واضعف قواى من بعد ما تقدم أولا وهوا كل القمل والصيبان والقل والعترة ونحوه والذى أتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحه حيرنى * وكل ساعه فى نقصان
ما انفك من هم الوجبه * لما يجى مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معترضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المآكل والمشارب ولا راحة له أبدا الا ان غلق مال السلطان وأما اذا بقى عليه شئ يسير فانه دائما فى افتكار أثناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان اعطاه الله تعالى البركة فى الزرع فانه يأتى من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر فى الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل فى طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضى الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من أنتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزراع أقوى توكلا من غيره ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب فى الارض أن يصلى ركعتين ثم يقول الهى أنا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لى فيه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس فى بيته ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعى (ورجل) أنفق ماله فى معصية الله تعالى أو بناء فافتقر ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولى والذين اذا أنفقوا ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

ورجل

(ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصنى منه يقول الله له ألم آمرك بالاشتهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصنى منها يقول الله له ألم أجعل أمرها بيدك أما سمعت كلامى الطلاق مرتان انتهى * ولكن نحمد الله الذى أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لا بائنا ولا اجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على الفصاد
ركبت قصيبتى ولبست مسحى * وسرت كسيرهم فى كل وادى
فلا الاجناد تطلبنى بمال * ولا الديوان يغلط فى عدادى

(فالفلاحة) على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو فى أصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن
الاصل ذر وبر * ثم الجدود ولكن

أى ولكن بئس ما خلفوا فقيه اكتفاء * وصفته أن يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف فى الشمس ويدش ويوضع فى اناء ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتتفوح له رائحة الحوضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حوضته ثم يقترص اقراصا صغارا ويوضع فى الشمس الى أن يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى المأكول * وأما كشك الكفور وبلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا أراك الله مكروها فلنهم يصنعونه بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحوضة حريف الطعم غليظ الطبع عن غيره محرك للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى سمرة وكلما كان أبيض نقيا قليل الحوضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لينه وحسن نظافته * وأما كيفية طبخه فعلى أقسام بحسب البلاد التى يعمل فيها فأهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج أو بشئ من اصناف الطيور المأكولة أخرى أو يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه ثخينا وأهالى المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البورى السمين وأكلته بدمياط حراراو أبناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه باللحم الضانى السمين فيكون له لذة عظيمة فى المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا مع لحوم الضانى والدجاج والارز ونحوه * وأما القسم الردئ المحرك للسواكن المذكور فى الشعر المتقدم

فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه فى بوشة أو قدرة أو دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقيدون عليه بالنار الى أن يأخذ قوامه ينزلونه ويخرطون له بصله ويضعون عليه قليلا من الشيرج ويقلون له بذلك ويغرفونه فى متارد أو شوالى فخار ويفتون فيه خبز الادرة أو الشعير ويأكله الشخص منهم متردا ومتردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد مابقى منه قد جمد وظهرت فيه فصوص الفول فيلهط منه الى أن يكتفى وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز المأكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى اعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتى بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شئ من التقالى عليه يسمى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش الحصريار درطبه والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا أوعك الجمل من ألم الحر يسقى منه يزول مابه ولهذا يستعمله المسافرون اذا أذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من ألم ضرب السياط طلاء وله منافع اخرى مذكورة فى كتب الطب * وأما أهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لاغير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذه لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم (قيل) أتى رجل من أهل الصعيد من نواحى قنا وقوص الى مصر ليشترى له جارية للخدمة فرأى جارية تباع باغلا ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسنى الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من أى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول أهل الصعيد فى كل سنة ستة اشهر ويكة وستة اشهر ملوخية فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) مامعنى اسم الكشك وما اشتقاقه ومامعنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالنيرب ومامعنى قول الناظم انه هدّ حيله عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب القشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثالها سر فلا كبا بك الفرس وقلع مركب بيكر معلق وحسك تتزوج عجوز تكسح وقد ورد ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وربك فكبر كل فى فلك وغير القرآن مثل كما لك تحت كلامك وعلى تحت قلع

(ومن النظم قول الحريرى)

امن ارمـلا اذاعرا * وراع لذا المرأ أما
اسـل جنـاب غاشم * مشـاغب ابن جلسا

(وأيضا ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره وأول الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو أنه عند وضعه فى الشمس يكش ويضمر من حرارتها * أو انه من قول بعضهم أكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه أكل أكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك * أو من قولهم للكلب كش كش اذا أرادوا أن يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ * أو من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس * أو ان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ وأضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا (وأما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز أهل هذه البلدة أى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمى بهذا الاسم أو انه من باب هرش المعدة (وأما تسمية النوع الآخر نيرب) فلعله من النيروب على وزن الديلوب * أو انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن ارنب حيوان يحل أكله فخشوا الالتباس فى اللفظ فقالوا نيرب أو انه فعل فى زمن النيروز فقالوا أولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى آخره بالباء الموحدة وقالوا نيرب * وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلت طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وتأسف وخصوصا (اذا استحق غريف) أى لما يتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه وأصله لما يستحق الغرف بآلة التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة للخراء فيها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت ثناها
ماضرنى غير بطنى * واللى مدلى حداها

(وقال بعضهم مواليا)

يادنية الشوم طول عمرى وأنا أشتد
فى هم ذى البطن اللى هاتريح حد
اضال أبقى واجى بعد العشا أتمد

فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه فى بوشة أو قدرة أودست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقيدون عليه بالنار الى أن يأخذ قوامه ينزلونه ويخرطون له بصله ويضعون عليه قليلا من الشيرج ويقلون له بذلك ويغرفونه فى متارد أوشوالى نخار ويفتون فيه خبز الادرة أو الشعير ويأكل الشخص منهم متردا ومتردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقى منه قد جمد وظهرت فيه فصوص الفول فيلهط منه الى أن يكتفى وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز المأكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى اعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا والحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتى بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شئ من التقالى عليه يسمى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السوا كن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطبه والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا وضع على الجلد من ألم الحرق منه يزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من ألم ضرب السياط طلاء وله منافع اخرى مذكورة فى كتب الطب * وأما أهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا الا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذه لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم (قيل) أتى رجل من أهل الصعيد من نواحى قنا وقوص الى مصر ليشترى له جارية للخدمة فرأى جارية تباع باغلا ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسنى الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من أى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول أهل الصعيد فى كل سنة ستة اشهر ويكة وستة اشهر ملوخية فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) مامعنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالنيرب وما معنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب القشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس وقلع مركب بيكر معلق وحسك تتزوج عجوز تتكسح وقد ورد ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وربك فكبر كل فى فلك وغير القرآن مثل كما لك تحت كلامك وعلق تحت قلع (ومن النظم قول الحريرى)

اس ارصلا اذا عرا * وراع لذا المرأ أسا
اسل جناب غاشم * مشاغب ابن جلسا

(وأيضا ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره وأول الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو أنه عند وضعه فى الشمس يكش ويضمر من حرارتها * أو انه من قول بعضهم أكل فلان الكشك عند فلان بمعنى انه أكل أكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك * أو من قولهم للكلب كش كش اذا أرادوا أن يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ * أو من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس * أو ان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ وأضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا (وأما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس وتقارالديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب بطحنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز أهل هذه البلدة أى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمى بهذا الاسم أو انه من باب هرش المعدة (وأما تسمية النوع الآخر نيرب) فلعله من النيروب على وزن الديلوب * أو انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن ارنب حيوان يحل أكله فخشوا الالتباس فى اللفظ فقالوا انيرب أو انه فعل فى زمن النيروز فقالوا أولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى آخره بالباء الموحدة وقالوا نيرب * وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلت طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فمن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وتأسف وخصوصا (اذا استحق غريف) أى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه وأصله لما يستحق الغرف بآلة التغريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة للنزاع فيها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروض فى ديوانه

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت تناها
ماضرنى غير بطنى * واللى مدلى حداها

(وقال بعضهم مواليا)

يادنية الشوم طول عمرى وأنا أشتد
فى هم دى البطن اللى حاتر يح حد
اضال أبنى واجى بعد العشا أتمد

أقوم في الصبح ألتى مابقيتو اتهد

(نحن هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم التحصل بعيش بالشم بل من الادميين وخصوصا من أهالى كفور أهل الريف يفطر الشخص منهم على متردة او متردين من الكشك أو البيسار أو الفول المدمس كما سيأتى فلا لوم عليه فى هذه حيلة (يحكى) انه ركب المأمون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطنى فجس بطنه وقال له ماتشتكى يا عليان فقال له أشتكى استى فقال له بختيشوع خذلك عود اراك ودسه وراك فهو صالح لذاك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك ونحن نجرب دواءك فان عافانا الله بذاك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المأمون حتى استلقى على قربوص سرجه (وبذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومديده اليه وقال له انظر مابى فجس بطنه وقال له ما أكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذلك يسيرا من الزبيب والسنامكى ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من أهل الريف كأنه فى الشكل هبل أو سارية فوق الجبل أقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الديب وقال له انظر مابى من المرض بلطف فانا أحس فى بطنى بضعف وقدم له يدا كأنها خشبة وساعدا كأنه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذى دهاك وما أكلت اليوم فى فطورك وغداك فقال له أنا احكى لك وحق تربة أبو طبله وتربة معيكه بن أبو اجرام أنا ماقمت من النوم لقيت امراتى ام معيكه حاطا بوشت بيسار كبيره وكنت اصعب العيش ولهطت منها متردة متردين قل تلاته فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه متردة متردين قل تلاته قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الحاج عنطور غيط فول كلت شمال شمالين قل تلاته ورحت من الغيط عند صندل الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه متردة متردين قل تلاته ورأيت عندنا عرس فى الحاره وعزمونى ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كتير كلت من داك الطعام متردة متردين قل تلاته ورأيت عندنا خيارا اصفر كلت كوم كومين قل تلاته وجيتك تنضر حالى فانى باحس فى بطنى ضعف (فقال له الطبيب) خذلك من الزبيب قنطارا قنطارين قل ثلاثه ومن السنامكى قنطارا قنطارين قل ثلاثه ومن السكر قنطارا قنطارين قل ثلاثه فقال له أنا سمعتك بتوصف الى جالك قبلى شئ قليل من السنامكى والسكر والزبيب وبتوصف لى قناطير فقال له يا أخس الفلاحين وهل يطلع هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات ثم أخذ خرجه على كتفه وحلف أنه لا يجلس بقية يومه فى السوق من اجل هذا

الفلاح فاتحه المقال * عن معنى هذه الاحوال * واتضحت العبارات * عن هذه الخرافات * (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شئ أغلظ منه لانه مستعمل عند أهل الريف فى غالب مأكولهم فقال

ص ولا شاقنى الا المدمس وبحتو * على من جنو جفنه بنص رغيف

ش وقوله (ولا شاقنى) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال سيدى عمر بن الفارض (ولولاكم ماشاقنى ذكر منزلى) وشاق على وزن قاق وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل قاق يقوق قوقا والمعنى أنه يقول ما كثر شوقى وزاد هيامى الى شئ من جميع المأكولات (الا المس) مأخوذ من المدمس لكونه يدمس فى النار كما سيأتى ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفى وحضرى وان كان الاصل واحدا وهو الفول لان الشئ يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة أخرى (فاما الحضرى) وهو ما يباع فى مصر وغيرها من المدن فانهم يأخذون الفول النقى الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه فى قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عندما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق ويسدون فم القدرة بشئ من الليف النظيف أو اناء طاهر سدا محكما ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفران ونحوها ويتعهدونه بالسقى كلما انشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه العجوة مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا أرادوا أكله اشترى الشخص ما يكفيه واضاف اليه السمن البقرى أو الزيت الطيب أو قشطة اللبن وأحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان معصوبا بالكرات الاخضر والليمون أو الخل فى هذا يصير غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويصلحه قليل من الصعتر خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء (وأما النوع الريفى) وهو مدمس أهل الريف الذى اشتاقه الناظم فلا أراك الله مكروها ان كنت ماذقت الخرا فكل منه فانهم يأخذون الفول ان كان جيدا أو رديئا على سائر اوصافه وربما أخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة أو الثور ونفضت ما عليه من آثار التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك أو من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بساس الكتان أو بخرقة فيها الدناسة وتضعها فى محماة الفرن الملانة من الدمس والجلة وربما وضعت ذلك عليها أيضا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم

مثل الكاب الكاسر وتأتيه بخبز الادرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا أكلت منه فكأنك تأكل من زبل الغنم مثلا ومنهم من يأكله بالكرات أو البصل وربما أضافوا عليه شيأ من القمح أو الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيسف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى أن يكتفى ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفة مأكولهم أراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) أصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة أو جريا على اللغة الريفية أى شاقنى رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة للذتها عندى اذا اشتهيتها فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا أجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح أو من الروائح أو من أبو رياح الذى تلعب به الصبيان أو من الراح وهو من اسماء الخمرة . (قال الشاعر)

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث ان مرت على الجيف

(أو من قولهم مواليا)

ايش قلت ياصاحبى فى رايحه جيه

من تحت حيطا وهيا ميته حيه

وقاعده واقفه على الارض مرميه

وجائزه راقده فوق حيط مبنيه

(وهى المعدية على حد قول بعضهم)

المعديه رايحه جيه * تنسحب بالخيط

ياأبو جبه * الأانا زليت

(ثم ان الناظم) لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الاأنه وقع هنا فعلا والمعنى على وارتفع قدر (من جتو جفنه) أو على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع (قال الشاعر)

على زيدنا يوم اللقا رأس زيدكم * بأبيض ماضى الشفرتين يمانى

أو يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته أى حصلت له جفنه ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية أو صدقة وحصل له معها (نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص فضه أو من قبيل الاكتفاء أو من جهة الترخيم كقوله (أفاطم مهلا بعض هذا التدلل) فيكون يومه أبرك الايام وأسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول المدمس حامى الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كاف له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا أو من باب سد الجوعة والجفنة اناء

كبير معد لوضع الطعام (قال بعضهم) يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل جلف بطنه خابيه * واذا صحفته كانت خابيه

(وفى نسخة اخرى) بالحاء المهملة أى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كف الانسان مع انضمام الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وحفنة الجناس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما أن الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى أجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك (قال الشاعر)

أقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين فى الاجفان سارى

تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

(ومصدره) جفن يجفن جفنة (ثم أن الناظم) تمنى مأكولا آخر من غالب مأكول قريته أغلظ طبعا من المدمس فقال)

ص على من رأى البيسار فى الجرن جالو * ويدعس ولو كان بالقلنج ضعيف

ش قوله (على) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من رأى) رؤية بصرية (البيسار) وهو نوعين ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره (فالريفى) مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لاغير وكيفية طبخه عند أهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويفركونها بالمفراك الى أن يأخذ ما فيها قوامه ويتهرى الفول وتفوح رائحته فيعيدونها فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوى ثم يقلون له بشئ يسير من الشيرج أو الزيت الحار بالبصل ويغرفونه فى شالية أو مترد ويفتون فيه الخبز الشعير أو فطير الاذرة حتى يصير مثل الكرص ويأكلونه بالبصل الاخضر أو الناشف فيأكل الشخص منهم المترد الفت أو المتردين فى الغداء والمتردين فى العشاء ويذهب بنوته وحدوته خلف قفاه ويسرح بالبهائم أو للضم أو للمعرث اوهذا غالب ماكولهم خصوصا فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير الشخص منهم كأنه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على رجليه هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعباط وفساء وشياط فهذا حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح (وأما النوع الحضرى) فما ألذه واشهاه وما أطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر أو غيرها من المدن التى تجلب اليها الملوخية أو تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى اصناف منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها أو ربما نشفها

فى بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة أو خادم فتضعها فى دست نحاس مبيض أو طنجرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الرومى حتى تاخذ قوامها فى الاستواء ثم تفركها فركا لطيفا ثم تقلى لها بالثوم الشامى أو البلدى ممزوجا بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن الالية وتلقى عليها شيأ من البهارات كالفلفل وما اشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد فى الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهو انها أى الملوخية تؤخذ وهى خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض أبناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة فى الجسد (ونوع آخر) وهو ألذ وأشهى مما تقدم وأقوى نفعا وأعظم ما كولا وهو أخذ الملوخية وهى صغيرة فى ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج والارز مع كثرة الادهان أو باللحم الضأن وأهل مصر يرغبون فى هذا النوع ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية فى ابتداء أمرها جملة من الدراهم ويدعو أعزاء اصحابه يأكل منها وتكون عندهم ألذ من طعام الاعياد ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمنى فلان واطعمنى الليلة الملوخية الجديدة بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المتطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء أو الشمر فيفتون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من جودة رأيهم وزكاء عقولهم وحبهم فى الشئ عند ابتداء طلوعه كما يقال (كل جديد له لذة وكل قديم له هجران) ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس فى ديوانه

أوّل زمانك يعزولك * غالى وقمع فى يد غالى
وان دبت بأشاش برمولك * واللى جرى لك جرى لى

(فان الشئ) فى ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر) يسمى بورانى وهو انه تقطف اوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مرّ ولهذا ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشئ عند ابتدائه أى ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فان نفعه فى ابتدائه أكثر من نفعه فى انتهائه وأهل مصر على هذا القدم يسعون فى أخذ الشئ فى ابتدائه ولا يكترثون به فى انتهائه جزاهم الله خيرا عن مروتهم * وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم * واعاذنا الله من الريف وجهله * وغلظ مأكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة فى تسمية الملوخية بالفول يسارا وما الحكمة فى تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك

(الجواب الفشروى) على وجهين (الاول) ان الذى اخترع البيسار فى الاصل كان ابوه فلاحا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين والده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط أبيه المذكور وسرق شيأ من تلك الملوخية وأتى به الى زوجته فقالت له ماتريد بهذا فقال لها قصدى أصنعه طعاما ثم أخذ ورقها ووضعه فى بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير وألقى فى البوشة شيأ من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم أخذ البوشة بعد استواء مافيها وغرفه فى مترد وجلس يأكل منها فدخل أبوه وقال له ماهذا الشئ الاخضر فدلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط أبيه فتضارب هو وابوه وحلف أبوه انه لا يمكث فى البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فصار ابنه ينادى أبى سار أبى سار فحذفوا الالف من أبى وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وافادنى) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى لسان حاله يسار أى سار طعمى بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر أو من البيسارة من قولهم فى معنى ذلك

سعيده كانت مزاره * واعجب طبيخ البيساره

(وأما الملوخيا) فقد عرّفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها فى ديوانه بقوله فى هذا المعنى * أبو قردان * زرع فدان * ملوخيا * وبادنجان ان هذا الاسم نبات أخضر انضر واصله ياملوخيا فاخر واحرف النداء وأبو قردان أول من سماها بذلك على ماقيل وسبب ذلك انه لما زرعه فى فدانه وصلح للطبخ طلع منه شيأ وتركه فى مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض اولاده وأخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخى فلم يجبه بشئ فاتى بحرف النداء وقبل أن يقول ملوخى أنا مولاه وأعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخى ياء واذعمت الياء فى الياء فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس فى الاطعمة ألطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء فى منافعها كتابا جليلا وأما نهى الحاكم بامر الله عنها فلميل سيدنا معاوية رضى الله تعالى عنه اليها لانها كانت أحب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (فى الجرن) وهو محل درس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذى يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه فى هذا المحل على بعضه كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيأ بعد شئ ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلاح رمية وقيل أصل الجرن الجرم بالميم بدل النون * ماخوذ من جرم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم أبدلت الميم نونا لقربها فى المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح أو الفول أو ما ألقى اليه من الحبوب ويخلصه مثل ماتخلص

السكين الفم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذى يعمل من الخوص وقوله (بيالو) بالتخفيف أى جاء اليه والضمير راجع لليسار أى على من رأى اليسار جاء اليه وهو فى الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج أو وهو يحرث مثلا لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) أى يأكل بحرقة وعجلة من غير تأنى فى المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفى المثل * صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى أكلتك * (مسألة هبالية) وهى ان الناظم نسب المجيء لليسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فما الحكم (الجواب القشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف أى جاء به رجل حامله حتى اوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا أى جاء بها الملاح وكما تقول جاءنى متردلبن وطاجن مش اوصحن عدس او كشك مثلا فعلى هذا الاشكال فى كلام الناظم وقوله (ولو كان) أى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو الناظم بمرض (القلنج ضعيف) وأصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فتكب الانسان عند هيجانها وتمنعه الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقات الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجها اكل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقات البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك وعلاجه ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس اجزاء متساوية وقدر الجميع سكرا ابيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شيء يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتليا بمرض القولنج ولو كان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه أذية بالغة (فان قيل) لاى شيء ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من اهل الريف وما اشتقاقه اسمه (الجواب القشروى) انه انما ذكر هذا المرض لكونه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشيء واليسار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فتمتلئ البطن ارياحا ويكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر أو يموت فى الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من القوق أو القويقة وهى طائر قدر الحمامة

كبير الرأس ويقال لها البومة تأوى المكان الخرب وفى المثل (اسمع البوم يؤذيك الخرابه) وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أيا بومة قد عششت فوق هامتى * على الرأس منى حين طار غرابها
رأيت ذهاب العمر منى فزرتنى * ومأواك من كل الديار خرابها

(وبذكر البومة) التى تأوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكى الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد أن يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى أن مرا على أماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما أحسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك أتدرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والتقرب اليك فى الحلال فقالت له لا تقدر على صداقى ولو اشغفك حبى واشتياقى فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها ابشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه فى غفلة عن الرعيه * وانهم فى ظلم وبليه * وانه نصحه وأرشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل فى الرعيه وأزال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته * وارتاح الناس من تغيير حالته (ثم ان الناظم) اشتاق الى مأكول آخر يصنع فى الريف وغيره (فقال)

ص على من قشع جفنة بليله ملانه * ولو كانت بلا قلقاس يا ذديف

ش قوله (على من قشع) أى نظر بلغة الريافة يقال قشعتك أى رأيتك وقشعت المحل الفلانى أى رأيته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب أى مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) ان شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج فى بستان ويأكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفنك قشعتك روح فخرج هاربا وظن أن صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما أعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهه ولا تختش من احد هذا طائر يدعى بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وانا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا فى غيط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازل وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة

السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي (ومن العجائب) انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على رأس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (جفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المسلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع أيضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف وأما البليلة المذكورة فى النظم فان أهل الريف يصنعونها طعاما وهو انهم يضعوا القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى أن يستوى فيأخذونه ويأكلونه بخبز الادرا والشعير ويأكلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال سلقها اولرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخى الاكمام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلت بركته وبليلة على وزن هبيلة أو عويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة التى هى الجفنة (بلا قلقاس) أى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من مأكولات فصل الشتاء وهو الذ ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا أكل باللحم الضأن واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه وأجوده الرؤس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه أصابع الادمى لان ذلك كله سريع الاستواء واردأه الاحمر لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا أكل القلقاس مشويا منع ألم الكبد وسكن ضربات البواسير وأكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة) اربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمى قلقاسا لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس أى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين ماض وامر قال بعضهم

فان سألوك عن قلبى وما قاسا * فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

(فائدة اخرى) قيل لما ادعى فرعون الالوهية لامره وقالوا له الاله لا يبول ولا يتغوط فاصطنع الموز وصار يأكله فصار لا يتغوط الا نادرا وما ذاك الا أنه اخذ القلقاس وهو صغير من ارضه فصار يفلق القلقاسة ويملؤها سكرا ويعيدها فى الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى اوراقه قريبة الشبه من ورق القلقاس فى العرض الا أنه طويل الشكل عنه هكذا فى بعض كتب الحكمة

وقوله

وقوله (يادنديف) اصله يادندوف على وزن يابعبوص قلبت الواو ياء لضرورة النظم والدندوف هو الذى يدندف من غير فائدة يقال فلان يدندف أى فلا فائدة فى ذهابه وايابه ولا بركة فى سعيه وكسبه اوأنه علم على شخص من اهل قرية الناظم كما هو معدود من اسمائهم وهو مشتق من الدندفة اومن احد الدنف اومن ندف القطن (ثم ان الناظم) تشوق الى قصعة ملانة من اى طعام كان (فقال)

ش على من جتو قصعه وهو بحرث * ويقعد يجرف المنك تجريف

ص قوله (على من جتو) اصله جاءته (قصعه) اى جاءبها واحد من الناس لا هى بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره واما الذى على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره اى يحنى ويأكل فيكون من باب تسمية الشئ باسم صفة الآكل منه اومن قصع القمل والبراغيث وقوله (وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم او جريا على لغة الريف وقوله (بحرث) على وزن يضرط فيهما يقين اى فى وقت الحرث من اى طعام كان من عدس او بيسار اوغير ذلك (ويقعد) قعدة جيعان تعبان مما قاسا من مشقة الحرث وغيره (ويجرف) على وزن يخرف اويغرف اى يكون كفه حكم المحرفة التى يجرف الشئ (المنك) من الحنيك على وزن الحكيك والتدكيك ويطلق على الفك الاعلا والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه أيضا يقال فتح فمه اوفتح فاه (قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى)

فى يحدث عن سرى فانطلقت * سرائر القلب الامن حديث فى

وقوله (تجريف) اصلها بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروى أى يجرف المنك الذى هو فمه تجريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفى ويشبع الشبع المفرط لما ناله من ألم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضى مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره (ثم ان الناظم) اشتهى ماكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من ماكول اهل الريف (فقال)

ص على من دعس بالعزم فى المش بالبصل * ولو كان بالكرات كان ضريف

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) أى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد أى قوة زائدة (فى المش) أى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب ماكول اهل الريف فى الغداء وربما أكلوه فى العشاء أيضا فاتى الشخص منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر أو الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط أو يحرث أويدرس والا كابر منهم تضع عليه شيئا يسيرا

من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل) المخروط فانه ألذمن أكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابو شويشه فيكون أقوى فى جمع الارياح خصوصا اذا كان فى دورة ضيقة فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها (والمش) على اقسام مش حصير وتقدم معناه * ومش بخيره وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير * ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره ويقال مش جبن النورة * والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى الخيل والحمير يقال (جالك المشش) أى أبلاك الله به * والاول الذى هو المش الحصير ينفع من الجرب شربا * والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة * والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لاغير * اوانه مشتق من المشى لانه اذا اصب على الارض صار يمشى عليها أى يسيح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا أنه يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد أرياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان ويفسد العقل (وأما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل والملح اذا اكل به (ولو كان بالكرات كان ضريف) اى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا أنه مثل البصل فى ظلمة البصر وتولد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج واكل البصل والثوم والكرات نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته (فائدة) رأيت فى بعض الكتب ان جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكرات (واما بصل) العنصل فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا أن الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها على باب جحره فاذا رآها الذئب اوشمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من ألهمه هذه الحكمة وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظارانه بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى ارياحا فانه اعظم شهوة والذ اكلا فلا باس به اذا حضر فيكون هو المراد (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ من الالبان يشربه (فقال)

ص على من شرب مترد ملان مطنبر * من اللبن الحامض يرف رفيف

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا لا ما وضعه الانسان فى فمه وأخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة

بل

بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر أصفر من الشالية وهو غالب أوانى الريافة خصوصا فى اعراسهم وأصله مركب من فعلين مات وردّ لانه لما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدله فقالوا ارد بعد ما مات ثم حذفوا الالف وجعلوها علما وقالوا مترد وهو على وزن مقعد لا مسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او أنه عمل بمدينة تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملان) اى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقنع برؤيته فتمنى أن يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على وزن مخرنبر او مطرطر يقال كس مخرنبر وزب مطرطر اى عالى عن حوافيه لشدة حموضته ومنه يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات واطنبر اى انتفخ كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا أى تموت وتنتفخ ويقال للشد الحجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما جعلوا اللبن الحامض عن حوافى المترد وهو مشتق من الطنبرة وهى التحليك للاولاد الصغار (قال الشاعر)

اذا كنت آلاتى وطبعك رقى * طنبر برقه واعتبر بالمشنوق

(واصل) هذا الكلام ان شخصا من الفساق اخذ ولدا واراد أن يحك له فزلق العيار فدكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع او أنه من الطنبورة على وزن العصفورة (قال الشاعر)

ليا عصفورة البستان كم ذا تنبشى * بايدلنور جليك ما فى الارض شئ

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب خلافا لجل هذا قال أشتهيه ولو كان حامضا لان غيره بعيد على وخصوصا اذا كان فى شدة الحرفان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب وأما اذا خرج عن الحد فى الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن حد الحموضة بدليل قوله الآتى يرف رفيف وأجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) اى صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكى رف الجناح ويرف على وزن يسف أو يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق فى نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت أو من الرفرافة التى يعملونها قبل رمضان أو اواخر شعبان من الدجاج أو من الاوز وغير ذلك (ثم ان الناظم تمنى شيأ آخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح أو من البحائر المالحة ونحوها (فقال)

ص على من جتو أم انطول لدارو * ويعزم على أهل البلد ويضيف

ش قوله (على من جتو) أى جاءته بواسطة وخضرت اليه (ام الخلول) وهى حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح أو جوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المنى أو المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر أو القوقع ويضعون عليه الملح والخل او الليمون ويأكلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع أكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتاباه وتعافه الانفس وأما طبائع أهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن أن يأكل منه ولا يراه لان رؤيته ترث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) اى دار الناظم بمعنى انه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها فى داره أتى بها على سبيل الهدية أو الصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذى يشبه عف الكلاب ويضيفهم فى داره أى يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان أى عزم فى نيته وجزم فى يقينه أنه يأخذه ويكرمه أو عزمه بمعنى اذن له أن يأتى الى داره ويكرمه بطعام أو غير (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية اولا على ان هذا الشخص لابد من حضوره وانه ينضاف اليه أى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه أو المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدره ضاف يضيف ضيافة أو ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة (قال الشاعر)

كأنى تنوين وأنت اضافة * فحين ترانى لا تحل مكانيا

فانجبه المعنى القشرى عن البحث الهبالى (ثم ان الناظم انتقل) من تمنيه الى شئ آخر يقرب فى الخباثة من ام الخلول (فقال)

ص انا ان شفت عندى يوم طاجن مشكشك * فهذا اليوم البسط والتصقيف

ش قوله أنا (يعنى) أبو شادوف لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى أو من الشياقة بمعنى رأيت (عندى يوم) فى المنزل أو فى المحل الذى أنا فيه أو الغيط أو الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن وهو مشتق من التطجين أو من الطجانة أو من وطى الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا أى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل

ومفعول والفاعل محذوف تقديره أنت أى طأ أنت جنا ومثله طافية أى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ماتقدم كقول بعضهم فى اسم جاد خذ فارغ واملاه ماء ومن النظم قولى فى اسم شحاته

سلب الناس دلالا * وألف من بعد شح
قلت بدرى ته كمالا * ثم معناك يشرح

ولم أر فى المعميات ارق من قول بعضهم فى اسم أحمد

وراكعة فى ظل بان تعلقت * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ يأكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيأ يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى ويأكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم كأنه خاروف شوى ولهذا قال (فهدالك) بالدال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى موالبا

لك وردتين على الخدين ياهادالك
واللى بلانى بعشقك آه لو أبلالك
وحق من سبحت لو فى السما الاملالك
لومات لى كل يوم أخين ما أسلالك

وقوله (يوم) اى فهذا اليوم الذى يأتينى فيه هذا الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض أى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنا وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور أهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى (قال الشاعر)

ان من اطيب اوقاتى * حين اكون مبسوطا بذاتى

(والتقصيف) عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصف بتشديد الصاد المهملة أى مسرور وفرح ماش مشية الخيلاء متحزم بسير وسكين راخى أطراف البردة تجرعلى الارض أوانه لبس اليوم قميصا جديدا اوارخى فوقه البردة وهو اليوم قصف الكفر بمعنى ان ماهناك أحد فى الكفر اشلب منه ولا اعيق اوانه مشتق من قصف العود وهو كسره أو من قولهم (قصفه تجيلك) أوفلان جنو قصفه مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب الفشروى) أن يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغير الحركات وقالوا امشكشك أوانه مأخوذ

من شكشكت المرأة له بعود او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله أو من قولهم شكشكه بالابرة أو انه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه اولا لما طبخه شمه فقال ماشم هذا فقال بعضهم شم كشكا أى شم طعاما رائحته فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتحه المقال عن هذا الهبال (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ آخر من الخضروات يطبخ ويؤكل عند أوانه وهو اطيب مأكول أهل الريف (فقال)

ص متى انضر الخبيز فى الدار عندنا * واندف منها بالنعويش نديف

ش قوله (متى) أى أجز هوانوى انى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى أى انظر بعينى لا باذنى ولا بفمى لان النظر خاص بالعين قال الشاعر

عينى نظرت وآتى من عينى * ما يقتلنى الا سواد العين

(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وتجمع الخبيز على خبوز وخبابز وخبازين وخبازات وهكذا من هذه الجموع القشروية وثانيه خبيزة وهى المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سيأتى فى قوله واندف منها وهى مشتقة من الخبز لان ورقها فى التدوير يشبه اقراص الخبز وهى تنبت فى اطراف الزرع من كثرة الامطار وفى الاراضى المنخفضة وغيرها واجودها ما كان ساقه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع أو النابت بالبزر وأردأها القصيرة الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع وتنبت فى المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخية اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان أهل الريف ياخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضرا ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويأكلونها وهى غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيأ ماعدا البصل والشيرج وشئ يسير من الكزبرة كما تقدم فهى غالب ما كولهم فى زمن الشتاء كما تقدم وأهل بلاد البحر يطبخونها بالاوز والدجاج وغيره واهل المدن يطبخونها باللحم الضان والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم وأما فعل اهل الريافة لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك أهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشيرج لا غيره وعلى كل حال فهى ارق من طعام الريافة المتقدم ذكره وألذ ما كولها فى بلاد المدن لانهم يكلفونها فيصير لها فى المأكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا

فى الطعام كله (كف تجد) (قيل) لما نزل السلطان قايتباى بدمياط واجتمع بالعينى الذى بنا العينية وهى مسجد على سمة مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعهما بين يديه فأكل السلطان منهما فلم ير طول عمره ألذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندى فقال له هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فأهداها له فلما أتى بها الى مصر أمرها أن تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما لذة مثل اللتين أكلهما فى دمياط فعاتبها الملك فقالت له ياسيدى الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان مائهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاهما بجرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (فى الدار عندنا) أى فى دار الناظم لاغيره لانه هو الذى تمناه ولهذا قال عندنا أى فى محلنا لا محل غيرنا لاجل أن تاكل منه العيال ويسروا بوجوده وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن وأما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس وربما يكون فيها الوحل والجلة أيضا ولان الشخص يدور ويرجع اليها اوانها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الريافة بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولدا آخر يجعل ظهره فى ظهره وتدور الاولاد حولهما يضربونهما فاذا مسك واحد منهما ولدا أجلسه مكانه فيتعلمون من ذلك خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله (واندف منها) أى من الخبز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا أخذه بالقوس وحشاه فى الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف مردين من العدس أو من البيسار أى أكلهما بسرعة أوانه مشتق من أحد الندف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به قيام المعيشة لما قال (الشاعر)

لاتركنن الى الثياب الفاخره * واذكر عظامك حين تمسى ناخره
واذا رأيت زخارف الدنيا فقل * لهم ان العيش عيش الآخره

ولذلك قال الامام الشافعى رضى الله عنه فيما حكاه الذهبى فى ميزانه والدميرى فى حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لانرى ممن نرى أحدا
ان الكلاب لتهدى فى مرابضها * والناس ليس بهادشرهم أبدا
فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ماعشت منفردا

وقال آخر

يكفى الذين تقدموا شرفا على * من بعدهم يمشى على الغبراء

انى لأحيى اذا مرّ بذكرهم * وأموت من تطرى الى الاحياء

اوانه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش * وأما تسميته خبزا فهو من الخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبزا ضلاعه أى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كان الخبز آيل للتكسير مثلا اويكون خبزا ضلاعه يعنى فكهامن بعضها البعض وقوله (نديف) على وزن نتيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنسات أو كان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن (قال الشاعر)

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلى كغلى الدود فى العفن

وا كبدواتها ماذكره الشعرانى نفعنا الله به أن يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى وأصله ندفا فصغر لاجل الروى أى أندف من الخبيز ندفا كثيرا حتى اشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم أو بقية الليلة ثم انتقل من الخبيزة الى الباقلة الخضرا (فقال)

ص متى انضر الفول المشيوى بفرنتا * ولفو بقشرو والعروق لفيف

ش قوله (متى انضر) يعنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا أتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب أن يكون هذا الفول (المشيوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى أو خريوى وخريوى فيها يبقين التصغير والوزن (بفرنتا) لا بفرن غيرنا (ولفو) أصله وألفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش فى المأكول ولهذا قال (بقشرو) أى اكله من غير نزع قشره من فرحتى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر أى والف عروقه أيضا (لفيف) أى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمة حتى اكتفى منه ولا أنظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا أفعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه ويأكل فانا لشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة ألفه بجميع ماعليه (فائدة) الفول الاخضر قيل شبه بارد رطب وقيل بارد يابس وبدله الاكل بالملح والصعتر ونفع أكله حارا اومشويا بنزعه من قشوره جميعها وأكله بالسكر وفى بعض كتب الطب من أكل الباقلا اربعين يوما وأصابه مرض الجزام فلا يلومن الا نفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحبل ثم انه اشتهى شيأ ما يخبز وتمنى حصوله (فقال)

ص متى أنضر ان طحن الطحين وجبتو * وبطط لى منو فطير رهيف

ش قوله (متى انضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذى وضعته

فى الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجبتو) اى جبتو بعد أن أعطيت الطحان اجرته الى منزلى (وبطط) على وزن وضرط وربط فيها يقين المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير برى فى الدور يشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيرة جدا اومن البطابطة اومن البطة التى يوضع فيها السمن وغيره اوهو من الهلفطة لا كلام (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفه اوعلم عليه (قلنا الجواب القشروى) انه كان أولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة اخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذى قام به ونقله من حال الى حال فكان أولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفى اسمه وصار ميتا وطحنته الارض ومضى أمره الى أن يبعث فانتبه الجواب عن هذه الابحاث القشروية وفى بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذى طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون فى الدار او الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا ببلاد الكفور والقرى الصغيرة ولاشك أن الناظم منهم كما تقدم فى ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبتو وبطط أى عجن بالماء أوشئ من اللبن ونأخذ القطعة العجين وأضعها على خرقة اوردة النخال اوقرص جلة مثلا وأخبطها بالكف حتى ترق ونأخذ غيرها فيحصل لى (منو) اى من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به اومن الفطرة أومن عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير أى طرى رقيق وفى كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر أكله فيفهم من الكلام انه لما بطط الفطير خبزه فى الفرن اوفى الجورة التى يصنعونها فى الزريبة ويحطون عليها الزبل وفى بعض الاحيان الجلة أيضا وناكل منه حتى اكتفى (ثم ان الناظم) اشتهى ماكولا آخر (فقال)

ص أياما طيب الجلبان والعدس اذا استوى * وشرش بصل حو لو وميت رغيف

ش قوله (اياما طيب) فى الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجديان أو الخرفان مشتق من جلبة النبوت أو أن الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلبه أومن جلبة العبيد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه أهل الريف وياكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وناكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما أطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد

يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب (وفى زهر الكمام) ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله اليه * أن مرهم يا كلوا العدس فانه يرق قلوبهم * (وفى الحديث) عليكم بالعدس فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا * والاكثار من اكله يخاف منه الضرر * وفى القاموس الاكثار منه يرث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية (وقال) بعض الاطبا يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو اخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته واهل الريف يضعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى حماة الفرن اوفى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمفراك ويقلون له بما تيسر من الشيرج اوالزيت الحار والبصل مثل البيسار (واما اهل المدن) فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن الالية والسمن الخالص والحرارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضانى ولهذا يأتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو ألذ وأطيب * وبلاد البحر يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما أكلوه بالسعل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها أيضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها أشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء فى اسمها وفى وصفين منها فقال * بسلة باردة يابسة * ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال * تعشى تفسى تنسى * فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تفسى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الفساء ايضا فهو لفظ مشترك بين الفسا وشرش البصل ولهذا يقال فى (لحيتك شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حولو) اى حول العدس بعد وضعه مغروفا فى المترد او الشالية ويكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطم منها مثل الخيارة واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل فى الاكل وقوله (وميت رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل ما يشفى غليله من الاكل او ربما يعزم على احد بالاكل مثلا او يأتيه احد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهى الحزمة التى تملأ الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه احد

ثم ان الناظم استطرد شيا آخر واشتهى حصوله (فقال)

ص يا محسن الخبز المقمر على الندى * وفوقو من السرسوب حلب نضيف

ش قوله (يا) ناس ما (احسن) اى ما اظرف والطف والذ ما كول (الخبز) النظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور وعند نزول الندا وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمى بذلك لانه يندى الارض اى يبلها بللا خفيفا وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عمية ويشبه بالسخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ما عنده ندى مثلا والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيد ولى مكة المشرفة رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهدام * لقد عشتما دهرا وقد متما احيانا

فقال نعم متنا زمانا وعندما * أتى زيد والى كعبة الله احيانا

(قال بعضهم) واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول ان المجربين ذكروا ان هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة او غيرها ووضعت فى الحمام متى أحست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا ايضا أن النداليس بماء ثلج ولا برد ولا مطر والله تعالى أعلم (قال صاحب) كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى (وكان من جملة محاظى الرشيد) جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بأن قال لها والله لم تذكرى هذا الخادم قط فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر فلما تحقق منها ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى فالفطور فى هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة * وفى كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن * ورأيت فى بعض كتب الطب ان المعدة يعلوها شئ يشبه الشعر فاذا فطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسى فحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر أنفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقو) اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه فى الاناء (من السرسوب) على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شئ يسير من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارا يأخذونه ويضعونه فى طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيا من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا ارادوا السرسوب يضعون اللبن فى الدست

ويصبون عليه من هذا اللبن الذى يسمونه المسمار ويفوّرونه على النار فيقال له المفور ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضا فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء) (واجودها) ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا اخلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللباء لباء لانه مشتق من اللب او من اللبوة او من قولهم (لبك واحد بفرقله) مثلا او من لب الجدى الصغير أمه اذا اراد شربها (قال الشاعر)

فانت كالجندى لما ان يأب وكما البحر والمطوق اسرا عالى اللبن

قوله (حلب) أى قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلاب او المحلبة او انه مشتق من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز ما يعمه من لبن السرسوب المحلوب حلبا (نضيف) أصله نظيفا فذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اى ليس فيه شئ يدنسه من أثر جله او غبار يلحقه ونحو ذلك كما انهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جله وغيرها من انواع النجاسات بل ربما الطخوا درة البقرة او الجاموسة بجله فتحلب اللبن سريعا فطلب الناظم أن يكون هذا السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم بين كيفية الاكل منه (فقال)

واقعد على ركبه ونص وشمر * عن الكف بايدى ما أخاف مخيف

قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونص) وهى قعدة القوى الشديد الذى يريد دائما الاكل الكثير او الذى عنده شره فى الطعام مثلا واما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمتد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا (كما اتفق) ان شخصا قال لاخر وهما فى وليمة يا كلان يا فلان أقدم لك هذا الصحن فقال * أنا ايدى تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض فى مكة كام الكورجة * فخجل وقام من غير اكل وللاكل آداب مذكورة فى بعض الكتب وقوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اى كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره اى أراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب (قال الشاعر)

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يهولك أهوالى وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسى وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذى تصنعه اولاد

الارياف من الصوف ويضعونه فيا كانهم يرفعون بها كامهم وله هذاب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب أولاد الطبالة يجعلونه حكم اعقصة النساء ويجعلون له عقدا صغارا في رؤس الهداديب ويزينوه بها وقوله (بايدى) اصلها بيدى لا بيد غيرى فلا احتاج الى احد غيرى يشمر لى بل أنا ناتعاطى تشميره بنفسى لاجل خلو يدى عن شئ يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على ان كمه كان طويلا حتى احتاج لتشميره اوأن مراده بالتشمير رفع يده وخفضها فى حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اى وآكل من هذا السرسوب ما أخاف من احد يأتينى او يمنعنى عنه (مخيف) اصله مخيفا اى مخوفا يمنعنى عن شهوتى بل لا ابالى اذا حصل لى وظفرت به من احد ابدا ولا يعترينى خوف ولا فزع حتى اكتفى واشبع منه الشبع المفرط ولا أخشى من تهمة ولا غيرها ثم انه اشتاق مأكولا آخر من الذمأكول أهل الريف (فقال)

ص على من قشع روحو حدا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من تقيل وخفيف

ش قوله (على من قشع روحو) اى على من نظر روحه أى ذاته لا ذات غيره (حدا الرز باللبن) أى حذاء بالذال المعجمة أى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد العراق لكثرته عندهم وكثرة الارز أيضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما ألذه وأطيبه اذا وضع عليه السمن البقرى فى وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا أنه بالسمن أطيب وأشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل أرزه كان اجود واردأه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله أهل الارياف فانهم يجعلونه تخينا جدا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس وأما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيرا من الارز حكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلو الذيذا وهذا النوع اجود طعامه واطيبه وطبيخ اللبن على كل حال أطيب من العدس والبيسار وما شابههما (قال الشاعر)

طبيخ اللبن أحسن من الى بكزبره * والعدس والبيسار يجيبوا الحوادر

(واما النوع الذى تمناه الناظم) فهو الذى تقدم ذكره وهو التخين الذى يشبه الطين فى يبسه لانه المشهور عنده وفى بلاده وأما بلاد الحرف فعلونه حالة وسطى لا تخين ولا مائع الا أنهم فى الغالب يضعون عليه شيأ من الماء وأما الناظم فلا يعرف الا الذى فى بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس أى يقطع بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء

فى جوفها والقطع هو فصل الشئ من الشئ وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة بمعنى انه هجره او بعد عنه وقوله (من تقبل) أى من قطع وافية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملأ الكف وتدمع العين من كبرها (كما ذكرت ذلك فى خطبة) كنت القيتها سابقا فى المأكولات وهى هذه (الحمد لله) مستحق الحمد على التحقيق * الذى وفق بين الفرج والضيق * وامر بالحج الى بيته العتيق * وجعل السمن البقرى للعسل النحل رفيق * احمده حمد من عنده من الجوع دسيسه * واغاثه الله بقصعة من البسيسه * بالقطر الرقيق * فملأ منها بطنه * وأحسن بالله ظنه * ونام على راحة من الله وتوفيق * واشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش العتيق * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من الضيق * وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أهل الكشف والتحقيق * وسلم تسليما كثيرا * أيها الناس مالى أراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون * وعن الارز المفلفل باللحم الضانى تاركون * وعن البقلاوة فى الصوانى معرضون * وعن الاوز السمين والدجاج المحمر لاهون * فما هذا يا اخوانى الاحال المفلسون * وافعال الفقراء المقلون فجدوا وارحمكم الله فى تحصيل الدراهم لتغتنموا المآكل النفيسه * والمطاعم اللذيذه * وقد قال الامام على رضى الله عنه لذة الدنيا ثلاث * أكل اللحم وركوب اللحم * وادخال اللحم فى اللحم * فمن أنعم الله عليه فليشكر * ومن أحرمه فليصبر * وعليكم بالارز باللبن * فانه طعام جيد حسن * وصباحه أبرك الصباح خصوصا عند الفلاح * اذا جاء وحلب بقرته * وأتت زوجته بالدست وعلقته * وصبت فيه اللبن وقادت عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته * وفى الصحون غرفته * فجاء الشيخ الكبير وقعد وثنى ركبته * فعند ذلك يا اخوانى * صفت الاوانى * ولاذ كل انسان بانسان * فلا ترى الا ايادى تقطع * وأحنكة تبلع * وزراديم تفرقع * وحلق يتقلقع * والعين من كبر اللقمة تدمع * والبطن لا تشبع * بل تزيد اقتعالا * وهى تقول جل ربنا وتعالى * فاذا سبقك أخوك بلقمه * فبادر الى جدع رقبته بلكمه * واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظه * ودعوا أكل المغلظه * كالعدس والبيسار * والمدمس والفول الحار * والبسلة والكشك بالفول * وجبن النور المعمول * فانهما تورث الارياح * وليس فى أكلهما صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره * كاللحم الضانى فانه سيد طعام الدنيا والآخره * وعليكم بالشراب البارد * ففيه حديث وارد * واحمدوا الله أيها الاغنياء المتنعمون * واصبروا أيها الفقراء المقلون * نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخره * ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والآخره * وأن يجعلنا

واياكم

وإياكم من الآكلين المتنعمين * ويجنبنا وإياكم من موارد الجيعانين المقلين * وأن يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين * آمين * فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين (روى) عن سهاب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الافراح انه قال * كان رجل من العرب قام من منامه ولاذ أحلامه وأكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فأكل أربعين دجاجة محشية باللحم الضانى محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر ونام فى الشمس فمات وليّ الله شبعان سكران ريان (الحمد لله) مزيل الحزن ومزين الارز باللبن * وأشهد أن اللحم الضانى سيد الاطعمة ومصلح للبدن * واعلموا أن القشطة لا تترك * وأن المهلبية أحسن وأبرك * فتهيأوا لاكلكم وشربكم واعلموا أنكم غدا بين يدى الله موقوفون * وبأعمالكم محاسبون * وعلى رب العزة تعرضون * وسيعلم الذين جاعوا أى منقلب ينقلبون * اللهم وارض عن الاربعة الاعيان * الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن * التين والزيتون والخوخ والرمان * وارض اللهم عن الستة الباقين من العشره * الاطعمة المفتخره * الماوردية والمهلبيه * والشعرية بالزغالـيل المربيه * والارز المدافيل باللحم الضانى المحشى المحمر * والكنافة المتبلة بالسمن والعسل النحل والموز والسكر * والقطايف الغارقة بالسمن والعسل * والقرع المحشى باللحم والبصل * والبقلاوة الموصوفه * وخرفان القمة المعلوفه * والبخنى السمين * والقرمزية متعنا الله وإياكم بهم أجمعين * اللهم وأدم النصر والتأييد والثبات * واجمع الشمل بعد الشتات * ببقاء السلطان السكر النبات * ابن الفنانى * من أصله من القصب الملوانى * اللهم وأيده بأرماح القصب * وبسبايط الرطب * وبعناقيد العنب * واجمعنا عليه من أول النهار وفى وسطه وآخره * وانصره وانصر عساكره * فى الدنيا تنتفع به يارب العالمين * اللهم وأهلك الثلاثة الفجار * العدس والبسلة واليسار * عباد الله من أراد خلع القبول أن تفاض عليه * فليأكل الموز بالسكر بين يديه * وتفكهوا قبل الطعام * واقتدوا بسنة خير الانام * ولا تتضاربوا ولا تتخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا * ان الله يأمركم بأكل الحلال مما تشتهى العقول * وينهاكم عن أكل الحرام ولو من أطيب المأكول * والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون * او تتدحلبون وقوله (وبخفيف) أى ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول من قال

كلوا أكلة من عاش عاش بخيره * ومن مات يلقى الله وهو بطين

(فينبغى للانسان) أن يجعل البطن ثلاثة أثلاث * ثلث للاكل * وثلث للشرب * وثلث للنفس * فلا يفرط فى الاكل ولا يفرط فى الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما أحسن ما جمعه بعضهم فى قوله

أرطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
فى بابة أقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
ميزبع قلت تلقى الموز فى خجل * مصفر الوجه لما جاءها نور
سل من كيهك عن الاسماك هل صلحت * تنبيك عن حوتها بالشحم ميزور
هل ماء طوبة لم أروت لو اتحفه * مثل الزلال فلا تحتاج تاخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى فى الرعى امشير
فى برمهات ترى الالبان نافعة * سمن الكادر فى ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد أن النحل جانبه * والشهد يقضى وما فى امره زور
مشمس بأونة لم يلق الهوى أبدا * مسكين ذاك قليل الجهد معذور
وأصبح التين فوق الغصن ناعبه * كأنه فى أبيب جاء مشهور
عنقود مسرى نم فاغنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور
هذى مطائب مافيها مراتبة * والنكل فى هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد تناساه (فقال)

ص   على من ملا خفو جبينه طريه * وراح ورا الجاموس يرعى النيف

ش قوله (على من ملا خفو) القحف شئ طويل يعمل من الصوف أو الشعر يلبس على الرأس وليس له زى ولا هندام تستعمله الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسون شيأ يقال له الطرطور ويلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من أعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذلك فى سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على أصناف شئ يشبه القحف وشئ يشبه البرانيط والذين يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وأنس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخفا يا فلان خفوة اللبد ومن هذا قيل فى تركها كلام كثير مثل قولهم (يالبده مالك فى السوق يالبده قلة خازوق) (وسمى) خفا لقحافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيئ الخلق فيقال هذا خف أى سيئ الطبائع (قال الشاعر فى هذا المعنى)

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
فهل رأيتم فى الورى * خفا رقيق الحاشيه

(وهو مشتق) من قحف الحوت أوان الرجل الذى صنعه اولا كان من قحافة قرية معروفة موقوفة على سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به دنيا واخرى وقوله (جبينه) تصغير

جبينه على وزن أبنه وهي واحدة الجبن (طريه) أي عملت في وقتها أي وقت نزولها من على الملضير التي يعملون فيها الجبن فاشتهى أن الله تعالى يمن عليه بملا قحفه جبنا طريا ولو كان هدية أو صدقة تصدق به عليه أحد أو سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى * الرزق ما ينفع لو محرما الخ (وقال) أبو نواس رحمه الله تعالى

يقول لى العذول وليس يدرى * دع المال الحرام وكن قنوعا
اذا أنا لم أجـــد مالا حلالا * ولم آكل حراما مت جوعا

(فان قيل) لاى شئ تمنى الناظم ملا قحفه من الجبن مع أن القحف لا يعد لشيل الجبن فنه خصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه في قحفه يحصل له ضرر من وجهين الاول أن يصير لقحفه التقذير من جهة الجبن والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه (قلنا الجواب القشروى) من وجوه اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع في قحفه لملاه لكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة أو الشهر لكونه مفتقر الذلك ومحتاجا اليه بخلاف ما اذا أتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم بأولاده أو أن الكلام على حقيقته لان أهل الريف اذا أعطاهم أحد شيأ من مأكول أو غيره يأخذونه في أطراف بردهم وأرديتهم وفي أكمامهم وعلى شدودهم التي على رؤسهم وكانوا في الزمن السابق يضعون الشئ في قحوفهم فانهم في الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شئ يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا أخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف أو صحن مثلا يضعه في قحفه وأما تلويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان قحفه كان يساوى نصفا أو نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرو العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فيتنزل الكلام على حقيقته فانضح الاشكال عن هذا الهبال وقوله و(راح) أي وسار وهو مشتق من الروحاء مكان بارض الحجاز أو من الراحة أو من الريح أو من أبي رياح الذى يصنع على غابة طويلة وهو أربع ورقات ملصوقات على أربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور في بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) أي خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد أسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض أي يشقها وواحدته بقرة وأهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له * أنت بقرة مثلا * يعني يا كثير الخنات (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع انها في حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها فهى في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب القشروى) من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملا للنوعين * الوجه الثانى ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد

الامرد أنت يا جاموسى ربما يفهم منه أنت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى أى وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى * الوجه الثالث أن اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يجمس فى الكلام بمعنى انه يحسس على شئ يلحسه واسم البقر مشتق من بقر الارض أى شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب فى المكس) مثلا لانه يشقه أى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب فى استه مثلا فكان مشبها بالفعل وأما التجميس فهو مشبه بمقدماته والفعل أقوى من الاسم لان التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فانفضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) أى يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعى بنفسه فالرعى راجع للجاموس أى انه يسوق الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى أى يأكل يقال الجاموس أو البقر يرعى فى المحل الفلانى بمعنى أنه يأكل منه وأما قولهم للذى يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه فى الغيط ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه أن يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به * والنيف حشيش ينبت فى الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض وأكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد المدن وهى لحم يشوى فى التنور ويؤكل وله لذة عظيمة أو من النوف التى توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقية أو المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر أنه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير ادم فاشتهى ملء كفه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تمكنت من عقله قالت يا أبا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت لهات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار أتاها باللحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد امسى فقلت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم اصل العصر لان الوقت راح لما اصلى وأجى نأكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما صلى العصر أذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كافواه القرب فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه سخنت له الطاجن فقالت له لاى شئ لم تجئ فاخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فانى سخنته لك فقال

ان بال بدري الطعام اصطبح بو * كما بال بدري من الزرع ناجب

وأبو مريسمع ثم قال لما أعلف البهائم لاجل فطورهم بدري وذهب لعلف البهائم فببركة الصلاة التي صلاها ودأفته على البهائم ألقى الله تعالى في قلب والده ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدري بما جرى له ونادى والدمل زوجته هات له قنطة وقال له كل واسرح فلما أكل وسرح قال لها توجهي الى بيت اهلك بالستر وان جئت لك باحد كائنا من كان سبا قا فلا تقبليه وان قبلت السباق وجئتي فضرلك في محل الطاجن تعملي ذلك وتعقديه ولا تبديه والسلام فانظر يا أخي الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل وواضب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمني شيء آخر من الاطعمة التي يفطلها أهل الريف (فقال)

ص على من قنع لقانة اموملانه * من الهيطليه اللى لها ترصيف

ش قوله (على من قنع) أي نظر نظرا حقيقيا (لقانة امو) أو زوجة ابيه أيضا واللقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية أيضا وهي اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا أراد أن يشرب منها يلقى بلسانه أو بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها أو أن الذي صنعها في الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شيء سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها الاته (ملانه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشيء الذي تمناه فقال (من الهيطليه) وهي طعام يعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة في الأكل وهي أخف من الارز باللبن خصوصا اذا اضيف اليها العسل لان النشا بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء أقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفي كلام بعضهم * لو كان الارز رجلا لكان حليما * لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه أو من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعني التي وهي لغة ريفية (لها ترصيف) أي من جنسها وشدة بياضها ولمعانها أي تضيء ويشتهي أكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف أي تلمع وتضيء وهي مشتقة من الرصافة بنواحي الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهي تمشي فقال صدق ابو العتاهية ولم يذكر

الامرد أنت يا جاموسى ربما يفهم منه أنت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى أى وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى * الوجه الثالث أن اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التجسيس يقال فلان يتجمس فى الظلام بمعنى أنه يحسس على شئ يلتمسه واسم البقر مشتق من بقر الارض أى شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب فى المكس) مثلا لانه يشقه أى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب فى استه مثلا فكان مشبها بالفعل وأما التجمس فهو مشبه بمقدماته والفعل أقوى من الاسم لان التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) أى يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعى بنفسه فالرعى راجع للجاموس أى انه يسوق الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى أى يأكل يقال الجاموس أو البقر يرعى فى المحل الفلانى بمعنى أنه يأكل منه وأما قولهم للذى يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه فى الغيط ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه أن يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به * والنيف حشيش ينبت فى الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض وأكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد المدن وهى لحم يشوى فى التنور ويؤكل وله لذة عظيمة أو من النوف التى توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقية أو المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر أنه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير ادم فاشتهى ملأ تحفه جبنا الاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تملكت من عقله قالت يا أبا ياولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت لهات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار أتاها بلحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد امسى فقلت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم اصل العصر لان الوقت راح لما اصلى وأجى نأكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما صلى العصر أذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كأفواه القرب فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه سخنت له الطاجن فقالت له لاى شئ لم تجئ فاخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فانى سخنته لك فقال

ان

ان بالـبدري الطعام اصطبحو ✲ كما جالـبدرى من الزرع ناجب

وأبو مرسمع ثم قال لما أعلف البهائم لاجل فطورهم بدرى وذهب لعلف البهائم فببركة الصلاة التى صلاها ورأفته على البهائم ألقى الله تعالى فى قلب والده ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم على الارض وداسه برجليه بجاء الولد ونظر ذلك فصعب عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدرى بما خبى له ونادى والده لزوجته هات له قشطة وقال له كل واسرح فلما أكل وسرح قال لها توجهى الى بيت اهلك بالستر وان جئت لك باحد كاتنا من كان سباقا فلا تقبليه وان قبلت السباق وجئتى فضعى لك فى محل الطاجن تعملى ذلك وتعقديه ولا تبديه والسلام فانظر يا أخى الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمنى شئ آخر من الاطعمة التى يفعلها أهل الريف (فقال)

ص على من قشع لقانة امو ملانه ✲ من الهيطليه اللى لها ترصيف

ش قوله (على من قشع) أى نظر نظرا حقيقيا (لقانة امو) أو زوجة ابيه أيضا واللقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية أيضا وهى اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الناليه سميت لقانة لان الشخص اذا أراد أن يشرب منها يلقى بلسانه أو بفمه الماء لانه لا يقدر على حلها أو أن الذى صنعها فى الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء وفضلهم مشهور وينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شئ سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها لامه (ملانه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشئ الذى تمناه فقال (من الهيطليه) وهى طعام يعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة فى المأكل وهى أخف من الارز باللبن خصوصا اذا اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء أقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفى كلام بعضهم ✲ لو كان الارز رجلا لكان حليما ✲ لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه أو من هطل الشباب وهو نطولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعنى التى وهى لغة ريفية (لها ترصيف) أى من جنسها وشدة بياضها ولمعانها أى تضئ ويشتهى أكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف أى تلمع وتضئ وهى مشتقة من الرصافة بنواحى الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهى تمشى فقال صدق ابو العتاهية ولم يذكر

ما قال فهزت رأسها وقالت بل صدأبو العلاء المعرى ولم تذكرهى أيضا ما قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها أخبريني ما أردت وما أراد والا أعلمت بك أمير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

وانما عنيت بقول أبي العلاء المعرّى قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركها وسأل الرجل كما سألها فاجابه بما اجابته به وأفهمته أن الدار قريبة ولكنها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود أيضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية (فقال)

ص واقعد لها بالعزم فى رايق الضحى * واسحب لها مصبوبة ام وطيف

ش قوله (واقعد) أى واجلس من غير استعجال بل أقعد قعدة تمكن من غير خوف ولا فزع ولا أحد يشوّش على (لها) اما ان الضمير راجع للقائة التى فيها الهيطلية ويكون قوله وأقعد لها بمعنى انى آكل منها وهى فيها فيكون أكله من الهيطلية لا نفس اللقانة واما ان كان الضمير راجعا لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها أصوب وقوله (بالعزم) أى بالقوة والشدة أوانه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (فى رايق الضحى) أى وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (واسحب) أى تأخذ أخذا سريعا مرة بعد أخرى لان السحب هو جر الشئ بحبل أو غيره جرا سريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير عدد وقوله (لها مصبوبة أم وطيف) أى من المصبوبة التى تعملها زوجته أم وطيف ووطيف ولدها سمى بهذا اللفظ لكونه كان يضع الجلة أطواقا وقيل كان له دوبرة يحط فيها الجلة طوقا بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة فى صغره وأما اسمه الذى سمى به عند ولادته على ما قيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت امه به فصار يقال لها ام وطيف * وأما المصبوبة فانها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التى لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة وأهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز ويقال للتى تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز لحاصل الفقراء يصنعونها من الدنيبة التى تخرج من الارز عند بياضه مع خلط شئ عليها من دشيش الارز وسميت مصبوبة

لانهم يعملون عجينها ما تعامل عجين الكنافة ويحمون الفرن وياخذون نصف قرعة ناشفة أو جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها فى عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه فى الفرن أقراصا على قدر أرغفة الخبز وعند هارشاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصب على هذا الحال * وأما القطايف فانها تعمل فى بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص المقطف وتصب على صوانى صغار يقال لها الرقع من حديد او من نحاس الا أنها صغيرة مثل القرصة وهى ألذ من هذه الانواع واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد أكلنا منها مرارا وتلذذنا بها ونسأل الله تعالى أن يطعمها الاخوان الفقراء ويعممها كلها لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم بل ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت فى بلده مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل كانت امرأة تصنعها فى قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذى تعمل منه مقطف اى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشئ باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا صحب المصبوبة ورأى الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفى لئلا يفهم احد ان مراده الا النظر وهذا محال (كما قال بعضهم)

النظر بالعين لا يقضى ملامه * غير مص الريق ولثم الخال وشامه
النظر بالعين ما يشفى غليلك * الا ان واصلت فى يشبك خليلك
واجعل القضه لمحبوبك رسيلك * وادخل القبه ترى للشيخ كرامه

الى آخر ما قال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات التى صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم التفت الى مأكول آخر (فقال)

ص الا يا ترى اشحال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف

ش قوله (الايا ترى) يريد أن يستفهم ويختبر ويسأل ويتحقق عن شئ بعيد عنه لم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (اشحال) يعنى ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة وأوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه فى الدست و (غلوه) أصله وغليه ابدلت الياء المثناة من تحت واوا اجراء على اللغة الريفية أى غليه بالنار يعنى هل له لذة فى المأكل وحلاوة فى الطعم ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) أى هذا اللبن الحليب المغلى (بالخبز) تقدم تعريفه فى الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم

ما قلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشيء بالتصغير

فلهذا قال السخين على وزن الطين أي المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كنيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين مشتق من السخونة وهي الحمى لحرارتها وسخونة الجسد اذا اعترته أعاذنا الله منها وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى أنه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق أحدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكأنه يقول لهم أخبروني عن حال اللبن وعن أكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة اللذيذة المأكل ولذذوا سمعي بذكره فلعلي أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا كما قال أبو نواس

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر اي لاجل ما ألتذ بسماع اسمها وتلتذ أذناي بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به

أدر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامي

ليشهد سمعي الى آخر ما قال (ثم انه لما اراد) أن يلتذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز المسخن اراد ان يلتذ سمعه ايضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم (فقال)

ص الا يا ترى أشعال مفروكة اللبن * على زلطها قلبي يرف رفيف

ش قوله (ألا يا ترى) أي يا ترى احد يخبرني خبرا شافيا (أشعال) أي أسأله عن حال (مفروكة اللبن) أي الفطير الذي يفرك باللبن بمعنى أنه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز في الفرن أو الجورة ويفرك أي يكسر بالايدي وهو حار ويوضع في زبدية أو مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعما في البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو أفضل الطعام (وفي الحديث الشريف) فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين (وورد ايضا) أثردوا فان في الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقي اليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) أصله رفيفا لانه مصدر رحذفت ألفه للضرورة اي يخفق خفقانا زائدا يشبه في خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهي حجارة صغيرة ملساء تكون في الرمال وسواحل البحر وسمي زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ أو لان اللقمة تحاكي الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة في رميها

من

من اليد كما يقال (زلطة فى رأسك) مثلا يعنى جاءك ضربة زلطة فى رأسك بسرعة حتى يؤثر ضربها فى رأسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحدفها فى حلقه ويزلطها كما يحدف الرجل الزلطة بشدة وقوة وأيضا الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بانسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لايزال عليه طائر
حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر
اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الآتى ذكره ملانة من الفت أكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص انا ان شفت لقانة ابن عمى مخيمر * ملانه من التفتيت ملو طفيف

ش قوله (انا) يعنى أبو شادوف لا احد غيرى (ان شفت) أى رأيت بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) أخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة وربما بال فيها أيضا أولا تيانه بخميرة العيش لوالدته قيل خبزه أولا كله من العجين المخمر قبل تقريصه أولان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون (ياوجه الخميرة المشققة) وقوله (ملانة) أى اللقانة (من التفتيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكبارا وأحسنها الصغار ويصب عليه العدس أو البيسار حتى ييبس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) أى ملوا كاملا مطففا بمعنى أنه زائد على حوافى الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل أو من طف الماء على الجروف اذا ارتفع عليها أو من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا ومولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه (وملخص قصته رضى الله عنه) قيل ان معاوية لما مات أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فأتت كتب العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه و بينوا له

غدر اهل العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان ولا بد فلا تأخذ اهلك معك فلم يقصد ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل العراق يأخذ بيعتهم فأخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصد العراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يأمره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له ارجع فانى لم ادع لك خلفى خيرا واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع وكان معه اخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره او نقتل (وكان) ابن زياد جهز أربعة آلاف وقيل عشرين ألفا للاقاته فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد ابن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما أيقن أنهم مقاتلوه قام فى اصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (قد ترون) من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتلونت وأدبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الاصبابة الاناء والاخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما فقاتلوه فكان آخر الامر ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من أهل بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبرانى (قال العلامة) سيدى عبد الرؤف المناوى نفعنا الله به فى طبقاته (فان قلت) ينافيه ما ورد عن الطبرانى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال أخبرنى جبريل أن الحسين رضى الله عنه يقتل بعدى بارض الطف وجاءنى جبريل بتربة منها وأعلمنى ان فيها مضجعه (وما ورواه سعد) عن أمير المؤمنين الامام على رضى الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال أخبرنى جبريل أن حسينا يقتل بشاطئ الفرات (قلت) لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهى من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام واستقام على أحسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا) أخذوا رأسه وأتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من أهل بيته الى يزيد ومنهم على بن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا وأوقفهم موقف السبى بباب المسجد وأهانهم وبالغ فى اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه (وقد) أخرج ابو يعلى عن ابى عبيدة مرفوعا لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه

رجل من بنى امية يقال له يزيد (وصح) عن ابراهيم النخعى انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم أدخل الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه به أبو نعيم وغيره استشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة ايام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر فى بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذى فى عسكرهم رمادا ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها نيران وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية أمر برد أهله الى المدينة وأن يطاف برأس الشريف البلاد (وروى) ابن خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ فى سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى أم حسبت أن اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا أعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى (وقال ابن حجر) وورد من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا (واختلفوا) فى رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفى أى موضع استقر فذهبت طائفة الى أنه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة (وذكر آخرون) انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية أنه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم اجمعين (وقد تقدم) أن الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وأما الفرات فبدوه من بلاد قالى قلا من ثغور أرمينية من جبل هناك يدعى ابو زحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى ارض الروم الى أن يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه هناك سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة

(وقد ذكر أن خالد بن الوليد) المخزومي لما أقبل يريد الحيرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه أهل الحيرة فتحصنوا منه في القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بني نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهي الآن خراب لا أنيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى أهل الحيرة وقد تحصنوا منه أمر العساكر أن تنزل بالنجف وأقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدي وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بني نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة أعظم مما ترى فمضى خالد فنزل في عسكره وبعث اليهم ان يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوي أنسابهم يسأله عن أمرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان ابن نفيلة وهو الذي بنى القصر الابيض فأتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال من اين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من صلب أبي قال فمن أين جئت قال من بطن أمي قال فعلام أنت ويحك قال على الارض قال ففيم أنت لا كنت قال في ثيابي قال أتعقل لا عقلت قال اي والله وأعي قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال اللهم اخزه من اهل بلده كلما نريد أن أسأله عن الشيء يجيب عن غيره قال والله ما أجبتك الا عما سألتني قال أعرب أنتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال أحرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم للذي من السنين قال خمسون وثلثمائة سنة ادركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف بمتاع السند والهند وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تاخذ مكيلها فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة وأشجار مثمرة وأنهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله في البلاد والعباد فرجمه خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويوافق أهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم أكن اول من ساق الى أهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم واستريح من الدنيا فانما بقي من عمري الا اليسير فقال له خالد هات فأخذه ووضعه في راحته ثم قال * بسم الله وبالله رب الارض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم استفه فتجللته غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم أفاق كأنما نشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه وأخرجوه عنكم

فصالحوه

فصالحوه على مائة ألف دينار (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلناه من تنقل العسكر وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين بن العماد فى حكايته فى الذيل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وأنه لا يكفيه الا أكله جميعه (فقال)

ص قشرته جميعو ماتركت بقيتو * لغيرى ولا عندى بدا توقيف

ش قوله (قشرته جميعو) القشر فى الاكل وغيره أخذ الشئ جميعه أو اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر وكعبك أقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصى ويقال امرأة قشراء ورجل أقشر يعنى انه قليل البركة قليل الرزق تأتى قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك (وكان) فى قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امرأة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبت سكيكر لكعب الخير كانت فال
لو كعب أقشر قشرها بالعجل فى الحال
لو شاورنى الموت أو شفقوا على الامهال
قلت اقلع بو وخلى كعب فى الخلخال

(ومنه) قصة طويس المذكورة فى الكتب وكلها أسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير أو شر والا فى الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال (ونعق غراب) فقال رجل خيران شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا اهل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله قشرته جميعه أى أكلته جميعه ولا أبقى منه شيأ لغيرى لانى مشتهيه وعندى مجاعة شديدة فنى رأيته لا أبقى منه شيأ وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره فى الطعام وأرخى نفسه عليه وأكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره وأذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل * وأكثر موت الناس بالتخم (قال الشاعر)

اذا شئت أن تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل أكل المرء عاش طويلا

(قيل) اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندى ورومى ومصرى فقال لهم الملك ليصف لى كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندى الدواء الذى لا داء معه أن تفطر كل يوم على شئ من بزر الهندبا وقال الرومى الدواء الذى لا داء معه أن تفطر كل يوم على ثلاثة جرعات من الماء الساخن وقال المصرى الدواء الذى لا داء معه أن لا تأكل الا بعد الجوع وأن تقوم وأنت تشتهى الطعام فانك لا ترى علة الا علة الموت فقالوا

كلهم صدق المصرى (ولما أرسل المقوقس) ملك مصر الى النبى صلى الله عليه وسلم الجار يتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة انصنا التى الآن خراب على شاطئ بحر النيل من اقليم الصعيد وأرسل له البغلة المسماة بدلدل وأرسل له عسلا من بنها قرية من قرى مصر من نواحى القليوبية وأرسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبى فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبى صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لانأكل الا بعد الجوع واذا أكلنا لانشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ المقوقس ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم قال ياله من نبى عظيم جمع الحكمة فى كلمتين (وفى الحديث) جوعوا تصحوا * فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وأرباب الخلوات فان نتيجتهم فى ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البونى فى بعض كتبه أنها لاتصح رياضة من احد وفى قلبه مثقال حبة من شبع وأما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما من شدة الشره على الطعام أو يكون ذلك عادة (فقد رأينا) من أكل الماجور الطعام ولم يشبع (ورأينا) من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع (وكان) بعض الجبابرة يأكل الفصيل مشويا فى غدائه فأكله يوما وأراد أن يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الى وبينى وبينك فصيل (وذكر) سيدى محيى الدين ابن العربى نفعنا الله به فى مواقع النجوم أن ابن عبد الملك كان أكولا مر برجل معه زنبيلى بيض مشوى وتين فأكل مافيهما فمرض ومات بذلك (وكان الوليد) من ملوك بنى امية جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وانشد يقول

تهددنى بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل ياوب مزقنى الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره (وكان المأمون) يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل أكله لان قليلها يغذى الشخص ولهذا انسبت اليه (واما ما اتفق) لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذى يكفى الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة (وقال ابن خلكان) كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامى وكان به عرج (وقال الحافظ) ابن عساكر فى تاريخه ان سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما فى الاكل وقد نقل عنه اشياء غريبة * فمنها أنه اصطبح فى بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة واربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم أكل مع الناس فى السماط العام * ومنها أنه دخل ذات

يوم بستاناله وكان قدأمر قيمه أن يجني ثماره ويستطيب له منها وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل أكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى باناء يقعد فيه الرجل مملوء احمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع ثم سار الى دار الخلافة وأتى السماط فأكل مع الحاضرين كأنه ما أكل شيأ (ومنها) أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات وأتى بمكول عنب فأكله اجمع (ومنها) أنه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن في ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال قال كان ذلك قبل أن يدخل أمير المؤمنين (وقيل) كان سبب موته انه أكل اربعمائة بيضة وخمسمائة تينة واربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة مجمرة وفشت الحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله أعلم (قيل مر رجل) اكول في سفره واجتاز بقرية فأضافه انسان وأجلسه وكانت زوجته في الفرن تخبز العيش فأتاه بجانب من الخبز وذهب يأتي بالادم كلما رجع وجده قد أكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتي له بخبز آخر ورجع فوجده أكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل جميع ما خبزته زوجته وكذا أكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى أين تمضي فقال الى مصر قال ألك حاجة فيها قال نعم قال له وما هي قال وصف لي بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لأي شيء قال أنا رجل قل أكلي وانسدت معدتي ومرادي منه شيء يصفه لي لعلي أقطع في الاكل فقال له الرجل أنا بقالي عليك احسان ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلي ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف اذا اتسعت ثم انه أخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (مانزلت بقيتو لغيري) أي لاحد غيري قريب أو بعيد (ولا عندي بذا توقيف) أي لا أتوقف في الاكل ولا استحي من أحد اذا كان مارا ولا أعزم ولا أطعم غيري منه ولا أنظر فيه ان كان باردا أو حارا أو مضاربا أو من حرام أو من حلال فعلى كل حال لا أنظر لهذا المعنى ولا ألتفت لهذا الامر ولا أطعم غيري ثم ان الناظم تشوق الى مأكول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص أنا خاطري أكلت فسيخ على النده * أضال عليها باكيا وأسيف

ش قوله (أنا) يعني أبو شادوف لا غيري كما تقدم معناه في ابيات غير هذا (خاطري) أي مرادي ودائما يخطر ببالي ذلك الامر وأنا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (أكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البوري

ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد أن يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشده ثم انهم يأخذوه ويبيعوه ويأكله أهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل أو المرأة على يده اليسرى أو في يديه الاثنين ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذي ينهش في الرمة مثلا ويطوفه ويديه القزارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه حتى في الاسواق وأغرب من هذا انه اخبرني من أثق به من اهالي سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولي على البحر يقال له العدوي نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا في بيت الخلاء ومعه فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل في بيت الخلاء فقال له أنت تطردني من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والامر ادلك تأخذ مني الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة في يده وراح الى حال سبيله ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم وشهوة لا يعدلها شيء خصوصا أهالي الكفور وبلاد الملق فانهم لا يرونه الا من النيل يجيء لهم من دمياط ورشيد في المراكب ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد وغيره وهو مشهور ببلاد مصر وأما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه في الهواء الى أن يجمد ويصير يابسا عن الفسيخ وهو مأكول الاكابر وسمي بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالي عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما أضافوا اليه الثوم والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة في بلاد المدن وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه صرصر بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذي في جوفه في اناء ثاني ويضعون عليه الزيت الطيب أو الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال أكله في الشتاء وسمي الفسيخ فسيخا لتفسخه عند الاكل أو أن الذي صنعه اولا خرج منه ريح عند أكله فشمه آخر فقال فسي أخ فركبوا هاتين الكلمتين وجعلوهما علما وقالوا فسيخ (قيل) سمع بعض أهل الريف قارئا يقرأ قوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهي نفسك الخبيثة وقوله (على الندى) أي وقت نزول النداء لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان في اول النهار ربما اعتدل أكله هذا اذا كان في زمن الصيف وأما زمن الشتاء ففي أي وقت كان ويستحب أن يشرب عليه شراب حلو أو يأكل عليه تمر فانه يذهب ضرره وأذاه وقوله (أضال) تقدم معناه (عليها) أي على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسي الخبيثة اليها (باكيا) أي أصبر على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكا السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض

قال

(قال الشاعر)

ولكن بكت قبلى فاورثنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (وأسيف) سكنه لضرورة النظم لان اصله أضال أسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لى فلا أنفك عن الحزن حتى آكل منها وأشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق (قال الشاعر)

وما أسق الاعلى من اوده * ومن لااودوما عليه ملام

(وقول بعضهم)

وماعتبى الاعلى من أوده * ومن لااود ومالى عليه عتاب

(وقال بعضهم)

أعاتب ذا المودة من صديق * اذا مارابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود مابقى العتاب

(ولبعضهم)

وأنت أخى مالم تكن لى حاجة * وان عرضت أيقنت أن لا اخاليا
ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

(وقال آخر)

لما رأيت بنى الزمان ومابهم * خل وفى للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

(وقال آخر)

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل زره واحذر بوائقه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فاسواق المنافق نافقه
فلا تخشى الاالله لارب غيره * بما رفع الدنيا الخز ولا تقه

(وقال آخر)

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(وقال آخر)

أنت ما احتجت الى صـ * ـاحبك الدهر أخوه
واذا احتجت اليـه * سـاعة مجك فوه
لو رأى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

(وقيل) فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب أن الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب

والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبيث الى الى الطيب فقال

ص على من نضر فى فرن دارو طواجن ۞ زغاليل من برج ابن ابو شعنيف

ش وقوله (على من نضير) بالعين (فى فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) أى دار الناظم فالضمير فى داره راجع اليه يعنى لا يكون فى دار غيره ولا تكون الطواجن فى فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر واذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه ملان (زغاليل) وهى أفراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطى لانه يرعى فى الغيطان ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوى الباه اذا أضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها والحمام اسم جنس شامل لكل ماغب وهدر ثم انه بين أن الزغاليل التى اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض فيه قواديس فخار يأتى اليه الحمام البرى ويبات فى تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها أيضا ويسمون خراه عندهم وسمالا يأخذونه لزرع البطيخ والفل يطعمونه به وأمره عندهم مشهور ويأخذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا فى سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغلك وهو نبات أزرق اللون شبهت به الزغاليل لزرقة ريشها أوانه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذى يصنعون به زيب والكير الذى ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح فى هذه الصنعة لكن تراهم دائما فى شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة (وسئل الامام الشافعى) رضى الله تعالى عنه عن الكيميا فقال أعرف من افتقر بها الا من استغنى فكذلك الحمام فى كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما فى خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما أن واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهات بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسألة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع أن اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى أم كيف الحال (قلنا الجواب القشروى) أن المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسى ووجه طبى فالوجه الاول أن الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس واتلافهم مع بعضهم

البعض

البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحوذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لأفراخه وتفريده وتهديره وغيرذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه اللاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتصبيس ونحوه وصعوده بعدذلك الى اعلا البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون أرزاقهم ومعاشهم (كمافى الحديث الشريف) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا فهذا هووجه القياسى القطيسى (والوجه الثانى) أن الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة وأحسن الحمامات ماقدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان فى أفراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كماتقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البرى واما الذى فى البيوت فان المداومة على أكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهبال (وأما اسم الحمام الطائر) فهو مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ماتقدم ومصدره حام يحوم حوما (وأما الحمام المبق) فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله صار كأنه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق أومن العوم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحم فى البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس أومن الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فمالنا من شافعين ولا صديق حميم أى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة أفعاله شددت ميمه الاولى (وأما الحمام) بكسر الميم فهو الموت فان حاءه ما كسرت الالان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا أثره (قال الشاعر)

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولاشك أن الموت شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشرية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف) أصله أبى لكن لم يساعده لسانه لجرفته فى الكلام وهذه كنيته وأما اسمه الاصلى فهو عظلق أو بحلق على ماقيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويطعمه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال فى البلد شاع بالنيف أى بسرقة النيف

والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك
ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك
ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبيث الى الطيب فقال

ص على من نضر فى فرن دارو طواجن ٭ زغاليل من برج ابن ابو شعنيف

ش وقوله (على من نضر) بالعين (فى فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) أى دار الناظم فالضمير فى داره راجع اليه يعنى لا يكون فى دار غيره ولا تكون الطواجن فى فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه ملان (زغاليل) وهى أفراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام القبطى لانه يرعى فى الغيطان ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوى الباه اذا أضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها والحمام اسم جنس شامل لكل ماعب وهدر ثم انه بين أن الزغاليل التى اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض فيه قواديس فخار يأتى اليه الحمام البرى ويبات فى تلك القواديس ويفرخ ويعز افيها أيضا ويسمون خراءه عندهم سماد يأخذونه لزرع البطيخ والبصل يطعمونه به وأمره عندهم مشهور ويأخذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا فى سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغلك وهو نبات أزرق اللون شبهت به الزغاليل لزرقة ريشها أوانه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذى يصنعون به زيب والكير الذى ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح فى هذه الصنعة لكن تراهم دائما فى شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة (وسئل الامام الشافعى) رضى الله تعالى عنه عن الكيميا فقال أعرف من افتقر بها الا من استغنى فكذلك الحمام فى كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما فى خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما أن واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهات بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسألة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع أن اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى أم كيف الحال (قلنا الجواب القشرى) أن المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسى ووجه طبى فالوجه الاول أن الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم

البعض

البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام
الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لأفراخه وتغريده وتهديره
وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه
الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك
الى اعلا البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون
أرزاقهم ومعاشهم (كما فى الحديث الشريف) عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال لو توكلتم على حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا
وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس القطيسى (والوجه الثانى) أن الحمام حار
رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة وأحسن الحمامات ما قدم بناؤه
واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام
فانه مسخن محرك للباه وان كان فى أفراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه
الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البرى واما الذى فى البيوت
فان المداومة على أكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام
من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهبال (وأما اسم الحمام الطائر) فهو
مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم
ومصدره حام يحوم حوما (وأما الحمام المبنى) فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان
الشخص اذا دخله صار كأنه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق أو من
الحوم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحما فى البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس
أو من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة
من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع أى محب
يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة أفعاله شددت ميمه الاولى (وأما الحمام) بكسر الميم
فهو الموت فان حاءه ما كسرت الا لان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة
فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا أثره (قال الشاعر)

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك أن الموت شدة عظيمة
فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشروية والمصادر
الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف)
أصله أبى لكن لم يساعده لسانه لعجرفته فى الكلام وهذه كنيته وأما اسمه الاصلى
فهو عفلق أو بجلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلاب
واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش المسمى بالنيف المتقدم ذكره
ويطعمه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال فى البلد شاع بالنيف أى بسرقة النيف

ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا أبوشعنف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلفنة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة ثم ان الناظم بين كيفية أكله فى الزغاليل وأنها تؤكل بالفطير (فقال)

ص وفطر فطائر من طحين ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر (قال الشاعر)

وشمر عن ايروطرطر عامدا * عليها يبول فهى فى البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذلى أكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره مثل عمل عمايل أو مثل قشر قشاير ومعناه أبطط أو اصنع فطير او الفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خمرة وخمير أو حمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الادمى لانه يولد الارياح هذا اذا أكل وحده وأما مع غيره فلا بأس به وهذا كله فى فطير الريف الذى أراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه فى الفرن أو يدمسونه فى الجورة ويقال له فطير دماسى ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهى عنه (وأما الفطير) الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويدسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذى يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به أيضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق أى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل أو يهبه الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له أو يهبه اياه أو يتمكن من سرقته ويخبزه فى الفرن أو الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت فى مرقها الفطاير المذكورة ويتأهب للاكل منها (ويقعد لها) أى للزغاليل أو لمجموع ذلك (قعدة) أى مثل قعدة (غلام) وهو الذى اطرشاربه (قال الشاعر)

منا الغلام الذى اطرشاربه * والعانشون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام أى عنده خسافة أى تفكر وكآبة وشدة حزن فأكون مثله عندى تفكر وشدة جوع فما أصدق أن أرى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتى أكتفى ويذهب جوعى وتنقضى شهوتى مثل الغلام الذى اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على أحبابه فيزول همه ويسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد (كما اتفق) ان بعض العارفين مر برجلين يأكلان فى رمضان فقال لهما ما أمركما فقالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا

فى

فى هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال أحدهما اجرح ذراعى بجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح فصارت أرواحهما واجسادهما كأنها روح واحدة فى جسد واحد كما قال ابن العربى نفعنا الله به

نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا بدنا

(وقال أيضا عفا الله عنه)

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا
ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين وقطب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين قال ابن هانى عفا الله عنه

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * الناس تقطع فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

(وله أيضا رضى الله عنه)

لا يعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال انى عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المتحابين فى الله فى ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص على من نضر طاجن سمك فى فرنه * ولو كان بالاخوانى بلا تنضيف

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى أكله هو والجراد حيا وميتا وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف وأجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد فى الباه والمالح أحر من الطرى وأيبس ونفع الكبير منه ان يؤكل مع شراب عتيق وفالوذج خصوصا اذا كان متغذا من ماء عذب جارى والمفلس منه اولى من غيره (قال بعض الحكماء) كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتتفاوت فى الطعم واللذة فأما

ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا أبوشعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلفنة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة ثم ان الناظم بين كيفية أكله فى الزغاليل وأنها تؤكل بالفطير (فقال)

ص وفطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر (قال الشاعر)

وشمر عن ابروطرطر عامدا * عليها يبول فهى فى البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذ لى أكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره مثل عمل عمايل أومثل قشر قشاير ومعناه أبلط أو اصنع فطيرا والفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير أو حمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الادمى لانه يولد الارياح هذا اذا أكل وحده وأما مع غيره فلا بأس به وهذا كله فى فطير الريف الذى أراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لاغير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه فى الفرن أو يدمسونه فى الجورة ويقال له فطير دماسى ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهى عنه (وأما الفطير) الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذى يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به أيضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق أى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل أو يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له أو يهبه اياه أو يتمكن من سرقته ويخبزه فى الفرن أو الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت فى مرقها الفطاير المذكورة ويتأهب للاكل منها (ويقعد لها) أى للزغاليل أو لمجموع ذلك (قعدة) أى مثل قعدة (غلام) وهو الذى اطرشاربه (قال الشاعر)

منا الغلام الذى اطرشاربه * والعانشون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام أى عنده خسافة أى تفكر وكآبة وشدة حزن فأكون مثله عندى تفكر وشدة جوع فما أصدق أن أرى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتى أكتفى ويذهب جوعى وتنقضى شهوتى مثل الغلام الذى اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على أحبابه فيزول همه ويسر بلقياهم فان اجتماع الاحبة عيد (كما اتفق) ان بعض العارفين مر برجلين يأكلان فى رمضان فقال لهما ما أمركما فقالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا

في

فى هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما
فقال أحدهما اجرح ذراعى بفرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير جرح
فصارت أرواحهما واجسادهما كأنها روح واحدة فى جسد واحد
كما قال ابن العربى نفعنا الله به

نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا بدنا

(وقال أيضا عفا الله عنه)

ولما التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا
ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين
قال ابن هانى عفا الله عنه

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطع فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

(وله أيضا رضى الله عنه)

لا يعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال انى عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المتحابين فى الله فى ظل
العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول
العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص على من نضر طاجن سمك فى فرنه * ولو كان باخوانى بلا تنضيف

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم
جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى أكله هو والجراد حيا وميتا وفى الحديث
الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد
والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب
لطيف وأجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد
فى الباه والمالح أحر من الطرى وأيبس ونفع الكبير منه ان يؤكل مع شراب
عتيق وفالوذج خصوصا اذا كان متغذا من ماء عذب جارى والمفلس منه اولى
من غيره (قال بعض الحكماء) كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس منه مثل
البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتتفاوت فى الطعم واللذة فأما

البورى فيحشى بالبصل والخرازات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل أيضا فى الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل أيضا بالكشك وقد أكلته فى دمياط مرارا ويعمل أيضا بارز لكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه ماء الليمون ويسمونه قفاعية وأكلته وله لذة عظيمة وطعمة لطيفة وأما القجاج فانه اعلا رتبة وأطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير وفى المثل * اذا عدم الدجاج كل القجاج * ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى (وأما السمك البنى) فانه الذ فى الطعمية من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسأل عن لذة طعمه فانك تود أن تأكل اصابعك من حسنه وفى المثل عن لسان حال البنى * أنا البنى ان رأيت أحسن منى لا تأكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبار له لذة فى الطعم والمأكل وقد ورد أنه يأكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر ملآنة بالمياه فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك فتنزل اولادهم ويصيدون منها فيأتون به ويتظفونه ويضعونه فى الطواجن ويضعون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه فى الفرن الى أن يأخذ قوامه فيأكلونه بخبز الادرة أو الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم ألذ المأكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدفنونها فى الجورة الى أن تنضج يسيرا ويأكلونها أعاذنا الله من ذلك وبذكر السمك تذكرت (مما اتفق) ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخوات المطاعيم المفضلين فمر عليها عاشقها يوما وقال لها طال الموعد فقالت له فى غد تأتينى فى آخر النهار ثم انها اصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم ونأكله فمضى الى السوق وأتى به فنظفته وأصلحت شأنه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به الى الفران وأرحنا من طبخه وقل للفران يرسله مع غلامه أذان العصر فأخذه زوجها وذهب به الى الفران وأعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران ارسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع وأكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضا منها مراده فبينما هو معها فى الحديث اذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبى أنا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتى معك وقعة الشوم ازاى الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتوا نأكل منه طلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منه وخايفه لا يطلع على شئ وآهو قاعد ولولا استحيت

كنت خرجت الى السكة وأنا طول عمرى ماحد شافنى ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك فى الطاجن يا ترى هو الفران والاصبيو فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خذ وروح بيه الى الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل لو من دالوقت لا تحط فى طاجننا حاجة يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى الفران وأعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وتحقق القضية فقام وعمل أنه يضرب الرجل وقال له أنا وضعتك فى طاجن اللحم خالفتنى ونزلت فى السمك ان بقيت تخالفنى أشوش عليك وتضر بك فقال الرجل للفران يا سيدى ما عدت أخالفك أبدا الطاجن الذى توضعنى فيه لا أطلع منه أبدا ثم ان الفران قال لزوجها أخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها أبدا قال فمضى زوجها وأخبرها بالقصة ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا حد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ أبدا ثم تركها زوجها ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم (ومن العجائب) أن بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فأطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة (واعجب من هذا) أن بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح وأشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن أيها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك أى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم أنك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن أنا أسألك عن مسألة أتردّ جوابها قال قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء أم عدة الاموات فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك فى بحر العلوم فقال انى استغفر الله مما قلت فأرشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا فانها تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه أنه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى وبذكر قصة الفران والسمك تذكرت أن حفظ الوداد قليل فى الناس ويعجبنى قول بعضهم

لقد كان لى خل علمت ولاءه * وكان صدوقا فى المقال خليلا
فخان ودادى ثم أنكر صحبتى * فياليتنى لم أتخذه خليلا

(وقال بعضهم)

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادى

وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

(وقال آخر)

لاضربن بوجاءي ألف مقرعة * حدّا وانصب امالي على خشبة
لعشرتي لأناس لا خلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

(ومن كلام الامام الشافعي) رضي الله عنه

ابعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم بمحل
ولا تقل كان لي أيادي * عليهم في الزمان الاول
المرء بين أهله كليب * اذا رأوا ذيله مهلهل

(وقال ايضا رضي الله عنه)

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
ألا فاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

(وقال بعضهم)

مافي زمانك من ترجو مودّته * ولا صديق اذا جار الزمان صفا
فعش فريدا ولا تركن الى أحد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ولابن عروس قطب بلاد المغرب)

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
اني نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

وقوله (في فرينه) أي في فرن الناظم وصغره لاجل النظم بمعنى انه يأتي من الغيظ او الجرن فيراه في فرنه حاضرا مطبوخا من غير أن يتكلف بصيده وتخويجه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذي أتمناه (يا اخواني) يخاطب به أصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان في الله تعالى قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا (وقال بعضهم) من فقد اخوانه فقد فقد مروءته (قيل) أتى رجل الى المأمون فقال له أنا اخوك اعطني من بيت مال المسلمين ما يكفيني فقال له من أين انت اخي فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك فقال له المأمون لو فرض أني فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك أقل من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشيء غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتدّ شاكرا (وكان المامون) يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الي الحلم حتى ظننت اني لا أثاب عليه (ومن حلمه) أن جارية من جواريه قدمت اليه لحما مشويا في أسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها وأتلفها فنظر اليها فقالت * والكاظمين الغيظ * فقال قد كظمت غيظي

فقالت

فقالت * والعافين عن الناس * فقال قد عفوت عنك فقالت * والله يحب المحسنين *
فقال أنت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة فى الحلم والعفو لا يقدر عليها
أحد رحمه الله وله أخبار كثيرة فى ذلك وقوله بلا تنضيف) اى ولو كان
يجد هذا السمك فى طاجن فى فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصونه فى الطاجن
بعظمه وبجوفه حتى يصير مثل المشوى فى الجورة فيشتهى الأكل منه ولو على هذه الحالة
اشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للأكل منه وفى المثل * الغريق يستند على القش *
وفى مثل آخر * بطاينه ولا غسيل البرك * فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضى شهوته
فالشخص اذا اشتهت نفسه شيأ ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما وأكل منه أكلا
زائدا فان الشهوة البهيمية ترمى صاحبها على أخبث المأكول فكل من أطاع نفسه
وهواه خسر (قال) سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك
ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

(قيل) ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد (وقيل)
مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى أكل الهريسة ويخالف
نفسه ويصبر الى أن حصلت له يوما وهو فى الخلوة فمد يده ليأكل منها فانشق حائط الخلوة
وخرج منه شخص وقال له أف عليك يا عمر فقال ان أكلتها ثم انه تركها ولم يأكلها بقية
عمره وخالف نفسه (ومن النكت المضحكة) أن بعض الفقراء كان له تلميذ وكان
دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها أبدا
فأتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضع بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس
وكان الذى وضع بين يدى الشيخ أرز مفلفل بلحم ضان يقال لها قارش مارش فمد التلميذ
يده وأخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه
أما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى انى آكل من صحن العدس
فخالفتها وأكلت من هذا اللحم الضان بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل
الشيخ يوما فى الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ماهذه الفعال فقال له يا سيدى
حدثتنى نفسى وقالت لى لك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام فقال له الشيخ
اخرج قاتلك الله ما أشقاك وما أخبثك فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم
اشتهى شيأ لم يرفى بلده الا يوم عيد النحر (فقال)

ص على من رأى فى التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يهف عفيف

ش قوله (على من رأى) روية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى التل)
أى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده



تراب أو رماد يكبه قدام داره برا البلد أمام بيته وجاره مثله وهكذا الى أن يتصل بعضه البعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من التمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه أيضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها أيضا ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقاع والعجول والجاموس وغير ذلك وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه فى جبته او يسيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ورداؤه عليه الخرا وهكذا ثم يؤول امرهم الى الصلح او القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام فى غزل الصوف والفلة وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا أن تكون فى دار الشاد بالكفر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل فى المعنى

سألت بنى الارياف ما البيوت تكم * مراحيض قالوا الامراحيض للقوم

فقلت فماذا تصنعوا فى نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام (قال الشاعر)

أتيت الكفر فى ضحوه * رأيت اهلو جميع شالوا

وراحوا فوق عليه * عليها الكل قد بالوا

اى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم فى العلالى اى أنه صار يجلس عاليا عن الناس وبقى له فى الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى (قال الشاعر)



جوز غزلان يا محلاهم * شافنى على القدم حناهم

متى يازمان تجمعنا * فى العلالى أنا واياهم

(فان قيل) ان الناظم قال فى التل فيفهم منه أنه يرى الكرش فى جوف التل فيكون متواريا عنه وأكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان فى الدار أى فى داخلها فما الجواب (قلنا الجواب القشروى) أن فى بمعنى على أى كرشا ملقحا على التل أو الكوم كما يقال فلان فى الجبل أى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع أن ينقب الجبل ويدخل فيه او أن جوف الجرة على بابه ويكون قوله فى التل بمعنى أن فى جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش مثلا فصدق عليه أن الكرش فى جوفه وان كان ظاهرا يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملقح) أى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم

لا يرون

لا يرون اللحم الا فى ذلك اليوم ولا يمكن أنهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه ويلقون ما فيه من التفل ويغسلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جفل مغل وله عندهم موقع عظيم (وأما فى بلاد المدن) فانه من الضان ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والملح ويصبون عليه الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالرأس تارة ويدرجونه فى الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع نسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور فى بلاد المدن واما اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك فى الدست او البرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلون له بشئ من البصل او الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور أى أن كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت لسقوط حائط مكرش اى آيل للسقوط وفلان صاحب كرش أى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح فى الغنم والبقر فيقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وأدرج رأسه فى كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه وكثرة شحمه (ومن المناسبة) ان السلطان قزلباش ارسل الى السلطان قانصوه الغورى يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * أف على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس

(فاجابه يقول)

لله فى ملكه خاتم * تجرى المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من بشه
مصارع البغى لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * أدرج رأس الكبش فى كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغى * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسله السلطان قانصوه الغورى بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائبه أى نائب الغورى ورده خائبا وألقى الله كيده فى نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغورى من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا امثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفى الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه أن يرى كرشا مرميا على التل أى الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيانا وذهولا

او أنه النشاد بالكفر ذبح كبشا والتي كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيئا وربما يأخذون كرشها وجميع حوائجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذي تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة أهل الكفر في بهيمة (و) لو كان من (فوقه الدبان) وهو الذباب وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على ألسنتهم ومفرده دبانة ودبون مفرد المذكور منه والدبان على وزن الخرفان او الجديان والدبون على وزن الممعون أو المأبون قال بعض الشعراء موالیا

في خاطري يا مليح لو كنت دبانه
واحط فوق شفتك وتنش أقول دانه
على وبالو حصين لك عين نعسانه
غيري يواصل وانا اجي لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة في بعض الكتب منها أنه اذا أخذت ذبابة وربطت وهي حية في خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتكي الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاي شيء خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى في كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم * ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * (والذباب) له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا أن فمه واسع وأرجله قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة في فيه ويلفها في شيء يخرجه من فيه كنسج العنكبوت فلم تزل حلقة فيه الى أن تموت (وذكر العارف بالله تعالى) سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به في المنن أن زوجته ام عبد الرحمن أصابها مرض شديد أشرفت به على الهلاك فدخل يوما بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته في الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) أي يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الباء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشيء اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض وأما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشيء بمعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية أخذه ولفه فقال

ص دبا ان شفته خذه بوجبا او سلقته * وكلته ستقاوما أرى تفتيف

ش

ش قوله (دنا الى شفته) أى اذلس القمعلى "ورأيته جالساعلى التل (اخدنو) اى أخذنه فحذف الهمزة وأبدل الذال المعجمة بالدال المهملة جريا على اللغة الريفية (بجالو سلقتو) بمعنى أنى القيه فى الحين او البرام وألقى عليه الماء الا غير وأسلقه من غير تقلبه ولا تشريح وغير ذلك لشدة فقره وعدم ما فى يده وقوله (وكلتو بلحاو) أى بما فى جوفه من المرعى ولو أنه نجس مبالغة فى الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الأكول عندهم فيقال (فلان) يأكل كرش بفرثه مثلا ومن ذلك (ما اتفق) ان رجلا من أهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لك معك بجديد وكل أنت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فأعطى بياع الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو يأكل من غير ملح وأخذ بالجديد الثانى قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة ورية وهى الفشة ولف ما أخذه فى ثمته الذى فوق رأسه وربط عليه وكانت الفلوس التى باع بها البيض جرب وطة أيضا على الشدة ثم انه سافر الى أن مر على قرية فى الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح تحتها فضربه الهوا فرقد فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على رأسه فخطف الشدة بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه أهل الخير فاطلقوه فمن عدم عقله وشدة جهله ضيع الفلوس وأكل الضرب ورجع الى بلده خائبا وقوله (ما ارى تقنيف) بمعنى أى ما أتقنف عن أكله لكونه فيه التفل او لان فيه النجاسة مثلا فان نفسى تطيب لا كله ولا تمتنع عنه (وفى القاموس) الازرق والناموس الابلق ان التقنف مشتق من التقنف وهو المنع عن الشئ كما يقال أنت قنف أو فلان يتقنف أو من القنافة بضم القاف وهى التى توضع فى خرق المنافة الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة قال الشاعر

لقد خف منى العقل حتى كأننى * أحاكى فى الافعال قنافة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على التل او الكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من أكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلى فقال

ص أنا ان عشت لاروح المدينة واشبع * كروش ولو أنى أموت كفيف

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من المأكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تأخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينة) والمراد بها مصر

حرسها الله تعالى وأدام سرورها باهلها وابد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام * وامراءها الكرام * لانها مدينة الانس والصفا * والسرور والوفا * خص الله نساءها بالحسن والجمال * والبهجة والبهاء والكمال * وطيب المعاشره * ولطف المذاكره * كم عاشق بحسنهن افتتن * ومن لم يتزوج مصرية ليس بمحصن * وملاحها الولدان * كأنهم الغزلان * او قضبان البان * لا يوجد مثلهم لا فى الروم ولا فى العجم ولا فى العراق * ولم ير الطف منهم فى العشرة باتفاق * كما قلت فى هذا المعنى موشحا

(دور)

يامن يرد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

(مذهب)

ملاحها لا يوجدوا * فى الروم ولا أرض العراق
ولا ببلاد ارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق

(دور)

من حاد عنهم بالمبال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر أرخى لو دلال

(مذهب)

يا حسنهم يا لطفهم * ياظرفهم كم ذا ترى
من كل أغيد حين يميس * تقول لعقلك لا ترى
مثلو ترى غيرو يفوق * سبحان خلاق الورى

(دور)

فعشقهم دوم الليال * وحبهم عندى حلال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

(مذهب)

أما العجب ثم العجب * فى يوم الاعياد والفرج
كم ظبى يرفل فى الحلل * والخال فوق خدو عرج
تقول جنان رضوان حقيق * قد فتحت وقد خرج

(دور)

منها يريد قتل الرجال * بحسن قدو والميال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

(مذهب)

والله

واقه والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبري فني * وزاد وجدي والسهر
وقد بقيت صفر اليدين * ولست أقنع بالنظر

(دور)

ماحيلتي في كل حال * الا الدعا أراه محال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى له دلال

(مذهب)

يوسف سميت ادع الاله * يغفر ذنوبي كلها
وبلدتي شربين عظيم * بين المدائن قدرها
بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها

(دور)

ثم الصلاة باتصال * على النبي باهي الجمال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر ارخى له دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود * واحمرار الخدود * ورقة الكلام * وقلة الملام * وحسن الانطباع * وقلة الامتناع * لفظهم ألطف من النسيم * ورضابهم أحلا من التسنيم كما قال الشاعر

ماثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها
نسيمها ألطف شيء في الورى * وأهلها ألطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوي وهو الغناء بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان أي استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وأفاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال في المثل * هذا محدث النعمة * لانه لم يعرف قدرها * ولم يصرفها في مصارفها وانما جني به الدهر * حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعمة مستودعها * عيناه ما لو ناته فيهر
جين به الدهر فنال الغنا * ياويله ان عقل الدهر

(واما) اذا عرف الشخص ما أنعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير وأحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش أي ان بلغت المدينة لابد أن أشبع من الكروش التي تصلق وتباع وأقضي مرادي وبغيتي منها (ولو أني) بعد شبعي من الكروش المذكورة وقضاء شهوتي (أموت كفيف) أي اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العماء (وفي الحديث القدسي)

ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة * وهو حديث حسن رواه الترمذى عن أنس (وقال الابوصيرى الاديب)

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت أحبابى من الحى والحما
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعما

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له أنت بقيت من أهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها أجر عظيم * وفضل جسيم * خصوصا اذا كان فقير الحال * فانه فى حكم الميت لا محال * (قيل وجد مكتوب) على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر * والظلم اذا دام دمر * والفقر هو الموت الاحمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * ومن لم يترك الذكر لم يذكر * وما ابتلى الله عباده بشئ أضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل * اعمى قال لاعور كاس العمار فقال الاعور نصف خبرك عندى وفى المثل الآخر * الاعور الممقوت بين أهله أحسن من الاعمى على كل حال * وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخناث أو يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره باظافيره او يلقطه بالملقاط فان الامرد مادام خالى العذار تميل النفس اليه واذا التصاقل منه الوفا وصار وجهه كالقفا (قال الشاعر)

التحى الامرد الذى * كان فى النتبة مسرفا
حسنا كان وجهه * وسريعا تعصفا
فسر والله ناظرى * مذرای ذاك واشتفا
شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

(وقال آخر)

سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوخماء من يميل الى اصحاب اللحاء (قال الشاعر)

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا
فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فما أنا لوطى وما أنا زانيا

(وبعضهم) يميل طبعه الى الشيوخ * ويرى أن قول العزول فيهم منسوخ *
(قال الشاعر)

أهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال بعضهم

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

انما العذل يدرى ما يراد من الفتى * أمنت عليه من حسود ومن ضد
والعشق مراتب * وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والحول فى العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف * لايهوى الا الشكل اللطيف * المناسب للتعنيق والبوس * وكلها غرامه فلوس * ثم ان الناظم بين كيفية اخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهى زوجته واسمها قطيعة (فقال)

ص وآخذ من غزل العجوز وابيعو * وآكل بحقو يا ابن بنت عريف

ش قوله (وآخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعة وقيل اسمها بعرة بنت قلوط والبعرة قريبة من القلوط لانها بنته والقلوط أبوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز أيضا والعذراء ولها اسماء كثيرة (قال بعضهم)

عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم

وفى الكلام تقديم وتأخير ومعناه اذا عشت لا روح المدينة وآخذ معى غزل العجوز وأبيعه فيها (وآكل بحقه) كروشا وغيرها ولوانى بعد ذلك أموت كفيفا لانى اذا قضيت مرادى وعشت بقية العمر أعمى لا أبالى بعد قضاء شهوتى وحصول ما كنت أرجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من أهالى الكفر قيل انه من أقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لابد انك تفرح لى اذا طال عمرى ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وأرجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون أهل الكفر فان الشخص لايشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويحمل عنه الهموم أو يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا او يسليه بالمحادثة ونحوها (قال الشاعر)

ولابد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع

(وقال ابن عروس)

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للى يريدك
الجمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران أنهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف فى وسطها او بنسوفيها الانه كان كثير الفساء فيشم من يقربه رائحة الفساء فيقول له أنت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمى بذلك (وأما) جده لامه فيسمى عريف لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما وقع

بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرّف الشاد امور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرّف الاولاد احوال القراءة ويعرّف أيضا الفقيه عن احوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقينى الشافعى فى تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء فى حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بنى اسرائيل احدهم ابرص والثانى اقرع والثالث اعمى اراد الله تعالى أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص) فقال اى شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرنى الناس فمسحه بيده فذهب البرص وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال أى المال أحب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشرا وقال بارك الله لك فيها (وأتى الاقرع) فقال له أى شئ احب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرونى الناس منه فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها (وأتى الاعمى) فقال أى شئ أحب اليك قال أن يرد الله الى بصرى فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه أتى الابرص) فى صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بى الحبال فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كأنى اعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (وأتى) الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذاك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (وأتى الاعمى) فى صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال فى سفرى فقال قد كنت أعمى فرد الله بصيرا وفقيرا فأغنانى فخذ ما شئت فوالله لا امنعك اليوم شيأ أخذته فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

أقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وماسدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأنى يراجع فيك دهرك عقله * فماسدت الا والزمان به سكر

ولكن

ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر
(وقال آخر مخمسا)

رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا
وسدتم بلا أهل وفضل ولا ولا
سأقسم بالله الذى خلق الملا
يمينا لقد نجستم رتب العلا * وألبستموها بعد عزتها ذلا

فتبا لدهر انتم عظماؤه
وأنتم اراضيه وأنتم سماؤه
فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه
صفعت زمانا أنتم رؤساؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى

فطوبى لعبد يكتفى بذهابكم
وويل لحر يشتكى بابابكم
أقول وقلبى ملكم وازدرابكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من فى عشقه خان أوزلا

فبعدى عن الاوطان صفو لبنيتى
وفقد الذى اهوى وعظم بليتى
وهتكى وتعذيبى وقرب منيتى
هذا مرادى واعتقادى وبغيتى * ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر (فقال)

ص وأسرق من الجامع زرابين عدة * وآكل بها من شهوتى فى الريف
وأشبع من الترمس وآكل مقيلى * وألفو بقشرو ما أرى وقيف

ش هذا الكلام كله من بقية كلامه لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يقول أنا اذا اطلعت المدينة وبعت غزل العجوز وأكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمقيلى الذى اشتهيته ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ أدخل بعض الجوامع التى فى أطراف حارات المدينة التى يصلى فيها أهل الريافة لان الزرابين لا تكون الا بارجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهى جمع زربون على وزن ميمون اومأبون وهو المركوب الذى يمشى به الفلاح ويسمونه ايضا جوادا وترجيلا (واسرق) والسرقة حرام ومنهى عنها * قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما * أى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور فى كتب الفقه وأباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له

ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء مالفظه شعر

يد بخمس مائين عسجد فديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

(فاجابه بقوله)

عز الامانة أغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

أى أن هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة أرخص الله قدرها وأباح قطعها بذل الخيانة فهى حكمة للبارى جل وعلا وحدود أوجبها على خلقه من أمر ونهى وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمى جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجد للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدة) يعنى كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة فى السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهى أن يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لعلام الغيوب فيأخذ هو الآخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والفل أو لحساب المال أو ليستظل فيه أوان الحر وربما ربط فيه العجلة أو البقرة ويجعلونه فى الغالب محلا للحصاد ثمنهم فى الغيط والحيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم فى زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنته عريف المتقدم ذكره انى اذا اطلعت المدينة وأكلت بحق الغزل كروشا ولم يبق معى شئ أتلصص وأتجسس واسأل عن بعض الجوامع التى باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب (وآكل بها) فى كلامه هذا تورية اما أنه يبيعها ويأكل بثمنها أو انهم يصدفونه حال خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التى خطفها علقة فيكون هذا أكل معنوى فانه فى الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع فى ايديهم يقطعونها على احبال رقبته يقال فلان أكل علقة اليوم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على احبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت لرذل السرقات (قيل) مر بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار وهو جالس فى حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص أخذه فجاء لجانبه بخفة وحط رجله اليمنى فى واحدة واراد أن يحط رجله اليسرى فى الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا بحيث لا يراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه أين الثانية فقال له لا أدرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها

فاخذوها

فأخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام لسيده أتى اللص ومعه الفردة التى أخذها وقال للرجل لا تصنع للتاجر شيأ فانه لقى الفردة الثانية وأراها له وقال له هات الاخرى فاعطاه اياه فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها أخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب من حذق اللص وفعله (وقيل) طلع الابوصيرى الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الركن يشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر مثل وجهك ياشيخ العرب فالتفت له الثانى من البياعين وقال له عندى مركوب مليح وحيات رأسك وصار الجميع يتكلمون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يامشايخ السوق أنا رجل غريب وأنتم تتوصلوا لى فان جماعة أخبرونى أن المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على اقفية اصحابها فقال الكل خلص تاره مناجيعا بما قاله بلطافة ثم قالوا له بالله أنت الابوصيرى قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا احمر من غير شئ فاخذه ومضى حتى دخل على البدرى العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر فى الدخول فلما رآه وفى رجله المركوب قال له وجهك احمر يا ابوصيرى فقال له نكت بدرى ودخلنا الحمام فكان الجواب أظرف من السؤال ومما مدح به البدرى قول الابوصيرى المذكور حيث (قال)

البدرى كل بالدخول * وفيه انطوى واندرج
بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ماخرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتأخرين واستعمله المتنبى فى مواضع من شعره (قال ابن خلكان) رحمه الله تعالى جاءنى صاحبنا جمال الدين الاردبيلى الاديب الجيد فى صناعة الالحان وغيرها وأنا فى مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندى ساعة وكأن الناس مزدحمين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر الا وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا أيها المولى الذى بوجوده * أبدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك حجة الاشواق لا ما يوجب الاسلام
وأنخت بالحرم الشريف مطيتى * فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت أنشد عند لشداتى لها * يتاثن هو فى القريض امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لى أنه لما قام من عندى وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذى تمثل به هذا القائل لابى نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هرون الرشيد

أيام خلافته اولها

يادار ماصنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

(ويقول) من جملتها في صفة ناقته

وتجشمت بي هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرءة قدام
تذرى المطى وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهي امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له أبوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق مني لاخسرت ولا كسبت فضحك عليه أبوه وخلا سبيله (وقيل) سرق باب دار أبي سالم القاضي فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذى تصنع فقال أقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابي (وقيل) كان مع أبي جحا زوجتان وكانت أم جحا ماتت فخرج أبوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر أنه نسي مركوبه فصاح على ولده ياجحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له ياجحا مايقول أبوك فقال يقول لك زوجات أبيك في غيابي فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا أنتم منه وصدقوا ثم قال له الواحدة ياأبي والا الاثنين يعني أجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا أنه يقول له بل لك الاثنين ومامراد أبيه الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى أن حضر أبوه (وقيل) جلس العيني في محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من أعيان الناس فقال له ياسيدي يقولون ان أهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادي أرى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادى عليه فقال العيني هل في مصر أحقر من هذا قال الرجل الشامي لا قال اصبر حتى أبين لك حذقه ثم ان العيني ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادي فول حار ولكن ماعندى دراهم وماعندى الا فردة مركوب تعطيني بها فقال له الرجل ياسيدى * كل شئ جبته أطعمنا به * قال فضحك العيني وتعجب الشامي من حذقه وأنعما عليه ومضى الى حال سبيله ومن التورية قول بعضهم هجوا في رجل اسمه عوض مالقطه فقال

سرموجتى قد سرقت * وضاق بي رحب الفضا
أتيت للسر وضعا * أخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتي في الريف) أي شهوتي التي اشتهيتها وهي أكلي من الكروش وشبعي منها لاني ماوجدتها في الريف فاذا طلعت المدينة وفعلت ماتقدم ذكره قضيتها وحصل لي المراد وقوله (واشبع من الترمس) المراد به المطبوخ بعد نقعه في الماء

أياما فان أهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم أي يتنقلون به أيام الاعياد ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع فى بلاد المدن دائما وهو فاكهة الريافة اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلى وفى الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبى رحمه الله تعالى وهو أن من داوم على أكل الترمس كل يوم ملأ كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (وآكل مقيلى) أى واشبع من المقيلى وهو الفول المنبت المقلى بالنار ومن هذا سمى مقيلى وهو مشهور لا يحتاج لتعريف وقوله (وألفه بقشره) أى هو والترمس من شدة شوقى اليه لانى متى أردت تقشير الترمس والمقيلى طال على الامر لانى احتاج الى أن اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفى خاطرى ولا مرادى وأيضا فان الناظم من أهل الريف والارياف يأخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) ان رجلا جلس هو وغلامه فى محل ظلام يأكلان زبيبا فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وأنا الآخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له سيده يا عبد الخير أنا طمعت عليك بقيت آكل اثنين اثنين فقال له ياسيدى ان كنت أكلت اثنين اثنين أنا بقيت أسف سفا والعرب من عاداتهم انهم يأكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالخمسة ويجدون فى هذا الفعل لذة وحلاوة (قال الشاعر)

هنيأ لاصحاب البيوت بيوتهم ❊ وللآكلين التمر أخماسا اخماسا

(وبعضهم) يقشر الترمس والمقيلى واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما أرى توقيف) بمعنى ما اوقف فى لفه بقشره ومراده باللف الاكل يقال فلان لف متردعدس بمعنى أنه أكله كله وينصرف اللف لغير الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك ثم ان الناظم تمنى أن يأخذ له لبدة (فقال)

ص وآخذلى لبده وكرّ مشنير ❊ وأنزل كما كلب ابن ابو جغنيف

ش قوله وآخذلى لبده) هذا أيضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا أسعفنى السعد فى سرقة الزرابين وبعتها وأكلت ثمنها أكلا حسيا أو معنويا كما تقدم وبقى معى شئ ولو خمسة انصاف أخذت لى لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) اخذت بالاربعة (كرّ مشنير) أى شداحواشيه غزل أحمر فانه يسمى عند أهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكرمشنير يعنى انه بقى من اكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر بمعنى اذا طلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرابين يأخذ مافى مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكر مشنير فى قوة وشهامة مثل الكلب الآتى ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جغنيف) وكلب ابن ابو جغنيف هذا كان مشهورا فى الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب

وخطاف العيش وأكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا أنعم الله عليه ببلدة وكرمشنير يقولون فلان اليوم أصبح مثل كاب ابن ابو جعنيف أى فى القوة والشطارة والسرقة حتى ستر نفسه وكسا روحه وبقى من الاكابر كما أنك تشبه الانسان فى الخسة بالكلب او الخنزير فتقول أنت مثل الكلب مثلا وابو صاحب الكلب كنى بأبى جعنيف او جعنساف او جعنوف على ماقيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جعنساف ثقيل الدم مهذار فى الكلام من غير فائدة كما رأيته فى القاموس الازرق والناموس الابلق (ومن المناسبة) لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة فى كتاب ألف ليلة وليلة (وهى ما اتفق) ان رجلا من اكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين فى منزله فقاموا اله اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما أراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب مجيئك معى ودخولك الى منزلى وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتى فقال له الشاب بالله يا مولاى لا تعترض علىّ فان سبب هذا كله رؤيتى لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال نحس الحركة قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب فى حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا للشاب والله ما بقينا نأكل حتى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب يا جماعة جرالى مع هذا التعيس فى بغداد بلدى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجى وكسر رجلى هذا المنحوس فحلفت أنى لا اجالسه فى مكان ولا أسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من أجله وسكنت هذه المدينة وهى أقصى البلاد وقد نظرته عندكم وأنا الليلة ما ابات الا مسافرا فقالوا له حدثنا ما جرالك معه فأبى وألحوا عليه هذا والمزين قد اصفر وجهه وأطرق برأسه الى الارض واما الشاب فانه قال اسمعوا يا جماعة انّ والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيرى فلما كبرت وبلغت انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت ألبس وانتعم وأنا فى اهنا عيش فبينما أنا ذات يوم من الايام ماش فى زقاق من أزقة بغداد اذ رأيت مصطبة فجلست عليها لاستريح واذا بصبية كأنها الشمس المضيئة لم تر عينى أجمل منها اطلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت ثم انها أغلقت الطاق ومضت فاشتعلت فى قلبى النار وشغفت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضى المدينة راكب على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى أقبل على هذا البيت الذى فيه الصبية ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتى وأنا مكروب وزاد علىّ العشق والهيام

واعترانى

واعترانى الضنا فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال أياما وأهلى يبكون على ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوز فلم يخف عليها امرى فقالت لى ياولدى أنت ما فيك مرض غير أنك عاشق فقم واجلس وأطلعنى على قضيتك وأنا أبلغك مرادك فأثر كلامها فى قلبى وجلست وأخبرتها الخبر فقالت لى ما صفة الموضع الذى رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان أباها قاضى بغداد فقالت لى ياولدى اعرفها وأعرف أباها وأنا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وأبيها وانما أنا اسعى فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا منى فطب نفسا وقر عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها اسعى وجميع ما تطلبينه خذيه منى فقامت من عندى وتوجهت اليها وجاءتنى ثانى مرة ووجهها متغير وقالت لى كلمتها فشتمتنى وأغلظت على فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى وصارت العجوز فى كل يوم تعودنى فجاءتنى يوما وهى تضحك وقالت لى هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها أنك مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لى اقرئيه منى السلام وطيبى قلبه وقولى له ان عندى أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وأنا انزل أفتح له الباب واطلع به عندى فى الطبقة وأجتمع أنا واياه ساعة ويخرج قبل أن يعود أبى من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عنى ما كنت اجده من الالم وفرح أهلى ولم أزل مترقبا يوم الجمعة حتى أتى واذا بالعجوز دخلت على وقالت لى هيئ نفسك واحلق رأسك والبس أحسن ثيابك وامض فى الميعاد وأزل ما عليك من الاوساخ فى الحمام فان معك فى الوقت فسحة وخرجت من عندى فقلت لغلام من بعض غلمانى امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا جيدا قليل الفضول فغاب عنى ساعة وأتانى بهذا النحس لا كان الله له فى عون فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال لى ياسيدى انى اراك ناحل الجسم فقلت له انى كنت مريضا فقال أذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام * واماط عنك الاسقام * ولا زلت بك الاقدام * وعافاك الله وشافاك * ولا شمتت فيك اعداك * وهناك بما أعطاك * فقلت له تقبل الله منك دعاك فقال لى ابشر ياسيدى فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لى تريد ياسيدى أن تقصر شعرك أو تنقص دما فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروى عنه أيضا انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا قم الآن * واحلق رأسى ودع عنك الهذيان * ولقلقة اللسان * فانى ضعيف من اثر المرض فادخل يده فى جرمدانه واخرج منديلا كان معه ففتحه فاذا فيه اصطلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمل طويلا وقال اعلم ياسيدى وفقك الله وهداك * ورعاك وعافاك * وشافاك وهداك * انه مضى من يومنا هذا وهو

يوم الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام
وثلاثة آلاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومى واربعة آلاف سنة من
التاريخ الفارسى والطالع فى يومنا هذا على ما اوجب فى الحساب من المريخ ثمان
درجات وست دقايق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه فى تدبيسه
على أن أخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاى أيضا على انك تريد الاجتماع بنفس
والطالع فى هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد أضجرتني
وضيقت منافسي وأصغرت روحي وفولت على بفأل غير حسن ولا محمود وما دعوتك
للحجامة ولا لشيء من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ شعرى فافعل
ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا أريد والا فاذهب عني ودعني احضر لى مزينا غيرك
فقال يا مولاى احمد الله أنت طلبت مزينا فرزقك الله بمزين ومنجم وطبيب وعارف
بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعانى والبيان والبديع
وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء
وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء
وركبتها وانما كان سبيلك أن تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك فقد
قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العلماء ورثة الانبياء وما أنا بحمد الله تعالى عاجز عن الفضيلة حتى تقول لى هذا
القول وانما أشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه فى حساب الكواكب فانى ناصح
لك ومشفق عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك على واجب وحق ابيك من
قبلك واجب ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان اسر الاشياء الى قلبي وكل هذا
لاجل منزلتك عندى واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندى ايادى متقدمة وله
على فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه أحد غيرى لما
رأى من كثرة أدبي وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا كانت رغبته
فى وكان يحبني كثيرا فلهذا فضولى لخدمتى لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام
قلت أنت اليوم قاتلي لا محالة من كثرة كلامك وهزيانك فيما لا يعنيك فقال لى
يا مولاى ومثلى من ينسب الى الهزيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله
عليه اذا حضرت عنده يتمنى أن أتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمى ويلتقط من
درر نظامى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثانى
اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس اسمه
الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامى سمونى الصامت وان اردت أن احكى
لك عن أصلى وفصلى ونسبي وحسبي وما جرى لاخوتى الستة من اول الزمان الى آخره

فاستمع

فاسمع ما أقول فلما اكثر علىّ الكلام واطاله بلا فائدة امرض قلبي وحسبت ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت أحلق رأسى فى هذا اليوم فلما سمع ماقلته لغلامى قال لى هذا النحس الخبيث ايش يامولاى هذا الكلام أيمان المسلمين تلزمنى لا آخذ منك اجرة حتى أحلق رأسك ولابد لى من خدمتك فانها واجبة علىّ واصلاح شأنك لازم لى ولا أبالى بعد ذلك ان أخذت منك شيأ اولم آخذ فان كنت يامولاى لاتعرف قدرى وحقى فانا أعرف حقك وقدرك المقام والدك عندى فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا الاخوانه أرسل خلفى مرة فى نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال انقص لى دما فأخرجت الاصطرلاب وأخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما الاخراج الدم فأعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع وأقضى حاجة مولانا ففرح بكلامى وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لى الدم وشكرنى لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فانشدت أقول

أتيت الى مولاى أنقص دمه * فلم أر وقتا يقتضى صحة الجسم
جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه أنثر العلم من فمى
فأعجبه منى السماع وقال لى * تجاوزت حد الفهم يامعدن العلم
فقلت له ياسيد الكل والورى * أفضت علىّ الفضل لازلت فى حلم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا فى اللطف والجود والعلم

(فلما سمع أبوك) رحمه الله حكايتى وشعرى طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطانى ما أمر لى به ثم أخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد فى كلامه وهزيانه فقلت لارحم الله والدى الذى عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامى وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما أظن الا أن المرض غيرك لانى أرى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما أظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد ارضى الله تعالى ومن أسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسى الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لادواء له * والمال زين يزين المنظر الشيم
وافش السلام اذا ما جزت فى ملاء * والوالدين فكن عونا لبرهم

(لكن ياسيدى) أنت معذور والله تعالى يقول ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اوأبولك وجدك ما كانا يفعلان شيأ الا بمشورتى وقد قالوا فى المثل * من لم يكن له كبير فليتخذله مشير قال الشاعر

اذا ماعزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد أحدا أدرى بالامور منى ومع ذلك انى واقف بين يديك على اقدامى اخدمك وما ضجرت منك فتضجر أنت منى فقلت له ياهذا القد أطلت علىّ وأوجعت رأسى من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عنى واظهرت له الغبن وأردت ان أقوم وقد دنا منى الوقت الذى انا منتظره والوعد الذى أنا طالبه وأنا فى كرب من هذا القص وكثرة كلامه فقال يامولاى أنا ما أعتب عليك أبدا وأنا متعجب منك الذى رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت احملك على كتفى وأمضى بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسى وقم عنى (قال) فعند ذلك لما رآنى غضبت أخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسى وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يامولاى ان العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن قال الشاعر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم

فما من يد الا يدالله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأنى وأظنك مستعجلا وأنت قاصد حاجة وأنا أخشى أن تكون حاجة غير موافقة وامرا غير صالح فأخبرنى فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله ياهذا اسكت عنى فقد ضيقت علىّ الدنيا وقد زهقت روحى منك فتقدم وأخذ الموسى وحلق شيأ يسيرا ثم رماه وصار يهدر علىّ فى الكلام الى أن مضى ساعتان وبقى ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا أدرى كيف السبيل فى الدخول اليها فقلت له احلق رأسى بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فانى أريد أن اتوجه الى دعوة عند اصحابى فلما سمع هذا القص بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون والله ياسيدى ذكرتنى جماعة ضيوفا عندى ومرادى أصنع لهم طعاما وما عندى شئ وانت تحضر لى بجميع ما أطلبه ولا اروح الا انا واياك ونشرق فى اليوم فى محلى وولمتى أحسن من ولمة أصحابك فقلت خذ ماتريد واحلق بقية رأسى ودعنى فى حالى فان الوقت ضاق ولا لى حاجة بالذهاب الى منزلك وأحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور العود ومرادى ان الله يصرفه عنى حتى أمضى الى مطلوبى فقال لى ياسيدى وانا الآخر عندى جماعة ملاح زينون الحامى وضليع القامى وسلوطح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الجمال وسويد العتال وحميد الزبال وابو عكاش البلان وقنبر الخرفان ولكل واحد منهم قصة ان اردت احكيها لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار

ويغنى

ويغنى على المزمار وفى وصفه اقول

روحى الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمايل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به لي لافقلت له * والشوق ينقص منى كلما زالا
أضرمت نارك فى قلبى تجاوبنى * لاغرو ان أصبح الوقاد زبالا

(فامض ياسيدى) معى الى اصحابى واترك اصحابك فربما انك تمضى الى ناس يكثرون من الكلام فيشوشون عليك وأما انا فانى مثل اسمى صامت ولا اكثر الكلام وكذلك ضيوفى لا يتكلمون كلا ما كثيرا فاذا توجهت معى اليهم تأنس بى وبهم فى هذا اليوم فى منزلى وانى خائف عليك من الذين أنت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولى فيوجع رأسك وأنت قد صغرت روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادى امضى الى اصحابى وامض أنت الى اصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يامولاى ان أتخلا عنك وادعك تمضى وحدك فقلت له ياهذا ان الموضع الذى أنا ماض اليه لا يحمل أحدا يدخله غيرى فقال لى يامولاى أظنك اليوم فى ميعاد واحدة من احبابك وأصحابك تريد الخلوة معها الاجل الحظ والخلاعة والانس والمنادمة والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ماتريد وأنا خائف أن تكون امرأة أجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ ووالى بغداد جبار وربما يصدفك معها أو يخبره أحد بك فيرمى رقبتك فقلت له ياأخس الناس يامنحوس ايش هذا الكلام الذى تقابلنى به وقد ملئتنى غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح على حتى فرغ من حلق رأسى فقلت له الآن امض الى اصحابك بهذا الطعام وانا منتظرك الى أن تعود وتمضى معى ولم ازل اداهنه واخادعه وهو يقول لا امضى الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له انى أنتظره الى أن يعود وامضى أنا واياه فاخذ جميع ما اعطيته له وخرج من عندى ثم انه أرسله مع حمال الى منزله واخفى نفسه فى بعض الازقة وأما أنا فقد قمت من وقتى وساعتى وقد سلم المؤذن وضاق الوقت فلبست ثيابى وسرت مسرعا وحدى الى أن أتيت الزقاق ووقفت على الدار التى رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفى ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرنى فطلعتنى الطبقة التى فيها الصبية فلم اشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل القاعة واغلق الباب فأشرفت أنا من الطاق ورأيت هذا المزين المنحوس قاتله الله قاعدا على الباب فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون من أين علم هذا النحس بى حتى ساقه الله تعالى الى لهتك سترى ثم ان صاحب الدار ضرب جارية من جواره فأتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث أنه يضربنى فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدى فى بيت

القاضي واسيداه واسيداه فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى دارى والناس خلفه وأعلم أهلي وغلماني وقال لهم سيدى قتل في بيت القاضي فجاءوني صارخين ناشرين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان القاضي قتل سيدى فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط والناس يقولون له تقتل في دارك اولاد الناس والمزين يقول واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون في وجهه وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال ياقوم ماهذه القصة فقال له المزين تقتل سيدنا في دارك وتسألنا ما هي القصة فقال له القاضي وأين سيدك حتى أقتله فقال له هذا الخبيث المزين أنت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن مابقى له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له هذا القاضي ومن أدخل سيدك في دارى بغير اذني فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل لها وأنت في صلاة الجمعة حكم الموعد الذى أوعدته به فلما جئت ورأيته ضربته وقتلته ومابقى يفرق بيني وبينك الا السلطان أوتخرجه من بيتك في هذه الساعة فقال له القاضي وقد اعتراه الحيا والخجل من الناس ان كنت صادقا ادخل أنت واخرجه فنهض هذا الكلب المزين التعيس الشقي ودخل الدار فلما رأيته طلبت طريقا أخرج منها اوموضعا اهرب فيه فلم أجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطا وقطعت الحس وكتمت النفس فالتفت هذا التعيس الشقي الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق في المحل الذى كنت فيه فأتى اليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلي وخرج بي مسرعا فلما علمت أنه لايتركني حملت نفسي ورميت روحي من الصندوق الى الارض فكسرت رجلي وخرجت فرأيت خلقا على الباب مثل التراب فصرت أنثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عني فحملني غلماني وعبيدي على عواتقهم وصاروا يجرون بي في ازقة بغداد وهذا النحس الخبيث المزين يجرى خلفي ويقول احمد الله ياسيدى الذى خلصك من القتل وأنا وراءك لاتخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضي وعشق النساء صعب وصار يشنع علي في الاسواق ويمسكني بالكلام الى ان أدخلني غلماني في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب والغلمان وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحي وأشرفت على الهلاك وأحضرت شهودا وكتبت وصيتي وارسلتها الى أهلي وأخذت معي بعضا من غلماني وجانب دراهم وسافرت من بلدى بغداد وما دخلت منزلي من الفضيحة التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا أسكن في بلدة فيها هذا التعيس المزين فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لى طبيبا وصار يداويني حتى شفاني الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لي من ذلك الكسر عرج فهذا أول يوم خروجي من منزلي وقد لاقيتني ودعوتني الي وليمتك فلما رأيت هذا الشقي جالسا عندكم ماطاب لي الجلوس ولا الاكل وانما اسأل فضلكم ان تسمحوا لي بأن أخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه ياجماعة قصتي قال فالتفتوا اليه وقالوا له

هذا الكلام صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو يحمد الله الذى سخرنى له فخلصته وانكسرت رجله فان كسر رجله أولى من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقال له الجماعة الحاضرون قاتل الله الابعد قد هتكت الشاب وعزبته عن أهله وفضحت قاضى بغداد ثم انهم نهروه وشتموه وأخرجوه من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله (وفى الغالب) ان كثرة الكلام عند أرباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد فى كبيرهم وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (ومن المناسبة لذلك) ما قاله العلامة القليوبى فى نوادره وهو ما حكى عن الفضل بن الربيع أنه قال قال لى الرشيد يوما أطلب منك حجاما أسكت من الحجر فقلت له ان لى غلاما عاقلا أديبا ظريفا ذا سكينة ووقار وله معرفة تامة فقال ابعثه الى فبعثته اليه وأكدت عليه أنه يلزم السكوت مع الادب ولا ينطق بشئ وأن يتأهب أحسن أهبة وأكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا منقبضا فقال يا فضل ان لذلك الغلام شأنا وانا لا نراه أبدا بعد اليوم ثم انى سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما أتى الحاجم جئت به الى امير المؤمنين لاخراج الدم فلما بدى فى الحجامة قال يا أمير المؤمنين انى اسألك عن شئ فقال له ما هو قال قد قدمت محمدا على المامون والمامون اسن منه فقال له اخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك يا أمير المؤمنين عن شئ آخر فقال له ما هو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكى فقال له اخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك عن شئ آخر فقال له قل فقال لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد أطيب منها فقال له جوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد قبل أن تقتله فانه سألنى عن ثلاث مسائل لو سألنى عنها المنصور ما أجبته قال الفضل فبينما أنا جالس اذ دخل أبو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ مع أم دلامة أنه يدخل على الرشيد وهى تدخل على زبيدة فلما مثل بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكى (فقال)

وكنا كذى روحى قطاة فى مفازة * من الامن فى عيش رخى وفى رغد
فأفردنا ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحش من الفرد

ثم أعلن بالنحيب والعويل وقال يا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة وأنا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وكانت أم دلامة قد دخلت على زبيدة وهى باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان ابا دلامة مضى لسبيله فاعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة وهو مغضب من اسئلة الحجام وموت أم دلامة فقالت له زبيدة يا أمير المؤمنين مالى أراك حزينا فاخبرها الخبر فضحكت وقالت الآن خرجت أم دلامة من عندى لتجهيز أبى دلامة فضحك هو أيضا وقال والآن خرج من عندى أبو دلامة لتجهيز أم دلامة قال

الفضل فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا مستغرقا في الضحك فعجبت منه كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاستخبرته فأخبرني بما حصل فضعت حينئذ في الحجام فقبل شفاعتي وأطلقه واستحضر أبا دلامة وقال له ما حملك على هذا فقال له يا أمير المؤمنين لكي يقال انه لا يتوصل الى عطاء أمير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلهما وقد علمت أن المزينين أقل الناس عقولا وأفسدهم رأيا فلا ينبغي لعاقل أن يطلعهم على أسراره ولا يشاورهم في أمر من اموره فانهم لا يحفظون الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيما عليما خبيرا قد جرب الامر فان المشاورة مطلوبة شرعا (قال العلامة البلقيني) في تفسيره أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه وهو غني عنها فقال تعالى وشاورهم في الامر وهو تشريع للأمة وقد أثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وأمرهم شورى بينهم (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت امراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذي عن أبي هريرة (وانشد) أبو القاسم الحبيبي قال انشدني أبو عثمان

اذا كنت في حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
واذا باب أمر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث الى أهله * فان الامانة في نصه
اذا المرء اضمر خوف الاله * تبين ذلك في شخصه

(وانشد) أبو القاسم الحسن قال انشدنا أبو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا أبو سلمة المؤدب

شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد أوصى بذاك نبيه * في قوله شاورهم وتوكل

(وقال يحيي البرمكي) ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول (وسمع) أبو الاسود الدؤلي رجلا يقول

اذا كنت في حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

فقال قد اخطأ قائل هذا البيت أيعلم الرسول الغيب وان لم توصه أنت فكيف يعلم ما في نفسك ثم انه قال

اذا أرسلت في امر رسولا * ففهمه وأرسله أديبا
ولا تترك وصيته بشيء * وان هو كان ذا عقل أريبا
فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على أن لم يكن علم الغيوبا

(ثم ان الناظم) عزم على مشايخ الكفر باسمائهم (فقال)

ص ويجلس بجنبي ابن جرو وكل خره * وابن كل الصك النضيف وضيف
وابن فسا التيران وابن خرا الحس * وقلوط والزبله وابن كنيف

ش قوله (ويجلس بجنبي) أى هؤلاء المشايخ يعنى مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم وأجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من المدينة وأنا مكسى لبدة وشدا مشنبرا وأنا كالكلب المتقدم ذكره وأتى الى مشايخ البلد المذكورون وجلسوا بجانبى وهم ثمانية رجال الاول (ابن جرو و) الثانى ابن (كل خره و) الثالث (ابن كل الصك النضيف) أى المتراسل بعضه اثر بعض حتى يخلى القفا مثل علم سيدى أحمد البدوى مثلا وقيل الصك النضيف شرطه أن يكون من رجل شديد ويكون قفا الشخص مصلحا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بالاقلام ويراسله بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة نضافة الصك احرار القفا وورمه (حكى) أن أبانواس نادم أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة فأنعم عليه بجارية وأمر بحملها معه وقال لها اذا طلب منك الحاجة صكيه وكلما أراد الطلب زيديه من الصك فلما وصل الى منزله وأراد منها الفعل نزلت فى قفاه صكا وهكذا الى الصباح فلما اصبح أتى الخليفة وهو فى غاية مايكون من الالم لايقدر أن يلتفت يمينا ولا شمالا فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك ياأبانواس مع الجارية فقال له ياأمير المؤمنين كانت طيبة الا أن مولانا عودها عادة قبيحة فضحك منه وأنعم عليه بمال وغيره وقوله (وضيف) هذا فعل أمر على لغة أهل الريافة فى كونهم يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو وفى ضف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى انه يقول له ضف الصك على الصك أى اجعله متتابعا لاينقطع بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كأنه ضربة واحدة فان المضاف والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل أن يكون قوله وضيف من الضيافة وأتى به لتمام البيت (و) الرابع ابن فسا التيران) سمى بذلك لان أباه كان انقطع مدة فى داره لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء واتخذ له محلا بين التيران يسمى طوالة فصار يفسى فيها ليلا ونهارا فصار كلما شم أحد رائحته يقول له ماهذا فيقول فسا التيران فسمى بذلك (و) الخامس (ابن خرا الحس) سمى أبوه بذلك لكثرة لحسه من الجلة وهو صغير وقيل قلع عرقيته ووضعها على الارض وصار يخرى فيها حتى ملأها وصار يلحس من حواليها فسمى بذلك (و) السادس (قلوط) مشتق من القلط على وزن الضرط والهلط يقال فلان غلظ قلوطه بمعنى انه شبع من الرزق وبقى فى الكفر عظيم الامر يجلس مع النصرانى وركبه بركبه ويلبس الوطا الاحمر والبتة المشنبر (و) السابع من مشايخ البلد (الزبله) سمى بذلك لانه كان فى صغره مشغولا بلم الزبل من محل مرعى الغنم ومن

السكك والكيمان وبيعه وكان هذا سبب السعادته وكان بينه وبين قلوط صداقة فى البلد فكان قلوط دائما فيها لا يفارقها والزبله تارة يسافر وتارة يقعد فيها وكان قلوط هذا فى وسطها سواء بسواء والزبله فى طرفها وكانوا يهادون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبله قريبة من القلوط وان كان القلوط أرق منها لكن ابن خرا الحس أعظم فى البلد وأكبر من الكل وأشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت أحدا منهم فى البلد يغلب لسانك الى خرا الحس وتجده فى وجهك (ومن النوادر) أن بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يا مولاى لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم القدر لانه من أرباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اثرا (و) الثامن (ابن كنيف) وكان شهيرا موصوفا معروفا يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما للقلوط وابن خرا الحس الا أن ابن خرا الحس كان محبوب ابن كنيف فى الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديما لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون عنه كما قال بعضهم (مواليا)

وطراط عشق خنفسا وصبح بها محجوب * وبنا لها قصر جوا بيت خلا من طوب
وحضر النقل والمأكول والمشروب * ما للنديم الخرا الا الذى المحبوب

ثم أن الناظم لما تمنى أن يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح وينشرح بهذه اللمة عنده (قال)

ص وأفرح باللمه وينسر خاطرى * وهذا مرادى يا ابن بنت عريف

ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يرجو من الله أن يبلغه مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويمن عليه حتى ينزل من المدينة بلبدة وكرمشنبر ويكون له مقام فى البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت أسماءهم باللفظ والذوق وملخص القول ان الناظم يقول ان حصل لى هذا فهو غاية مطلوبى ومرادى من الدنيا وتمام مرغوبى من اللذات فانى قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى على بما طلبته يبقى رزق امراتى على الله تعالى فانه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصى والبر الفاجر وأنا على حد قول (القائل)

يا من طلب رزق ونالو * وقال بقى رزق امراتى
قم فى الدجا سرح دقنك * لابدلك عن خيراتى

(اوأنه) اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المرا تأكل خرا وألف دقن ولا دقنى (ثم انه ختم) كلامه بالصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم (فقال)

واختم

ص وأختم قصيدي بالصلاة على النبي * نبي عربي مكي شريف عفيف

ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفي الشفاء لابن سبع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من الصلاة علي فإنها تطفئ غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان والاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالي في شرح ام البراهين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ما روي أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك (وقد روي) ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائه وفي انتهائه الى أن قال روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن الصلاة على النبي أمحق للذنوب من الماء البارد وأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام الله تعالى على أهل الجنة فناهيك بها من منة قاله في كشف الاسرار (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه مرفوعا من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطني وحسن العراقي كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطي مقيدا له بكونه بعد العصر والله أعلم (خاتمة) في ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان قدم منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعضه آنفا (قيل) تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة أزواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى السابع الشقي (ويحكى) أن بعض الظرفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من أبيه فبلغ والده ذلك فما زال يتتبع أخباره الى أن رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن أبيض وهذا أحمر فقال الولد صدقت انه كان أبيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل أبوه وتركه وانصرف (وحكي) أن بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل بتكاحها فقالت له يوما أنا كلما استدعي غضبك تأتيني بشفيع معك لا أستطيع رده (وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله فقام

القاضى وكشف عن استه وأداره الى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ما لهذا السلام الا هذا الرد (وحكى) أن الاصمعى قال كنت يوما عند الرشيد فقال لى من عندك يؤانسك فقلت له ليس عندى أحد فلما ذهبت الى منزلى أرسل لى جارية بديعة الحسن والجمال آنستنى بكلامها وأبهرنى عذب اقتراحها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسواكن الشهوة التى توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتنى حتى أمالت نفسى اليها ورغبت فى الركوب عليها وخلعت ثيابى وسألتها أن تخلع ثيابها فخلعتها وهى تتنفس تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب وأحضرنا المآكل والمشارب وأكلنا وشربنا وتفكهنا وأردت ان أهم بها فاعترانى من الفتور وعدم الانتصاب ما كدر خاطرى وأفسد على ليلتى فتحيرت فى أمرى وصرت لا أدرى ماذا أفعل فأكثرت من ملاعبتها حتى صارت تقلب ايرى بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذى لا حركة فيه فعظمت حسرتى وصرت منها فى حياء وخجل فلما آيست منه قالت ياسيدى دع ايرك فما فيه حيلة ولا نفع فانه ميت ثم قامت وقالت لى نم على ظهرك حتى أغسله وأكفنه فخجلت منها ولم أقدر أخالفها ونمت لها كما طلبت فسكته بيدها وغسلته وكفنته بمنديل ثم قالت لى قم صل عليه فقمت وأنا فى غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح ومررت من وقتى الى الرشيد فقال لى ما خبرك فقلت له يا أمير المؤمنين حكايتى غريبة وأخبرته بما حصل لى معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لى فمن أحوج اليها منك لصغرها وفطانتها فأخذها منى وعوضنى جارية غيرها وعشرة آلاف درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوى اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له ياولدى حرك الاير حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى استك كالمد المتصل واجعل الهمز آلة له لئلا ينفصل وأطال الكلام فى هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له اعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجرى ويقول واعرب وخرج بكر هاربا (وقيل) مرض رجل نحوى وكان بعيدا عن أهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد جيرانه فقال له امض الى أهلى وقل لهم ان فلانا قد أصابه داء أوجع ركبتيه * وأذى خصيتيه * وأسقم بشرته * وزاد علته * وأسهر مقلته * وأجرى عبرته * وصار يكثر على الغلام * من هذا الكلام * فقال له الغلام ياسيدنا أقصر أنا أقول لاهلك قد مات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده أوصنى فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا تزد على قول نعم ولا تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على الفقير ولم يتغد نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل)

جاء

جاء رجل الى امرأة بلحم فقال لها اصلحي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع الظهر واشوي بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب والاولى أننا نشوي الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم من الضأن الفتي أو من المعز الثني فقال له القصاب هو من خيار الضأن قال له النحوي أذبحته لمرض أم لمرض فقال له حتى أبلغ أنا وعيالي منه قال النحوي أكان ذكرا ذا خصيتين أم أنثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكرا ينطح الحائط برميه قال النحوي أكان يمج الماء بشدقيه أم يمصه بشفتيه قال كان يدلي زلومته في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي أكان مرعاه الشيح والبعيثران ام العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوي أسننت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها لو وقعت على رقبة الابعد قطعتها قال النحوي أبدأت بالبسملة وأظهرت الحيعلة التي هي على وزن فيعلة على قول بعضهم وقال بعضهم هي على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب لغلامه هات الجلد حتى أقطعه على أكتاف هذا النحس الذي عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع النحوي منه ذلك شتمه وهرب (وحكى) ان بعض اللطفاء امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج بهما فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال اني مدحت مولانا الامير بقصيدة من أحسن القصائد فخلع علي خلعة من أحسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك وأرسل خلفه وأجازه بجائزة حسنة (وحكى عن الاصمعي) انه قال رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال أسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها قصدي أن أطوف بالبيت وأقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فأخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض أمره على الحكام فقال لها الولد أما أنا فكان ظهري لوجهه وأما أنت فكان وجهك لوجهه فمعرفتك لم أبلغ من معرفتي اياه (ومات مجوسي) وعليه دين وترك لولده دارا فقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين أبيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا بعت داري وقضيت دين أبي هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه في النار وأنا في الدار (وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرض له من الذي يقول هذا البيت

قاض يرى الحد في الزناء ولا ● يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضي يحيى أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي قال

أميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والرأس شر ما راس
لا أرى الجود ينقضي وعلى الـ * أمة وال من بني العباس

فالفهم المأمون وسكت خجلا (وأرسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي
وليتك عندي اذا ما خريت * يكون لسانك في ثقبتي
نسيمك عطل ماء السما * وأورثني الويل في ركبتي
اذا لم تزرني أنا مدنف * فان الهوى سهل معدتي

(ومما ينسب) للحريري رحمه الله تعالى

صديقك في هذا الزمان منافق * وخلك خل دعه واحذر بوائقه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فأحوال المنافق نافقه
وعرص وقد واظلم وبالفحش فافتخر * فما رفعت دنياك حرا ولا تقه
وما فيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا الملحد اوزنادقه

(ومثل ذلك) قول الابوصيري الاديب عفا الله عنه

ستة في الهوى افعلهم * بعد الموت بهم تذكر
تمخول وعرص وافسق * وعن وقامر واسكر

(ونختم) هذا الكتاب بأبيات من بحر الخرافات فنقول

تم كتاب الهلس والتخريف * وما جرى في وصف أهل الريف
جعلته جزءين باختصار * فجاء كالزبل في النبار
لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشوى يا ذوي العرفان
ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل الهبائل
أبحاثه جاءت كما الخس الخرا * باوجه الاصحاب حقا الامرا
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة أو قصة مشاهده
وأصل ما ألجأ في فعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكي الفخر
شيخ امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب
ومعدن الجود مع المطلوب * أعني الامام أحمد السندوبي
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابي * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه هبوا وخلل * يسدها فالشخص معدن الزلل
ولا تلم فالسماح أفضل * واعذر اخاك مكرها يا بطل

والحمد

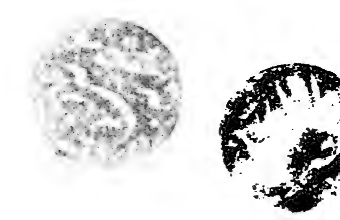
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبى الهاشمى أحمدا * والآل والاصحاب أنجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * أو لاح برق فى دجا الاسحار

وكان طبع هذا الكتاب * المنظوم فى سلك كتب الفكاهة فى مجالس المسامرة بين الاصحاب * فى ايام الحضرة السعيدية * التى سطعت أنوار مراحمها فى افق الحكومة المصرية * بدار الطباعة العامرة * الكائنة ببولاق مصر القاهرة * مشمولا بنظر صاحب نظارتها * القائم بحسن تدبيرها وادارتها * حضرة على افندى جوده * بلغه الله مأموله وقصده * ومصححا بمعرفة راجى غفر المساوى * الفقير محمد الشريف الادكاوى * المندوب بمعرفة ملتزمه للمساعدة فى تصحيح كتبه التى التزمها * وللطبع عرضها وقدمها * جناب عبد الحميد بيك افندى نافع * رغبة فى تنجيز هذا الغرض النافع * فأجرى تصحيح معظم هذا الكتاب على يديه * من كتب التزام المومى اليه * فصحح المذكور من الملزمة الثالثة والعشرين الى نهايته * وما عدا ذلك صحح بمعرفة الباش مصحح نظر الله تعالى له بعين عنايته *

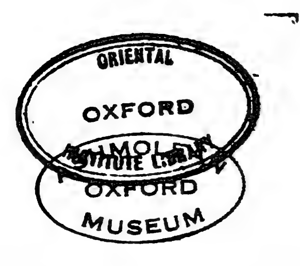
وقد وافق تمام طبعه على هذا المنوال *
فى اواسط شوال * سنة ١٢٧٤
ألف وماتين واربع وسبعين *
من هجرة خاتم النبيين * عليه
وعليهم أفضل الصلاة
والتسليم واجزل
التحية والتكريم

تم

هذا كتاب أبو شادوف خالص الكمرك




BIBLIOTHECA BODLEIANA


ORIENTAL
OXFORD
INSTITUTE LIBRARY
ASHMOLEAN
OXFORD
MUSEUM



ORIENTAL INSTITUTE
LIBRARY
XFORD UNIVERSITY
PJ
7765
SH1

